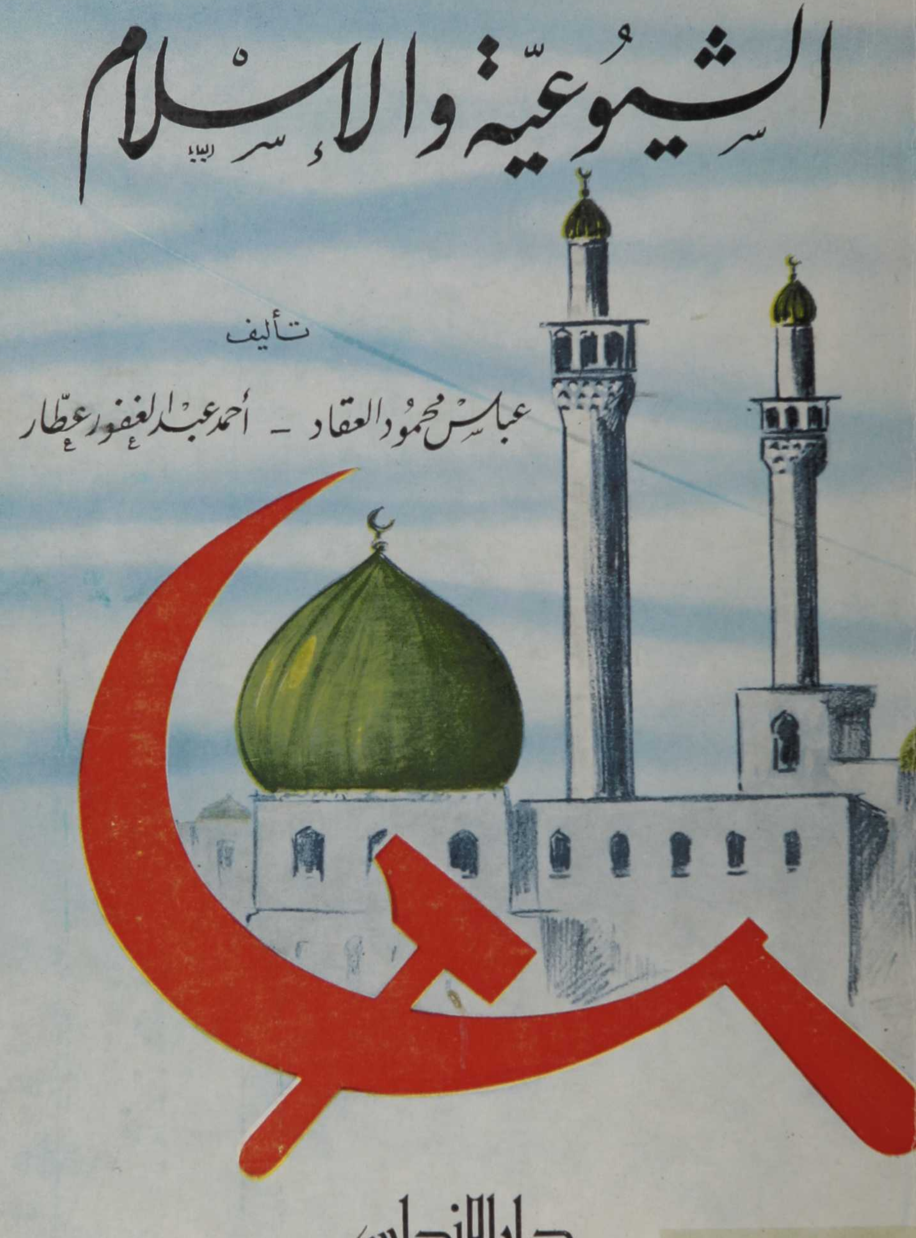
الشيوعية والإسلام

تأليف

عباس محمود العقاد - أحمد عبد الغفور عطار



دار الأندلس

للطباعة والنشر - بيروت

الشيوعية والاسلام

الشيوعية والاسلام

تأليف

عباس محمود العقاد ـ أحمد عبد الغفور عطار

طبعة ثانية عليها زيادات هامة



مطابع

دار الأندلس

للطباعة والنشر ـ بيروت

الطبعة الثانية
بيروت – لبنان
١٣٩٢هـ ١٩٧٢م

مقدمة الطبعة الثانية

●

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب بالقاهرة سنة ١٣٧٦هـ. (١٩٥٦م.) ونفدت خلال بضعة شهور ، وتلقيت مئات الرسائل من البلدان العربية والاسلامية تطلبه . ولما لم تكن لديّ منه نسخ كنت أعتذر .

وفي هذه الأيام كثر السؤال عن الكتاب وطلبه ، فرأيت أن أعيد طبعه للحاجة اليه ، فالشيوعية قد دخلت بلداننا العربية والاسلامية ، وضللت كثيراً من الناس . وصارت لها قوى ومراكز ومؤسسات وصحف في هذه البلدان ، ولبست لكل حال وظرف لبوسهما ، وهي تتهيأ لليوم المرتقب لتثب إلى كرسي الحكم بعد أن تنتزع السلطة من أهلها .

* * *

والعالم العربي والاسلامي يذكر انقلاب الشيوعيين السودانيين وانتزاعهم السلطة من أيدي أصحابها الشرعيين بعد أن أعدوا للأمر عدته ، واتخذوا له أهبته . وحسبوا حساب كل احتمال إلا الشعب فلم يحسبوا حسابه ، فقاموا بالإنقلاب . ففوجئوا بالشعب السوداني يثور على الشيوعيين ، ويقضي عليهم ، ويعيد أصحاب السلطة الشرعيين إلى الحكم بعد أن شرد الشيوعيين وفتك بهم ، ولم يصغ لتضليلهم ووعودهم ، فشعب السودان المسلم لا يخفى عليه أن الشيوعية كفر لئيم بشع لم ير العالم كله مثيلاً له منذ القدم إلى اليوم ، فالشيوعية تنكر وجود الله ، وتجحد رسالات السماء ، وتحارب كل القيم الانسانية الرفيعة ،

وتدمر المثل العليا . « وتصادر » الحرية بكل أنواعها ، وتجعل الشعوب قطعاناً مسيرة لا إرادة لها ولا فكر ولا اختيار .

والعالم العربي والاسلامي مدرك أن متاعبه من الشيوعية ، وما حدث في باكستان المسلمة برهان ذلك ، فاليسار قد قام بحركته الشريرة ليدك صرح الوحدة الاسلامية في باكستان (١) .

ويجب على العالم العربي والاسلامي أن يفيد من حركة الشيوعيين في السودان ، ويأخذ منها درساً لا ينساه . فالشيوعية تعيش في أقطاره ، وله في بعضها نفوذ ومكانة . وترك الشيوعية حرة يكسبها قوة تدخرها لتضرب بها كل ذخائر البلد الذي تثور فيه وتسلبه حريته . وتجعله عبدا ذليلا .

ويجب على الأقطار العربية والاسلامية أن تمنع وجود الشيوعية على أرضها ، وإذا أصرت على البقاء فإن من الحق ضربها حتى يقضى عليها .

وليس في ذلك مأخذ ، فالبلدان الشيوعية — دون استثناء — تحرم أشد التحريم قيام أي مركز أو مؤسسة لا تدين بالشيوعية . وتحرم قيام مركز أو مؤسسة اسلامية تدعو إلى الحق الذي يؤمن به العرب والمسلمين ، بل تحرم قيام مؤسسة رأسمالية وكل نشاط غير شيوعي .

* * *

وإن في عالمنا العربي نشاطاً شيوعياً كبيراً . وتصدر فيه صحف الشيوعية وتوزع في جميع أقطاره . وكل ما ينشر فيها من بحوث ومقالات تهديد لنظام

(١) كتب هذا الكلام قبل غزو الهند لباكستان بشهور ، وقد حدث ما يعرف القراء ، فقد جندت الشيوعية في روسيا حليفتها الهند بالمال والسلاح والخبراء والجند لتضرب الإسلام في أكبر دولة ، واتفقت الهندوكية والشيوعية والصهيونية والرأسمالية على انتزاع شرق باكستان من غربها وانتزعته وأقامت فيه ما يسمى « البنقلادش » وغرب باكستان مهدد أيضاً ، ومن المؤسف والمحزن أن المسلمين ضعفاء ، وحكامهم بعضهم لبعض عدو ، وأتباع أعداء الله ورسوله .

البلد الذي تصدر الصحيفة الشيوعية فيه ، وخطر على قيمه الأدبية والروحية ومعتقداته الدينية وتراثه الحضاري .

وعلى سبيل المثال تصدر في بيروت وغيرها عشرات الصحف والنشرات والكتب التي تدعو إلى الشيوعية وتحببها للناس ، وتوزع على نطاق واسع .

وإذا أرادت شعوب الأمة العربية والإسلامية أن تحيا حياة الحرية والشرف والكرامة فعليها أن تغلق كل باب للشيوعية ، وأن نقابلها بمثل ما نقابل به منها ، فهي تحرم على كل بلدان العرب والمسلمين القيام في أراضيها بأي نشاط ، وتضرب أي داعية يدعو إلى الحق في أراضيها ، وتمنع أي مسلم من أن يدعو بدعوة الإسلام ، وتحبسه وتنفيه ، ويجب علينا أن نقابل الشيوعية بمثل ما تقابلنا به .

ومن الجبن والضعة والهوان أن نسمح للشيوعية في بلداننا العربية والإسلامية بأن تقوم بكل ما تريد من نشاط هدام ، وتتمتع بالحرية ، في حين أنها تحرم على البلدان العربية والإسلامية أن تقوم بأي نشاط في أراضيها .

وفي رضانا غاية الضعف والضعة والهوان والجبن .

وإن الحق يفرض علينا أن نمنع كل نشاط للشيوعية كما تمنعه الشيوعية وتحرمه على غيرها ، ويجب على الأقل أن نتمتع بالحرية والإستقلال في أراضينا .

* * *

والبلد الوحيد الذي تموت في أراضيه الطاهرة جرثومة الشيوعية بمجرد أن تهبط فيها بلدنا ، فلا وجود لنشاط شيوعي في أراضي المملكة السعودية ، فلا تصدر فيها نشرات وصحف شيوعية ، بل لا يمكن أن توزع فيها ، وإن كانت

الحكومة السعودية لا تمنع الباحثين والمفكرين من الإطلاع على كتب الشيوعية وأكاذيبها ودعاواها ، لأنها واثقة أن المسلم الحق لا يمكن أن يرضى ولو بعض الرضا عن أي جانب من الشيوعية .

وخير ما يعمل لضرب الشيوعية في البلدان غير الشيوعية ما عمله مليكنا العظيم فيصل وحكومته الرشيدة وشعبه المؤمن ، فكل فرد في هذه الأمة حارس أمين يقظ ، ولو أُعطِيَ الدنيا بدل دينه أو الرضا عن الشيوعية لأبى ، فكيف وهو يعلم حق العلم أن الشيوعية شر أنواع الكفر والأمه وأبشعه ؟.

* * *

وعندما كنت في زيارة لألمانيا الغربية عقدت إذاعة صوت المانيا بكولون ندوة مساء يوم الجمعة ٥ رمضان ١٣٨٩هـ. (١٤ نوفمبر ٦٩م.) أذاعتها بأربع لغات هي : العربية ، والالمانية ، والانجليزية ، والفرنسية ، وكانت بالعربية ، وكان من بين الأسئلة سؤال هو : ما الأسلوب الذي اتخذه الملك فيصل في مجابهة الشيوعية ؟

وأجبت بما نصه :

« هو توعية الجماهير المسلمة عن طريق الإسلام ، فالمسلم الحق خصم الشيوعية الأول ، وليس بين المسلم الحق والشيوعية نقطة لقاء ، ولن يكون بينهما حسن جوار ، فالمسلم نقيض الشيوعي ، والإسلام نقيض الشيوعية .

« الشيوعية تنفي وجود الله ، والإسلام يثبته .

« الشيوعية تنكر الرسل ، والإسلام يؤمن بهم .

« الشيوعية تهدم كل القيم الإنسانية ، والإسلام يرعاها ويحميها .

« الشيوعية تملك بالقصر كل وسائل الإنتاج ، والإسلام يضمن حرية تملك وسائل الإنتاج .

« والإسلام يحارب الظلم والفساد في كل شيء .

« ولهذا لا تستطيع جرثومة الشيوعية أن تحيا في أرض الإسلام ، لأن الطهر يقتلها .

« ففيصل يقاوم الشيوعية بالإسلام ، ولهذا نجح كل النجاح في حماية بلاده من الشيوعية التي ارتدت على أعقابها قبل أن تبلغ حدود المملكة العربية السعودية .

« وكل فرد من شعب فيصل حارس أمين على مجتمعه يدافع عنه ضد كل مذاهب الهدم والتخريب ،وكل فوضى الجنس والأخلاق ،لأنه مجتمع الإسلام .

« والبلاد السعودية هي البلاد الوحيدة في الدنيا التي لا وجود للشيوعية بها . وكل أفراد الشعب السعودي بالإجماع اعداؤها ، وحكامهم منهم ومثلهم .

والملك فيصل يجاهر بعداء الشيوعية في كل مكان ، وليس مصدر عدائه السياسة ، بل المعتقد ، ولا يمكن أن يزول هذا العداء ، ولا يدع فرصة إلا ويحذر العرب والمسلمين والعالم من خطر الشيوعية على جميع القيم الإنسانية » .

كـــل العداوة قـــد ترجى مودتّها   إلا عداوة من عـــاداك في الدين

* * *

وفي صباح يوم الأربعاء ٢٥ صفر ١٣٩١هـ. (٢١ ابريل ١٩٧١م.) استقبل الملك فيصل بقصر الرئاسة بالرياض فريق طلبة الكلية الحربية بواشنطن يصحبهم السفير الامريكي بالمملكة السعودية ، وحضر المقابلة الأمير خالد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، وقال الملك فيصل :

« إن الشيوعية والصهيونية لا تتيحان الفرصة للعالم لتحقيق أهدافه من التقدم والإستقرار . والعالم يحتاج إلى البناء لا الهدم والتخريب ، ولكن الشيوعية والصهيونية لم تتركا لنا الفرصة لبناء بلادنا وشعوبنا .

« وعندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين ، ولكن الحقيقة أن

الصهيونية ولدت الشيوعية ، وهدفهما الأساسي هو التخريب والتحطيم . ولسوء الحظ يجدون الفرصة في أكثر من بلد في العالم لتخريبه .

وقد بدأت الشيوعية والصهيونية الآن في إدخال نظريات هدامة للتأثير على النشء الجديد لينشأ ضعيفاً لا يعتمد عليه ، كما أنهم أفشوا التحلل الخلقي والنظريات التخريبية للتأثير على المجتمع والأخلاق » .

وحذر الملك فيصل شباب العالم من الشيوعية التي قامت لهدم المثل والإنسانية لأنه مدرك أن الشباب « رأسمال » الأمة ، فإذا استطاعت تبديده منيت بخسارة تتجدد كل يوم ولا يمكن تلافيها .

* * *

والأمير خالد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء مثل أخيه الملك فيصل في معاداة الشيوعية ، ويحذر منها الأفراد والجماعات والشعوب ويقول :

« أي نفع للإنسانية أو الجماعة أو الفرد من مذهب هدام ينكر وجود الله ويحارب كل القيم الإنسانية ؟ إن المذهب الذي يصل في التحجر إلى حد المادية الملحدة هو مذهب شديد الخطر على الإنسان نفسه ، والمذهب الذي يضيق بالخالق عز وجل حتى ينكر وجوده لا يمكن أن يؤمن بوجود الإنسان والحرية والقيم الإنسانية ، ولهذا رأينا المجتمع الشيوعي خالياً من الإنسان ، لأن الإنسان لا يوجد إلا حيث يوجد الإيمان والدين والحرية ، والشيوعية لا تقوم إلا على هدم الدين وتخريب المثل وسلب الحرية » .

ويقول الأمير خالد : « لو أن بلدان العالم كانت مثل بلادنا في محاربة الشيوعية التي لا تجد في أرضنا مكاناً ولو صغيراً لنعم العالم بأمن ورخاء وإنسانية لا حدود لها ، ولكن – مع الأسف – ليس في العالم غير بلادنا التي لا تهادن الشيوعية ، وهي البلاد الوحيدة التي تعاديها عن إيمان نفتقده في غيرها من البلدان » .

ويقول الأمير خالد :

« ولا يحتاج المرء لإثبات خطر الشيوعية على القيم الإنسانية وعلى إفلاسها من كل إصلاح وخير ، وليس هناك دليل على ذلك أبرز من البلدان الشيوعية نفسها ، فكل بلد تحكمه الشيوعية هو الدليل ، فهو مستعبد مقهور ذليل ، انحدرت به الشيوعية إلى الدرك الأسفل من الحيوانية ، فقد حطمت كرامته ، وسلبته حريته ، وخفضت مستوى معيشته ، وجعلت أفراده قطيعاً يجور عليه الراعي بسوطه الملتهب لا يرفعه عنه .

« وإذا كانت الشيوعية تضرب بكل قسوة وجبروت وغلظة من يدينون لها بالولاء والطاعة ويعتنقون المذهب بإخلاص فأي رحمة تدخر لمن لا يدينون بها .

« وليس في العالم مستوى عيش منخفض غاية في السوء من مستوى الذين يعيشون تحت إرهاب الشيوعية التي لم تكتف بذلك ، بل سلبته أيسر أنواع الحرية ، وقضت على كل القيم الإنسانية .

« وتجربة المذهب الشيوعي أكثر من خمسين عاماً أقامت البرهان على فساده الذي لا فساد مثله في تاريخ البشرية ، فهو لم يبق على كرامة الإنسان ولا حريته ولا شعوره النبيل ولا حياته ، بل قضت على كل ذلك ، وأحالت مجتمع الإنسان إلى غابة حيوانية حمراء » .

* * * *

والأمير فهد بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية مثل أخويه العظيمين : الملك فيصل والأمير خالد في محاربة الشيوعية وحراسة حدودنا من تسللها ، وهو دائم الحذر منها والتحذير عنها ، ولا يفتأ يبصِّر الناس بحقيقتها وأخطارها .

وللأمير فهد مجلس عام في وزارة الداخلية قبل الظهر وفي منزله بعد صلاة

المغرب ، الذي يزدحم بالناس وفيهم من مختلف الجنسيات والحكومات ، وجاء الحديث ذات مرة عن الشيوعية بمجاسه العام بالرياض في سنة ١٣٩٠هـ.) (١٩٧١م .) فقال :

« قامت على وجه الأرض مذاهب ومعتقدات شريرة وباطلة ، ولكن لم يتعامل الناس معها لأنها لم تكن لها دولة ، فزالت من الوجود مع دعاتها واتباعها .

« أما الشيوغية فقامت لها دولة ، فاضطر الناس إلى التعامل معها ، وبذلك استطاعت أن تخرج من أرضها إلى أقطار الآخرين وتبث فيها سمومها ، وتضلل كثيراً من أبنائها ، وتحدث الفرقة والبلبلة والإضطراب في صفوفها ، وأوجدت الشيوعية لنفسها خلايا ومراكز وأحزاباً في داخل البلدان غير الشيوعية التي ترتبط مع الدول الشيوعية بعلاقات سياسية ، والأحزاب الشيوعية جميعها يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً عقائدياً وفكرياً ، وليس من حقها الإجتهاد وتفسير النصوص ، بل ذلك من حق الشيوعية الدولية التي تتخذ مركزها في موسكو أو بكين .

« وفي الحروب التي خاضتها الأقطار أو في الحرب الكبرى الثانية كانت الأحزاب الشيوعية تتخذ موقفاً سلبياً مع حكوماتها الوطنية إذا كانت مصالحها غير متفقة مع مصالح روسيا .

« وهذه الأحزاب أداة نسف من الداخل .

« والعداء بين الشيوعية والرأسمالية عداء حياة أو موت كما تعتقد الشيوعية ولا ينتهي العداء إلا بإنهيار النظام الرأسمالي .

« ولكن العداء ليس محصوراً بين هذين النظامين ، فالشيوعية تعادي كل نظام وعقيدة يغايرانها ، وتحاربهما بنفس الحقد والقسوة والقوة التي تحارب بها النظام الرأسمالي ، وأعنف ضربة وجهتها الشيوعية لم تكن موجهة إلى النظام

الرأسمالي ، لأن له قوة مادية تقف في وجه الشيوعية ، بل كانت موجهة إلى الإسلام في الدول الإسلامية التي احتلتها مثل بخارى وطاشقند والقرم والقوقاز ، وفتكت بالمسلمين وقضت على الإسلام فيها .

« والشيوعية طامعة في ضرب الإسلام في كل أقطاره . وبدأت بالحرب الثقافية والفكرية فأصدرت رسائل وكتيبات ملأتها بالطعن في الإسلام ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لتشكك الناشئة المسلمة في دينها تمهيداً لتحويلها إلى الشيوعية .

« ومن الغريب أن يثبت لكل أقطار العالم خطر الشيوعية عليها وحقدها ومعاداتها لها ، ومع هذا تتعامل مع دول الشيوعية كما تتعامل مع مثيلاتها من الدول .

« ولو أن الدول وقفت مثل بلادنا لما استطاعت الشيوعية أن تخرج إلى أقطار العالم غير الشيوعية وتزلزل قواعد الأمن فيها ، وتتجسس عليها ، وتنشر في الربوع الآمنة كل ما يهدد أمنها ومعتقداتها .

« ونحن نحمد الله كثيراً على أن بلادنا سلمت من جراثيم الشيوعية بفضل الإسلام الذي لا يمكن أن تحيا على أرضه تلك الجراثيم .

« والإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يقضي على الشيوعية ، وإن أعداء الإسلام من غير الشيوعيين أضعفوا حركة الإسلام كما أضعفوا المسلمين وزرعوا السرطان الإسرائيلي في الوطن العربي ورعوه ، وبذلك مكنوا للشيوعية وأتاحوا لها أن تقوى في غير أراضيها ، وأضعفوا أنفسهم ، ولو تركوا الإسلام وحركته في وجه الشيوعية لما استطاعت أن تجعل لها وجوداً وكياناً في العالم الذي يسيطر عايه الإسلام دين الإنسانية الخالد .

« والشيوعية ليست حرباً ضد مذهب أو دين أو بلد معين ، بل هي حرب على الحرية والإنسان والعالم أجمع والديانات كلها ، فجب أن يقف كل العالم

بكل نظمه ودياناته وأقطاره وحكوماته في وجه الشيوعية إذا أراد للإنسانية أن تحيا حياة كريمة آمنة » .

* * *

وليس عداء الملك فيصل وإخوته ورجال حكومته ووزرائه للشيوعية بسبب الملكية التي تحاربها الشيوعية ، لانهم يعرفون أن الملك ثوب يتغير بتغير الأحوال ولو كانت الملكية سبباً لعداء الشيوعية لأقتضى ذلك ألا يحاربها أفراد الشعب بالإجماع ، ولكن محاربتهم إياها تثبت أن الحرب قائمة بينهم وبين الشيوعية لغير سبب الملك .

والسبب الحقيقي والأساسي هو الإسلام ، والمسلم الحق لا يمكن أن يهادن الشيوعية ، بل الحرب بينهما اشبه بما تكون بالغريزة ، بل أشد ، فالدين فطرة فطر الله الناس عليها ، وهذه الفطرة أشد من الغريزة في الإنسان ، فالمسلم عدو بطبعه الأصيل للشيوعية التي طبعها الكفر والإلحاد على محاربة الدين وأهله ، وتبع ذلك محاربة الشيوعية للأخلاق والقيم جميعها .

وبلادنا العربية السعودية بلاد الإسلام الحق . ولهذا لم تستطع الشيوعية اجتياز حدودها في حين أنها وجدت السبيل إلى البلدان الأخرى .

* * *

وإذا كنت أول من نبه إلى خطر الشيوعية من أبناء هذه البلاد فإن هناك أفراداً كثيرين في العالم العربي والإسلامي قد نبهوا شعوبهم إلى خطر الشيوعية ، وطلبوا إلى حكوماتهم أن تقف في وجهها ، فكتب العقاد في مصر منذ زمن بعيد ، وأبو الحسن الندوي في الهند ، ومحمد إقبال وأبو الأعلى المودودي في باكستان ، ولكن ما كتبوا لم يفد في وقف الشيوعية ،لأن الظروف لم تكن في جانب ما كتبوا ، ولهذا رأينا حركة الشيوعية تقوى ،والمنتسبين إليها يزدادون .

* * *

وكنت قد أصدرت كتابي «الشيوعية والإسلام» رجاء تحذير الأمة الإسلامية ، وجعلت موضوعاته سهلة ليشترك العامة مع الخاصة في فهم حقيقة الشيوعية ، ولم أبحث جوانبها المعقدة لعدم الحاجة إليها .

ويكفي المسلم بخاصة والإنسان بعامة أن يعلم أن الشيوعية خطر على الدين خطورته على الإنسان والإنسانية لينهض في وجهها ويحشد كل قواه لمحاربتها .

* * *

وعندما أصدرت هذه الطبعة لم أزد فيها غير هذه المقدمة وغير فصل بعنوان «الشيوعية عدو الإنسان» كتب منذ ربع قرن ولم أجده عندما نشرت الطبعة الأولى من الكتاب ، ووجدته بعد صدورها فرأيت مكانه خالياً في الكتاب فوضعته فيه ، وغير خمس مقالات ألحقتها به ، رأيتها صالحة لأن تضم إلى طبعة الكتاب الثانية وهي : «حرب الأكاذيب» ونشرت في رسالة خاصة سنة ١٣٧٧ هـ. (١٩٥٧ م.) ثم نشرت سنة ١٣٨٠ هـ. (١٩٦٠) بجريدة «عكاظ» عندما كانت ملكاً لي ، و «الشيوعية الملحدة ترعى الإسلام رعاية الجلاد لمن يحكم عليه بالإعدام» وقد نشر بالملحق الخاص الذي أصدرته جريدة «الندوة» بمكة المكرمة حرسها الله بمناسبة عيد الفطر المبارك سنة ١٣٩٠هـ. و «في برلين الشرقية . شوارع بلا مارة، وعمارات ضخمة بلا سكان» ونشرت بجريدة «البلاد» التي تصدر بجدة ، وقد نشر بعددها الصادر في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٩٠هـ. بحث بعنوان «الشيوعية وليدة الصهيونية» .

وقد نشرت الطبعة الأولى على حساب المحسن الإسلامي الكبير السيد حسن عباس شربتلي الذي نشر عشرات الكتب الإسلامية والعربية ، ووزعت النسخ على نطاق واسع في العالم العربي والإسلامي ، فجزاء الله خيراً .

وأرجو الله أن ينفع بهذا الكتاب . ويعز الإسلام والمسلمين ، إنه سميع مجيب الدعوات .

مكة المكرمة — احمد عبد الغفور عطار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

هذه كلمات مختصرة كنت كتبتها منذ بضع سنين في « الشيوعية » وأردت أن أذيع بها عندما كنت ألقي أحاديث في راديو مكة عن الإسلام دين الحرية والقوة والحق والعدل ، وعن المجتمع الفاضل الذي بناه الإسلام ، وعن الدولة الفاضلة التي أقامها . وعن الدين ضرورة إنسانية واجتماعية وخلقية واقتصادية ، وعن نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام . وإلى غير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بالإسلام كافل الحريات وباني المجتمعات وحارس الإنسانية والأخلاق .

إلا أن هذه الكلمات لم يقدر لها أن تذاع أو تنشر [١] . لأن مسوداتها كانت في حاجة إلى التنقيح . ولأنني ودعت مكة المكرمة — حرسها الله — ورحلت إلى مصر في طلب العلم والمعرفة وطبع بعض مؤلفاتي . وشغلت عنها ، وكنت أفكر في جمع شتاتها وإضافة أشياء جديدة لإخراجها للناس كتاباً ، ولكن لكل شيء أواناً يظهر فيه .

---

(١) إلا بضع كلمات منهـــا كلمة بعنوان « الشيوعية عدو الإنسان » أذيعت في سنة ١٣ هـ (١٩ م) ولم تنشر في الطبعة الأولى لأنها لم تكن تحت يدي حين الطبع ، والآن تنشر في هذه الطبعة لأنها أخت تلك الكلمات .
المؤلف .

وعدت إلى هذه الكلمات منذ شهور ، فلم أجد ما يدعوني إلى تغيير رأي رأيته ، أو مقصد أردته إلا بعض براهين وقعتْ لي ، وهي تثبت ما قلت عن الشيوعية فأدخلتها في مواضعها من هذه الكلمات .

وكنت أود أن أجمع شتاتها وأجعلها مقدمة لكتاب « الشيوعية » والإنسانية » تأليف صديقي الأستاذ عباس محمود العقاد ، فرأيت أنها لا تصلح لطولها ، ولأن الأستاذ الكبير لم يدع لمثلي مجالاً بعد أن كتب عن الشيوعية دراسة دقيقة وافية لم يسبق للعربية أن رأت مثله في الإحاطة والإستيعاب والدراسة العلمية الناضجة ، ولا يصح تأدباً مع الأستاذ الكبير أن أضع هذه « المعلومات » طليعة بحث علمي يكتبه مفخرة العقلية العربية الأستاذ العقاد .

ورأيت من الخير أن أطبعها في هذه الرسالة ليقف القراء على رأي أحد أبناء مكة المكرمة في الشيوعية ، ورأيت من الخير أن أكمل رسالتي بأن أضم إليها الفصل الذي كتبه الأستاذ العقاد تحت عنوان « الشيوعية والإسلام » وهو أحد فصول كتابه العظيم « الشيوعية والإنسانية » واستأذنته فأفضل — جزاه الله كل خير — وأذن . وما كتبه الأستاذ العقاد عن « الإسلام والشيوعية » ليس من قبيل الموازنات . لأن الشيوعية لا توزن بأي دين أو أي مذهب ، والإسلام أكرم من أن يوزن بالكفر ، وهو الدين الذي بعث للقضاء على الكفر ، ولكن كتب هذا الفصل ليعرف المرتدون أن ما ظنوه مزايا في الشيوعية ليس إلا مثالب ومخازي لا تصدر إلا من نفوس مجرمة وأرواح شريرة أثيمة تريد الشر بالإنسانية كلها ، ولا يقبلها إلا من كان ذا نفس لئيمة كافرة وروح شريرة داعرة . وما وعدت به الشيوعية من تحقيق العدالة الإجتماعية ونشر السلام والأخوة لم يكن إلا كذباً ومينا ، أما الإسلام فقد حقق كل ما تصبو إليه الإنسانية من خير وسعادة ورخاء وحرية للانسان أيا كان نوعه وجنسه ولونه ولغته .

وليعلم القارىء أن الإجماع منعقد على مقت الشيوعية والاشمئزاز منها ،

لأن هذا المذهب الماركسي البغيض أشنع ما عرف من أنواع الكفر وألأمه وأقذره وأحطه .

هذا رأي البداهة في الشيوعية . وهو رأي الفطرة ورأي العلم ورأي الأخلاق ، بل هو رأي العالم الحر ، بل هو رأي الروسيين أيضاً لو وجدت ألسنتهم الحرية .

وكل الناس على بعد الديار واختلاف الألوان والأجناس واللغات يشمئز من الشيوعية ، إذا كان على بصيرة وهدى . وقد انخدع بها قوم من أقطاب الفكر والعلم زمناً ، ثم لما رأوها على حقيقتها انقلبوا عليها ومقتوها وحاربوها بعد أن تابوا وندموا .

وحسبنا أن نستشهد بأحد أقطاب الأدب العالمي . وهو أندريه جيد الكاتب الفرنسي المشهور ، ولرأي جيد وزن ، ولرأيه ثقل عندما توضع الآراء في الميزان في هذا السبيل ، فقد كان شيوعياً متحمساً حتى قال في يومياته المطبوعة : « إن إيماني بالشيوعية يشبه إيماني بدين . وإنها البشرى للانسانية بالنجاة ، ولو اقتضى نجاحها بذل حياتي لبذلتها في سبيلها غير متردد » .

ثم يشاء الله لجيد أن يذهب إلى روسيا بدعوة من ستالين ورجال الكر ملين ، وتتحشد الحكومة الروسية لتكريم جيد وإطلاعه على فردوس الشيوعية ، وأدخلته فيه حتى يسعد بما أعدت من نعيم ورخاء وسعادة وطمأنينة ، ويرى بعيني رأسه ويحس بكل جوارحه الشيوعية ، ويتغلغل فيها باحثاً دارساً مستمتعاً فإذا هو يغادر الفردوس ليقول للعالم : « لا يمكن مهما كان الأمر أن تنحدر الأخلاق إلى الدرك الأسفل الذي تنحدر إليه الشيوعية ، ولا يمكن لأحد مهما طفر به الخيال أن يتصور مأساة الإنسانية والأخلاق والأديان والحريات في بلاد الشيوعية ، ولا يمكن أن تصل الخسة بالإنسانية إلى حد ما تصل إليه في الشيوعية » .

وكل أصحاب الفطر السليمة يستنكرون الماركسية ويلعنونها ويحاربونها

وينفرون منها ويخشون أن تندس سمومها في النفوس فتميتها أو تحيلها إلى نفوس مجرمة ، وهذا ما حمل الحكومات وأكابر مفكري العالم من مسلمين وغير مسلمين طلى محاربتها .

يقول إقبال مؤسس باكستان : « أعظم خطر على الإنسانية كلها : المادية الملحدة » .

فهل يستطيع أي عبد للماركسية والماركسيين من الضالين في العالم العربي أن يزعم أنه أكثر إيماناً بالمثل والقيم من إقبال وجيد . أو أنه اعظم منهما فهماً للسياسة والتاريخ والإقتصاد والحركات العمالية والفلسفات ، أو أكبر منهما عقلا وأشد منهما إخلاصاً ؟!.

والبلد الوحيد الذي لا تعيش فيه جرثومة الشيوعية لحظة واحدة هو البلد الذي يرفرف عليه العلم السعودي ، والبلد الوحيد في العالم السالم من النشاط الشيوعي هو البلاد السعودية المقدسة التي حماها الله بفضله .

أما البلدان العربية الأخرى ففيها بعض النشاط الشيوعي ، إلا أن الحكومات في بعضها يقظة له ، تهاجم أوكاره ، وتضبط وسائل إجرامه ، وتزج في السجون السفلة الذين دانوا بالشيوعية ، وتقف بالمرصاد لها ولهم ، وكلما لمحت منها بادرة بادرت بإخمادها والقضاء عليها .

وقد سألني بعض الإخوان عن رأيي فيمن ينقلب شيوعياً من المسلمين فأجبتهم ، وأذكر جوابي في هذا الموضع ليشاركني علماء المسلمين الرأي .

إن الشيوعية تنكر وجود الله ورسالة الرسل عليهم السلام ، وهذا وحده كاف لأن يهدينا إلى الحكم على معتنقها .

إن المسلم الذي يعتنق الشيوعية مرتد عن الإسلام ، لأنه يدين بغير دين الإسلام . وبخاصة المذهب الذي ينكر الخالق ويجحد الرسل ويتهمهم كذبا

وزورا أنهم ليسوا رسلا لأنه لا وجود لمن يرسلهم وهو الله ، وحكم الإسلام في المرتد معروف وهو القتل ، أما من يطري الشيوعية إطراء يشمّ منه تفضيلها على الإسلام فإنه يفهّم ويستتاب فإن أصر على التفضيل والإطراء قتل كفرا ، وإن تاب قبلت توبته على أن يعزره الحاكم بما يرى .

ويجب على حكام المسلمين أن يطبقوا الشريعة الإسلامية في هؤلاء المرتدين تطهيراً للبلدان الإسلامية من جرثومة الشيوعية ، وإعلاء لكلمة الله ، وتأييداً لدينه الحنيف واستئصالا لشأفتها باستئصال من يدخل فيها ممن يدعون الإسلام أو يتظاهرون به كذبا ونفاقا وتضليلا وخوفا من أن يؤخذ بجريرته وفساده وكفره .

ونرجو الله أن يلهمنا الصواب ، ويوفقنا للخير ، ويهدينا الصراط المستقيم ، إنه سميع مجيب .

٩ ـ ١٢ ـ ١٣٧٥هـ. احمد عبد الغفور عطار

الدعوات الهدامة

•

منذ قيام المجتمعات الإنسانية على وجه الأرض والعالم مبتلى بدعوات هدامة ما خات من أتباع برغم ثبوت بطلانها وفسادها قبل تجربتها وبعدها ، ولكنها ما كادت تولد حتى تهزل ، وتموت قبل أن تشيع ، وأما ما شاع منها فلم يكتب له البقاء ، وكان يحمل في أطوائه وسيلة فنائه . وما استمسكت دعوة من هذه الدعوات الباطلة إلا كانت كالنملة تموت عندما ينبت لها جناحان .

إلا أن الدعوات الهدامة القديمة التي كتب لها أن تلمع وتشيع لم تجد السبيل إلا إلى النفوس المريضة والأرواح الهزيلة والأمزجة الملتوية ، أما أصحاب الفطر السليمة فلم يؤثر عنهم قط أنهم استجابوا لدعوة تقوم على الشر والفساد .

وشر ما منيت به الأرض – منذ عرفت الدعوات البناءة والهدامة – الدعوة الشيوعية التي استباحت لترسيخ قواعدها ما لا يباح ، واتخذت من الوسائل أقبحها وأقذرها وأشنعها ، ومزقت كل الفضائل والقيم ، وحاربت كل الأديان . وداست المثل والأخلاق حتى لا تقف في طريقها قوة تمنعها عن السير وتصدها عن الانتشار .

ولم يكن الخطر من المذاهب الهدامة في القديم كبيراً . لأن وسائل الإجرام العلني لم تكن متقدمة ، وسبل النشر والإذاعة لم تكن ميسرة ، ولأن

دول العالم لم تكن تعرف بها ولم تتبادل التمثيل الدبلوماسي معها ، فكان الخطر قابعاً في حدود ضيقة لا يسعه أن يتجاوز المكان الذي تولد فيه تلك المذاهب ودعوات الشر والعدوان .

فالباطنية – مثلا – كانت مذهباً من شر المذاهب التي عرفتها الأرض . وقام بناؤها على الأسس التي قامت عليها الشيوعية ولم تفترق عنها إلا في بعض النواحي التي يعود فضل الفرق فيها إلى الزمن والى قيام الدولة .

ولدت الباطنية في نفس حيوان قذر امتلأ قلبه بالحقد على الإنسانية ، والنقمة من الفضائل والأخلاق ، وبنى مذهبه على نكران الغيب والإيمان بالمادة وهدم الفضائل كلها وإباحة المحرمات جميعها .

أنكرت الباطنية وجود الله ، وزعمت أن الرسل ادعوا النبوة طمعاً في حكم العامة ورغبة في السلطان ، والأديان صدى الحاجة ووليد الضرورة ، وأنكرت كل قيد من قيود العقيدة والخلق ، وسمت الفوضى حرية ، وجعلت الخلاعة والمجون والفسق والفجور والإباحية شريعة متبعة ، وجعلت كل ممنوع مباحا وكل حرام مباحاً ، وكل حريز مشاعا ، وفصمت عرى الزوجية بأن أباحت إتيان الولدان ، وجعلت اللواط لزاما ، وقضت على عاطفة الأمومة والأبوة والبنوة بنكاح البنات والأمهات والمحارم ، وأطلقت لكل غريزة جامحة عنانها ، ونشرت مذهبها بالسيف حينا وبالدس والمكيدة حينا ، واتخذت كل وسيلة حتى يشيع ، وحملت أصحاب الفطر السليمة حملا على أن يدخلوا فيها فإن أبوا – وكانوا يأبون دائماً – فالسيف لا يتورع عن أعناقهم .

والشيوعية انفجرت في نفس صاحبها الأول مثلما انفجرت الباطنية في نفس داعيها الفاذ ، وكان كلاهما معا ظل الطبع مسلوب الضمير ممسوخ النفس ملوث الآدمية .

إلا أن الباطنية لم تستطع أن تحكم وتسيطر إلا قليلا في بيئة محدودة ورقعة ضيقة ، لأن القوة المادية لم تحرسها ، بل لم تكن لديها قوة كبيرة تنشرها وتثبت قواعدها ، ولأن أصحابها لم يكونوا أجرياء وقحين كالشيوعيين الذين يعرضون عوراتهم دون أن يخجلوا ، ولأن الباطنية أنشقت على نفسها فكانت فرقا تجتمع في بعض الأصول وتفترق في أكثر الفروع ، ولأن الإنسانية كانت تعيش على الحياء .

أما الشيوعية فقويت لأن أبالستها الناكرين وجود الله أقاموا لهم دولة ، وكانوا أكثر حيوانية وأعظم جندا وأشد إجراما ، لم يجعلوا الموت بعد العذاب الأليم نهاية كل من لا يؤمن بمذهبهم الباطل الهدام فحسب ، بل قتلوا الأبرياء تقتيلا ، بل قتل الأتباع والحكام بعضهم بعضا ليُخافوا ويضمنوا الطاعة والاستسلام ، وجعلوا الأمن في أن يخاف كل أحد من كل أحد .

قويت الشيوعية لأن أصحابها ادخروا لها كل قوى الشر لحمايتها وحملوا الناس حملا على اعتناقها ، وشدوا أزرها بالإرهاب الذي جنوا به جنونا ، وأخمدوا أنفاس من يسأل أو يستفهم ، وحرسوا مذهبهم بأن عزلوا الشعب الروسي عن العالم فلم يمكنوا روسياً من الخروج أو غير روسي من الدخول ، وفرضوا عليه الشيوعية بالإكراه والتعذيب ، وجعلوه يعيش كالقوقعة في غيابة محارتها الضيقة ، وساعدتهم « الظروف » السيئة التي مرت بروسيا عقب الثورة على آل رومانوف .

ويكفي لتصوير حالة روسيا أن يعلم القارىء أن أي مذهب هدام كان يجد مجالا في روسيا ولو لم يستعن دعاته بالإرهاب والقوة ، لأن روسيا كانت تتطلع إلى تغيير حالتها بأي ثمن ، ودليل ذلك أن مذهب راسبوتين المحتال شاع في أرقى طبقات روسيا كما اعتنقته الطبقة الدنيا إذا صح ما نسب إليه .

وما أظن أحداً غير الشعب الروسي المسكين كان يقبل مذهب راسبوتين الذي بناه على أن طهارة الروح تنبع من تدنيس الجسد ، ويقصد به أن يبالغ الإنسان ويسرف في ارتكاب الموبقات ، المرأة تبيح جسدها لكل راغب حتّى يطهر روحها .

وكان راسبوتين أكرم من ماركس وأتباعه ، لأنه لم يزخرف مذهبه الهدام بما زخرف به ماركس مذهبه ، وراسبوتين لم ينكر وجود الله ولا رسالة الرسل بخلاف ماركس الذي قصد – أول ما قصد – إلى هدم الأديان كلها ، ولم يعلن راسبوتين للملأ كله أنه جاء بمذهب لسعادة البشر ، ولم يزعم أن مذهبه سيتيح للانسانية الاستقرار والطمأنينة والسعادة مدى الدهر كما تبجح ماركس .

فمن هو هذا الجاني الأثيم المسمى كارل ماركس ؟.

كارل ماركس

إنه كارل ماركس المولود سنة ١٨١٨ والهالك سنة ١٨٨٣م.

وكان أبواه يهوديين ، واسم أبيه هرشل ، ولما ارتد عن دينه وصبأ إلى المسيحية سمى نفسه هنريخ ، وذكر محبوه أن سبب تنصر أبيه أن اليهود لم يكونوا متحررين فكريا بل كانوا جامدين ، وكان هنريخ حر الفكر دارسا للفلسفة ، ولم يجد في اليهودية ما يتفق مع حرية فكره وعلومه وثقافته .

وهذا زعم غير صحيح ، فقد كان في عصره كثير من اليهود الفلاسفة ، ثم لا يطلب من المعتنق ديناً من الأديان أن يكون دينه فلسفة أو مدرسة فلسفية ، والدين الذي انتقل إليه هنريخ – وهو المسيحية – لم يكن مدرسة فلسفية أو فلسفة ، هو كاليهودية في الأصول ، وكلا الدينين يتفق في أنه بعيد عن الفلسفة بتعريفها العلمي الذي كان معروفا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر .

ويزعم بعض محبي كارل ماركس أن صبوء والده يعود إلى نفوره من القيود الدينية المفروضة على اليهود ، وجمود تعاليم اليهودية ، ورغبته في التحرر من قيود الطائفة الإسرائيلية .

وهو زعم كسابقه يرد عليه أنه كان في وسع هرشل أن يتحرر فكريا ويتمرد على أفراد طائفته مع التمسك بدينه .

أما الزعم الثالث الذي يذيع به أنصار ماركس أن سبب ترك هرشل اليهودية أن اليهود كانوا مضطهدين يقاسون أسوأ المعاملات من المسيحيين الذين

أرهقهم الربا الفاحش المفروض عليهم من الدائنين اليهود ، فترك كثير من اليهود دينهم وتنصروا لينجوا من الأذى الحاق بهم .

وسواء أكانت هذه الأسباب كلها صحيحة أم مجرد اعتذار فإنها لا تكفي لأن يتخلى المرء عن دينه بهذه السهولة ، وإن هذه الأسباب التي تتلمس الأعذار لهرشل تدل على أن المصلحة هي الدافع الأول .

فهرشل يهودي ، واليهود معروفون منذ وُجدُوا بالحرص على الأموال والأنفس والثمرات ، والتضحية بكل غال ورخيص في سبيل النجاة بالمال أو النفس ، فهو على بعض الأسباب يترك دينه لأن المسيحيين يعادون اليهود .

وأظن هذا السبب لا يكفي لأن يتنكر المرء لدينه ويتبرأ منه ويتخلى عنه .

والسبب الصحيح هو الرأي الثالث الذي ذكره محبو ماركس .

ولعل الرأي الأخير الذي ذكره محبو ماركس يحتمل أن يكون قريبا من الصحة ، ألا وهو النجاة بنفسه وأسرته وولده من نقمة المسيحيين وحقدهم على اليهود الجشعين الخبثاء ، وهذا يدل على أنه لم يكن صبوء والد ماركس دافعا من دوافع العقيدة والشعور الإنساني الرفيع ، بل دافع « المصلحة » هو الدافع له إلى ترك اليهودية فهو قد رأى أن يهوديته لا تمكنه من الربح والكسب فتركها وتدين بدين المسيحية التي تفتح أمامه أبواب الرزق .

هذا هو والد ماركس ، وهو وحده كاف في الدلالة على عنصره ومعدنه من ناحية العقيدة والخلق .

وماركس نفسه لم يكن من أولئك الذين يمتازون بالخلق الإنساني الرفيع ، ولم يكن من أصحاب المواهب البناءة التي تعمل للخير ، ولم يكن من أصحاب المدارس الفكرية وإن كان له أتباع وأنصار ، وكل ماله أنه أدخل بعض آرائه المنبعثة من نفسيته السوداء الكنود على النظرية المادية وجعلها أما لكل عمل عقلي أو فني أو شعوري ، وجعل المادة هي كل شيء ، وأنكر وجود الله .

إن ماركس لم يكن في شبابه الباكر ملحداً كافراً فقد قال : « إن خير الناس وأجدرهم بالتكريم من يعمل لخير الناس ، والدين أساس الحياة الإنسانية ، وهو نفسه يلقننا الحكمة والخير » ويقول : لنا : « إن المثل الأعلى الذي يجب أن يسعى إليه كل فاضل في الوجود هو أن نضحي بأنفسنا في سبيل خير الإنسانية وإسعادها » .

هذا هو ماركس في شبابه ، وتلك عقيدته برغم صبوء والده وبرغم ما تحدث الناس عن دوافع هذا الصبوء .

إلا أن الابن سر أبيه ، فكما ترك أبوه عقيدته فقد ترك الابن عقيدته الصحيحة واستبدل بها عقيدة أخرى تناقضها كل المناقضة .

ترك العقيدة التي تنبعث منها أضواء الخير والإنسانية شر ترك وحاربها أشنع حرب ، إلى عقيدة تتفجر بالخزي والحقد على الفضائل والإنسانية ، وزعم أن الدين أفيون الشعوب ، وأن الله غير موجود ، لا إله إلا المادة .

ما سبب هذا الكفر والنقمة على الإنسانية .

هناك أسباب كثيرة أقربها : أنه من نسل يهودي عبأ من أجل المادة ، فله بأبيه أسوة ، ثم أن الحياة كانت شديدة الوطأة عليه ، هو يريد مالا يعيش منه وينفق على نفسه وزوجته وأولاده ، ومن الذي يلقي إليه المال دون أن يقدم عملا يستحق عليه أجرا ، وإن السماء لا تمطر عليه الذهب ، فهو كافر بالسماء ، وكافر بالإنسانية لأن الناس لم يعطوه شيئاً .

ويكفي لتصوير بؤسه ما كتبته زوجته — واسمها جيني — إلى صديق لها تطلب إليه العون ، قالت : « إئذن لي أن أصف لك يوماً من أيام هذه الحياة ، وسترى أن غيرنا لم يقاس ما قاسينا ، فأنا مريضة سقيمة ، ومع أن ما بظهري وثديي من أوجاع وآلام ممضة فإنني مضطرة إلى أن أرضع طفلي الرابع الحديث الولادة من ثديي لأنني لا أستطيع أن أدفع أجر مرضعة ، ولكن طفلي

كان يرضع الحزن والألم والسقم فيتلوى من الوجع ليل نهار ، ومنذ أن ولد لم ينم إلا ساعتين أو ثلاثا في اليوم كله ، ومع كل هذا الفقر والحاجة دخلت علينا صاحبة المنزل وطلبت ما تجمع لها من أجرة ونقود اقترضناها منها ، والإيجار والقرض خمسة جنيهات . ولما كنا عاجزين عن الدفع فقد أحضرت سمسارين استوليا على كل ما نملك من أثاث وفراش وملابس ، حتى مهد الطفل استوليا عليه ، وخرجنا إلى الشارع وكان المطر ينهمر بغزارة والبرد قارس لا يرحم ، وبذل زوجي كل ما في وسعه من جهد فلم نجد من يقبل إضافتنا أو إيواءنا » .

وقالت زوج ماركس تصف إحدى ليالي البؤس : « أحست ابنتنا بنزلة شعبية وصارعت الموت ثلاثة أيام ثم ماتت ، وأخذنا نبكي عليها ولم يكن لدينا ما نجهزها ونكفنها وأبقينا الجثة ريثما نجد ما نستعين به على دفنها ، ومضيت إلى جار فرنسي مهاجر فأعطاني جنيهين ، واأسفاه ، وفدت ابنتنا إلى الدنيا فلم تجد مهدا ، وعندما غادرتها لم تجد كفناً » .

كان ماركس فقيراً مدقعا ، فقد كان أبوه ينفق عليه . فلما توفي اتكأ على أمه وأخته فأنفقتا عليه من إرثهما وكسبهما حتى كلتا من إرسال النقود إليه فقطعتاها عنه مضطرتين .

هذا هو نبي الشيوعية الذي يهتفون باسمه ويمجدونه . ويصفونه بالإنسانية يقفر قلبه من الرحمة على أمه العجوز وأخته المريضة ، ولا يدعهما وشأنهما بل يرهقهما بطلب المال حتى أكله وأكلهما .

كان واجباً عليه أن يتولى الإنفاق عليهما . ولكنه لم يؤد واجبه نحو أقرب الناس إليه ، بل أرهقهما كفرانا وسؤالا .

إن سبب إنكار وجود الله أن السماء لم تمطره ذهبا فكفر . وسبب إنكار الخير والإنسانية أن الناس لم يعطوه مالا ينفق منه وهو كسلان نائم .

إن ماركس كسول خامل يحب أن ينام أو يتشرد ، ويريد من الطعام أن يسلك طريقه إلى فمه دون كد منه أو عمل ، فبرغم حاجته البالغة وفقره المدقع ، وبرغم أنه كان يرى أطفاله يموتون من الجوع والبرد والمرض فإنه لم يكلف نفسه العمل ، فملأ الحقد قلبه وأكلت النقمة نفسه فآذن الإنسانية بحرب لا تبقي ولا تذر ، وأي حرب أشد من هلاك القيم ودمار المثل وانهيار صروح الدين والايمان ؟.

إنه كان ناقما على الإنسانية برغم أن معيشته كانت من الإحسان، فالمهاجر الفرنسي يعطيه ما يكفل تجهيز بنته ، وغيره يقدم له الطعام والسكن ، وماذا يريد أكثر من هذا وهو الذي يتشدق بأن من لا يعمل لا يأكل ؟.

او كان عند هذا الرجل خليقة الحياء وحب النفس والولد حبا صحيحا لاشتق من الصخر شبعا وريا ، ولصان زوجه ونفسه من التكفف والسؤال ، ولنأى بنفسه من الزارية والفضوح عندما بيع أثاثه وملابس زوجه ومهد طفله. ولكنه كان جامد القلب والشعور ، فاضطر زوجه أن تسأل وتتسول ، وأجبر نفسه أن يعيش على « فضلة » خير الآخرين .

ولم يكن الكسب الشريف مغلق الأبواب أمامه ، فقد أراد له أصحابه أن يعيش من كسب يده فاتفقوا له مع بعض الناشرين أن يؤلف كتابا لهم وأخذوا أجرا سلفا دفعوه له فأكله وهو نائم ولم يعمل ، وباع الكتاب المتفق عليه إلى ناشر آخر وأخذ منه الأجر ولم ينجز ما وعده ، لأن نفسه لم تكن من تلك النفوس الأبية التي يؤلمها أن تأكل حقوق الناس دون أن تهتم بالتسديد والوفاء .

وما أدري كيف تدفع الصفاقة والقحة أناسا يزعمون أنهم من بني الإنسان فيدعون أن ماركس مصلح .

إن المصلح إنسان نبيل ينأى بنفسه عن السؤال ، ويلزم نفسه بالسعي والعمل . فما أثر عن مصلح أو رسول أو نبي أنه أكل من كسب الآخرين وهو نائم على فراشه .

ما من مصلح قام على وجه الأرض إلا أكل من كسب يده ، وأحسن من فيض كسبه على الفقراء والمحتاجين .

ومن الافتئات على التاريخ أن يزعم الشيوعيون أو من اتبعوهم أن ماركس كان شفيقا بالطبقة العاملة ورحيما بالعمال ، فما أثر من تاريخه وتاريخ حركته ينقض هذه الدعوى ، فهو إذ نادى بإنصاف العمال ونادى إلى جانب ذلك بتحطيم الرأسمالية وسلب الملكية واستصفاء أموال الأغنياء .

وسبب هذا النداء أنه كان لا يملك شيئاً يخاف عليه ، ولا يستطيع أن يرتفع إلى طبقة الأغنياء والموسرين ، وخير حل يتفق مع حاله ومزاجه ونفسيته أن يتساوى الناس ويكونوا مثله فقراء ، والمساواة في البلاء تعزية وسلوان .

ولو كان لديه من حطام الدنيا شيء لتكالب عليه ودافع عنه ، بل نجده من أجل جنيهات معدودات تتسرب إلى جيبه الخاوي يتنكر لمذهبه ودعوته فيقبل ان يحرر في « صحيفة الدين » التي أنشأها بعض البورجوازيين ويكتب فيها مقالات أغفل فيها كل الإغفال دعوته حرصا على المال يأتيه ولو كان عن طريق لا يرضي مذهبه .

هذا يدل على أنه لم يكن زاهدا متنسكا ، بل كان شديد الطمع والحرص ، يتنكر في سبيل المال لمبدئه ويتنكر لأصحابه وتلامذته كما صنع عندما كان أحد تلامذته محرراً في إحدى الصحف وأقصي بسبب مقال كتبه عن بعض قواعد مذهبه ، فقد سعى حتى حل محله ، وكان المظنون أن يتابع حركة تلميذه التي هي تأييد لنفسه ، إلا أنه نسي ذلك كل النسيان وأخذ يندد بتلميذه ويتهمه بالسخف ويمشي في سبيل غير سبيله نفاقا منه وخوفا من أن ينقطع عنه هذا المورد الجديد .

ولم يكن ماركس رحيما بالعمال ، فقلبه الذي لم يتسع بالرحمة لأهله وأقرب المقربين إليه محال أن ينبض بها من أجل البعيدين عنه . وإذا كان لا

يرحم أباه الشيخ حتّى استنفد قواه وماله ولم ينهض للسعي والعمل والإنفاق على أبيه الجدير منه بالعون والرحمة فإن من الجهل أن يظن أحد أن في قلبه متسعا لمن لا تجمعه به صلة القرابة والنسب ، وإذا كان قاسيا على أبيه فإنه على غيره أشد قسوة وأشد تنكيلاً ، ثم إنه لم يأبه بأمه وأخته ــ بعد موت أبيه ــ بل كان عالة عليهما وأرهقهما بالطلب والسؤال حتّى قطعتا عنه العون .

كل هذا واقع يؤيده تاريخ ماركس وتاريخ الشيوعيين أنفسهم فكيف نصدق بعد هذه الوقائع والحقائق أن ماركس رحيم بالعمال وغيور على الطبقــة العاملة ؟

ليس أحد أحق بالرحمة من الوالدين والأهل ، وليس في الدنيا من يترك الغيرة على أهله ويهبها للناس ، وإن من يبخل على نفسه وعلى أبويه وإخوته وأولاده بالعمل ليرحمهم قمين ألا يجود به على غيرهم ، لأن الإنسانية في قلب الإنسان نبع صاف يرتوي منه أقرب الناس إليه ومن بعدوا عنه إذا كان من الإنسانية في الصميم .

أما إذا كان الوالدان لا يجدان لدى ابنهما ما يبل صداهما فإن من فقدان الإدراك والعقل والتمييز أن نصدق أنه أعاد الري لجميع الناس .

كان كارل ماركس مخادعا كذوبا ، لم يحفل بالطبقة العاملة ، وإنما تظاهر بذلك حتّى يسخرهم لمصلحته ويجعل منهم لنفسه جنودا وأعوانا يعملون لمجده وشهرته ، ويقوى بهم ، ويتظاهر بحبهم ما فنوا في شخصه وذابوا في كيانه وصاروا جزءا منه ، فإذا استقل منهم أحد برأي ، أو نبغ فيهم نابغ ، أو اشتهر من بينهم زعيم ، فإن ماركس أول المتنكرين الناقمين .

وآية ذلك أنه حارب عاملا من أتباعه المخلصين ارتقى به حبه لزملائه إلى أن يرأس حركة إصلاحية تخدم الطبقة العاملة أعقبت شهرته ، فحقد ماركس

على تابعه لشهرة أرادها لنفسه ، وحسده وطرده ، ولم يشفع له إخلاصه ، وهذا التابع الأمين هو « ويتلنج » المسكين .

وما أدري كيف يصدق عاقل أن نفسا كنفس ماركس مليئة بالحقد على الأديان والنقمة على الأخلاق والقيم والإنسان تعمل من أجل مصلحة الآخرين؟

كان من خلائق ماركس : الكذب . والغرور ، والإخفاق في كل عمل ، إخفاق في المدرسة وفي الجامعة حتى أنه لم يستطع مواصلة الدراسة الجامعية ، وإخفاق في مجال الحياة . وفشل في كسب العيش ، وركون إلى الخمول والكسل ، وطمع فيما بيد الناس ، وذلة مقيتة قضت على كرامته الأدبية فكان يتكفف ويسأل ، وجمود في العاطفة حتى أنه لم يؤثر في تاريخه أن له صديقاً واحدا صداقة بريئة لا تقوم على أساس البيع والشراء ، وإنجلز المعروف بحبه لماركس وصداقته له لا أراه صديقا إنسانيا ، لأن ماركس صادق إنجلز للمصلحة والمال ، كان إنجلز يحسن بالمال على ماركس فهو مضطر إلى مداراته ومجاملته حتى لا يغضبه ، ثم إن إنجلز كان ميسورا ، ورأى أن لماركس مستقبلا قد ينفعه لو سار معه فخصص له مالا يقبضه ماركس كل عام ، إن صداقتهما معاملة تجارية ومقايضة .

أما آراؤه التي وصفها هو نفسه بالعلم فلم تكن إلا نبوءات كاذبة لم تستطع أن تعيش إلا بعضها عاشت زمنا يسيرا بالإكراه ، ولم تتحقق نبوءة واحدة من نبوءاته الكاذبة بحذافيرها ، مع أنه زعم في قحة وكبرياء أن « النظام » الذي وضعه ستأخذ به الإنسانية آلاف السنين ولن تحتاج إلى نظام آخر ، ولا يقبل نظامه التغيير والتبديل .

ونظامه السياسي أو الإقتصادي قد اعتراه من التغيير خلال ثلاثين عاما حتى لم يبق منه إلا الاسم ، وأما المسمى فقد تغير ، ووضع مكانه مسمى آخر اشترك فيه أتباعه الهدامون المخربون .

وإن ماركس يشبه عندي « الزنبور » الذي ظنه الشيوعيون نحلا ينتج لهم عسلا ، وهذا « الزنبور » لا يستطيع أن يقدم للناس شهدا ولو امتص كل زهور الأرض ، إنهم لن يفيدوا منه إلا اللسع والطنين .

ولماركس آراء في الدين والمادية وفي الاقتصاد وفائض القيمة والأجور والطبقات ، وقد طبل لها الجهلة من أنصاف المتعلمين وزمروا وشيدوا لها التماثيل وطافوا بها ، ولو اطلعوا على ما كتب في نقد آراء ماركس البالية وكانوا على شيء من العقل لعرفوا أن آراءه ليست صالحة للتطبيق لما فيها من نقص وخلل .

ولا تستطيع هذه الكلمات القصيرة أن تستوعب كل ما يجب أن يقال ولهذا سنوجز القول ، لأن للشرح مجالا غير مجال أمثال هذه الكلمات ، وفيما يأتي من الصفحات المعدودة موقفنا من آراء ماركس خاصة ومن الشيوعية عامة .

المـادّيـة

●

يطلق على مذهب ماركس «الاشتراكية العلمية» تمييزاً لها عن ألــوان الاشتراكية الأخر ، وهو وصف أطلقه عليه أتباعه وأنصاره وليس اصطلاحاً علميا ، وهو ليس مذهب ماركس وحده بل شاركه في البناء والتأسيس إنجلز ، ويقوم على تفسير التطور الاجتماعي والتاريخ تفسيرا ماديا لا دخل فيه للعاطفة والشعور والروح ، ولولا أن العقل عندهما من إنتاج المادة أو أسمى إنتاجه لما أبديا نحوه اهتماما مذكورا .

والواقع أن ماركس لم يضع مذهبا ذا قواعد وأصول ، أو فلسفة مبتكرة ، فنظرية «المادية» *Materialism* قديمة ، والمذهب نسب إليه اعتباطا ، فهو لم يضع له قواعد وأصولا ، بل كل ما وضعه آراء متناثرة مبثوثة في مواضع متفرقة من كتبه ومقالاته التي جمعت معلوماتها على هدى من سبقوه من الفلاسفة . وقام تلامذته وأنصاره وجمعوا مما كتبه أصول المذهب المنسوب إليه .

والمادية — كما قلنا — قديمة ، وتذهب إلى أن الوجود مادي ، والإحساس به مادي ، والمادة كائن محسوس به قائم في حدود الزمان والمكان ، والعقل مجموعة المدركات الحسية . وما ينتج عنه هو من عمل الدماغ المادي ، فهو كالنور من المصباح ، المصباح مادي كالدماغ ، والنور كالعقل ، وهو من المدركات الحسية .

وهذا المذهب ذو أصول وجذور متعمقة في القدم ، فإنسان الغاب المغلق الذهن كان يجسد ربه ويجعله مادة منظورة ، وما تزال الشعوب البدائية تتخذ

أربابا مجسدة حتى أيامنا هذه ، إلا أن المادية العلمية قد سبق إليها ديمقريطيس ، وزعم أن الوجود نفسه مادي كائن من ذرات سابحة في الفضاء ، وفي الفلسفة الإسلامية ذهب بعض الفلاسفة إلى أن المادة لا تفنى ، وأن الوجود مادي كائن الراوندي في بعض كتبه عن النبوة ، إلا أن العلماء لم يأخذوا بمذهب المادية منذ قريطيس حتى العصر الذي يسمى في أوروبا عصر النهضة فانبعثت فيه « المادية » من جديد انبعاثاً قويا ، فزعم هوبس أن الوجود مادة ، وأن الأخلاق والعلوم مظهر متحرك لها .

ومصدر فلسفة ماركس وإنجلز غير واحد من الفلاسفة والكتاب ، ولهما أساتيذ كثر منهم فورباخ الذي اعترفا بأستاذيته لأنه رفع من شأن المادية وأنكر الروح والنبوة والأديان في مؤلفه « حقيقة المسيحية » الذي صنفه عام ١٨٤١م.

وموشى هس اليهودي يعد المنشىء الأول لفكرة الصهيونية وصاحب آراء في الشيوعية كان من أعظم أساتذة ماركس والمؤثرين فيه ، وكان ماركس يعتز بصلته به وبصداقته له ويثني عليه ويصفه بأنه إمامه في إحدى رسائلـــه لفورباخ .

وبنى ماركس وإنجلز مذهبهما الذي نسب إلى الأول على « المادية » ويجعلها ماركس سلما يرقى عليه كي يتسنى له إنكار الدين والأخلاق والفكر والفن والفلسفة والثقافة والقانون والسياسة ، ويتسنى له ردها إلى انعكاس الأحوال الاقتصادية ومصالح الطبقات ، ويجعل لها « ظروفاً » تمتد إلى الجذور المادية للحياة .

ويزعم كارل ماركس أن ارتقاء المجتمع هو تاريخ ارتقاء الإنتاج لا غيره ، وتاريخ ارتقاء الإنتاج قائم على استغلال المادة التي تكوّن منها الوجود المشتمل على ظواهر لا نهاية لها تبدو في أشكال مختلفة تصورها حركة الطبيعة الدائمة ، وهذه الظواهر عندما يرتبط بعضها ببعض يجري التطور في الطبيعة بوساطة الصراع بين الأضداد حيث تتصارع قوى غير متكافئة هي قوة الجديد والقديم

والماضي والحاضر ، والزائل والموجود .

قانون ارتقاء المادة هو الأساس الذي يقوم عليه ارتقاء المجتمع الذي يوجده ارتقاء الإنتاج .

والمادة والطبيعة والوجود حقائق موضوعية خارجة عن نطاق العقل ، وإن حياة المجتمع ووجوده المادي هما صاحبا السيادة على الحياة التي يزعم الرأسماليون وأرباب « المصالح » أنها روحية ، وما الحياة الروحية إلا انعكاس ضرورات الحاملين والمغتصبين والرأسماليين ، وأفيون المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات المنحطة المتأخرة (*) .

هذه خلاصة آراء ماركس وإنجلز أو خلاصة الماركسية في « المادية » .

وقد تناول أقطاب العلم وأساطينه نظرية « المادية » ونقضوا كل أسسها التي أقامتها الماركسية نقضا يقوم على التجربة والبرهان والحقائق .

وإن من الخطأ والجهل وضعف العقل أن يقول إنسان : إن المادة كل شيء ولا شيء غيره ، أو يزعم أن الروح كل شيء ولا شيء غيره ، والقول الذي يتفق في إثباته البداهة والعلم والتجربة والواقع أن المادة والروح هما الوجود ، ولا يمكن أن يتصور الإنسان أن أحدهما حقيقة والآخر عدم ، إنهما — معا — حقيقة .

وإذا كان أحدنا لا يستطيع أن يسمي ابنا له في عالم الغيب ، فكيف يطلب من العقل أو من الإنسان أن ينكر مسمى معروف الاسم قام على إثبات وجوده

(*) يوصف كارل ماركس في الجزء السادس والعشرين من «دائرة المعارف السوفيتية الكبرى» سنة ١٩٥٤ بما نصه : « وإن أعظم مأثرة تاريخيـــة لكارل ماركس تقوم على اكتشافه القوانين الموضوعية لتطور الطبيعة والمجتمع والفكر وتبيانه بهذا طريق معرفة العالم وتحويله تحويلا ثوريا كذلك » . ونقلنا هذه الترجمة من كتاب « كارل ماركس ، موجز قصة حياته » نشر دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية بموسكو. وكتب هذا التعليق في ١٣٩١ هـ للطبعة الثانية من كتابنا هذا. (المؤلف)

العقل والمنطق والضمير ، بل قامت المادة نفسها على إثبات الروح وإن جهل العقل وجهلت المادة كنهه وحقيقته .

إذا كنا نجهل كنه المادة بالنسبة لعنصرها الأصيل الذي تتكون منه فقمين أن نجهل كنه الروح ، ولكن الجهل بشيء ليس مدعاة لإنكار وجوده .

إن ماركس وأتباعه ومن كانوا على شاكلته اعتنقوا المادية ليتخذوا منها وسيلة لإنكار الخالق ووجوده ، وقد بنى ماركس مذهبه — كله — على إنكار وجود الله إنكارا شديداً .

وليس بعد هذه « الملوسة » هلوسة ، فإذا أنكروا وجود الله فلا جرم ينكرون الروح ويزعمون أن الحالات النفسية والتجارب الشعورية مظهر من مظاهر المادة ، وما دام مظهراً من مظاهر المادة فهي مادة .

وبنوا على إنكار وجود الله قواعد جعلوا أساسها إخضاع الفكر والفن والحياة للمادة وفسروا التاريخ وكل حوادثه تفسيرا ماديا ، وعزوا الثورات التي قامت على وجه الأرض إلى الضرورات الاقتصادية التي انعكس منها الدين والحضارة والمدنية والأخلاق وكل موجود .

ويزعم إنجلز أن « العالم المادي الذي ندركه بحواسنا والذي نحن جزء منه هو الحقيقة الوحيدة ، وليست المادة من إنتاج العقل ، بل العقل من إنتاج المادة ، وعلى حزب العمال ألا يقيم أعماله على مبادىء العقل ، بل يقيسها على الأحوال التي تقرر الحياة المادية للمجتمع لأنها عماد الرقي الاجتماعي ، المادة كل شيء وما عداها عدم » .

ولا يبالي الماركسيون بالعلم والحقائق ، فهم ما يزالون متمسكين بمثل هذه الآراء التي زيفها العلم وأبان فسادها العلماء ، إن جميع الناس يعرفون أن ٢ + ٢ = ٤ أما عند الماركسية فغير ذلك ، قد يكون الناتج ٥ أو ٦ أو مليون .

ماذا يقول الماركسيون بعد الكشوف العلمية التي تمت بعد هلاك ماركس منذ

ثلاث وسبعين عاما حيث تغير نظر العلماء إلى « المادة » وإلى « المادية » وحيرهم إيجاد تفسير مقنع لها أو تعريف جامع مانع يحصرها في حدود تظهر حقيقتها وكنهها ؟ .

إن العلم بهذه الطفرة الخيالية خلال نصف القرن الأخير لم يصل إلى حقيقة المادة وكنهها عندما تتحلل إلى عناصرها من الذرات وما زال العلماء حيارى — أمام لغز المادة بعد أن انتهوا علميا إلى أن المادة تتكون من ذرات — يتساءلون : ما الذرة ؟ كيف وجدت ؟ ما عناصرها ، ممّ تتكون هذه العناصر ؟ وما حقيقة الذرة ؟ ما كنهها ؟

إن الاجابة على هذه الأسئلة أشد تعقيداً وصعوبة من الاجابة على من يسأل عن الروح وكنهها وماهيتها وحقيقتها !.

ومع هذا يتشدق الماركسيون بأنهم أحاطوا بحقائق الأرض والسماء .

ويكفي لبيان فساد الماركسية أنها أنكرت وجود الخالق إنكارا قاطعا ، وما ثم جنون أفظع من هذا ، ومع هذا يجد هذا المذهب الباطل الهدام أتباعا في بعض بلاد المسلمين والعرب .

إنني لا أتصور إنسانا كريم الخلق ، أو إنسانا يرضى أن ينزل إلى درك أسفل من درك الحيوانية ، بل عندي الحيوان أكرم وأعز وأفضل من الذين ينكرون وجود الخالق ، ويزعمون أنهم « تقدميون » ومستقبليون .

إن إنسان الغاب منذ أقدم الأزمنة لا يعرف خالقا لأن عقله كان محدودا جد محدود ، فهؤلاء التقدميون المستقبليون رجعوا إلى الوراء ملايين السنين عندما أنكروا وجود الخالق ، فهم الرجعيون حقا ، لأنهم رجعوا إلى الوراء حيث الظلمة القاتمة .

ولكن من يجرؤ على إنكار الخالق يجرؤ أكثر أن يصف نفسه بالعلم والتقدم وهو أبعد ما يكون عن العلم وأشد ما يكون تأخرا .

إنهم لا يستحون ، ومن لم يستح يصنع ما يشاء دون خجل أو حياء .

رأس المال والقيمة

•

اطاع كارل ماركس على آراء بعض فلاسفة الاقتصاد والمال من أصحاب النظرية المادية وخصوم الرأسمالية وخرج منها برأيه الذي أضاف اليه من نفسه وملابسات حياته فزعم مزاعم شتى ، منها : أن رأس المال قسمان : قسم ثابت يتجلى في الآلات ، ومتغير وهو الذي يظهر في صورة الأجور والقيمة التي تعطى للعامل .

ويعتبر رأس المال – عنده – عقيما لأنه – كما يرى – أن رأس المال بطبيعته غير منتج ، إنما المنتج هو العمل ، والعمل هو العامل نفسه ، لأن العمل ينتفي بانتفاء العامل .

ويتبطن كلامه كثير من المغالطة ، فرأس المال ليس عقيما ، لأن العقيم لا يقبل الزيادة ويعتوره النقص ، ورأس المال قابل لأن يزيد وخاضع للنقص في كلا قسميه ، فالآلة تتآكل ، والعامل قد يقوى وقد يضعف .

ثم إن رأس المال هو المنتج الأساسي لأنه بغيره ما كان للعامل مجال للعمل فالإنتاج ، وإذا فرضنا أن رأس المال غير منتج ، فإن العامل – ولا شك – يصبح تبعاً لرأس المال غير منتج .

وهذه سفسطة تشبه رأي من يزعم أن الكبير أصل الصغير لأن البذرة الصغيرة من الشجرة الكبيرة أو أن الصغير أصل الكبير لأن الشجرة من البذر .

إن رأس المال في طبيعته وحقيقته منتج وغير عقيم ، والعامل منتج أيضاً ، وكلاهما جزء متمم للآخر .

ويقصد ماركس من رأيه في رأس المال ووصفه بالعقم القضاء على الرأسمالية ليتسنى له ـ كما يزعم ـ القضاء على الاحتكار والاستغلال وأكل حقوق العمال.

إن رأس المال يسلب العامل أجر عمله دون أن يكون له حق ، والأجر لا يعطى إلا مقابل العمل الذي ينتجه العامل . فبأي حق يستبيح رأس المال مقاسمة العمل ـ أو العامل ـ أجره وهو لم يعمل شيئاً ، فالحاجة التي ينتجها العامل في وقت ما تساوي الزمن كما يساوي رقم ١ في كفة رقم ١ في الكفة الأخرى ، إلا أن الأجر الذي يأخذه العامل أقل بكثير مما يستحقه ، فهو يستحق على الزمن الذي أنفقه ١٠٠ مثلا كقيمة له أو يستحق على الإنتاج ١٠٠ مثلا ولكنه لا يأخذ إلا ٥٠ أو ٦٠ أو ٧٠ فأين يذهب ما بقي ؟ يأخذه رأس المال أو صاحبه . فبأي حق استباح لنفسه أجر غيره ؟ أما كان العامل أجدر بالحصول على حقه من الرأسمال المستغل النهاب .

تلك أغاليط ماركس أو مغالطاته يريد أن يوغر صدور العمال حتى يحاربوا رأس المال ، ويتناسى أن فائض القيمة أو فرق الأجر لا يأخذه رأس المال اعتباطا وانتهابا ، بل يأخذ حقه لأنه هو سبب إيجاد العمل للعامل أو أحد طرفي الإنتاج ، ولولاه لما وجد العامل سبيلا إلى العمل .

ويتناسى ماركس أجر الخبرة الموجهة للعامل الذي يستحقه رأس المال ، فالخبرة لم تأت بدون ثمن أو عمل ، بل هي ثمرة تجارب علمية وعملية وزمنية ، وهو مستحق عليها أجراً يأخذه من فائض القيمة ، لأنه هو والعامل شريكان ، لكل منهما نسبة في القيمة ، للعامل جزء منها هو أجره ولرأس المال جزء منها هو أجر آلاته وخبرته وتجاربه وإشرافه وإتاحة الفرصة للعمل أو العامل .

وإذا أعطينا المائة كلها قيمة للعمل الذي هو العامل ، فأين أجر استهلاك الآلة وما يلزمها من وقود ونفقات لتبقى صالحة للإنتاج ؟ وأين أجر الفرصة التي أتاحها رأس المال ؟ وأين أجر الخدمة التي تظهر السلعة وتوجد لها المحتاج الذي يشتريها ؟ وأين أجر فهم قانون العرض والطلب ؟ وأين أجر الاختراع ؟ وأين أجر استثمار المال .

إن السلعة لا قدم لها تمشي بها إلى السوق ، وهي لا تستطيع أن تبيع نفسها ، بل لا بد أن يتولى رأس المال نقلها إلى السوق ، ويتولى عرضها على الشاري ، والسلعة لم تتكون من نفسها ، وليس العامل وحده هو الذي أوجدها ، بل سبقه عقل فكر وابتكر ثم أحسن التوجيه ، وأتاح الفرصة ، وأوجد السوق ، وحشد لها من الجهود والناس جيشا يتولون أمرها حتى تباع .

وكل هذه « العملية » الطويلة العريضة لا تأتي عفوا وبدون أجر ، فكيف نسلب حقوق هذه « العملية » ونعطيها للعامل وحده .

إن القيمة التي يستحقها العامل لم تأت من يده وحده ، بل شاركه فيها رأس المال فهو جدير أن يحتسب من القيمة أجره تلقاء ما بذل .

ثم إن العامل شريك سالم الخسارة ، يأخذ أجر عمله ولا يسأل عن رأس المال أكان رابحا أو خاسرا .

هذه مغالطات ماركس أو أغاليطه ، أما مزاعم الشيوعية حيال الأجر فكثيرة أهمها :

أنها زعمت أن من في حوزتها من العمال يحصل على أجر يسد حاجته وعند ما طبقت المذهب تخلت عن هذا لأنه مستحيل التطبيق ، واضطرت أن تمشي على الطريق وهو أن يحصل الفرد من الأجر على قدرما ينتج لاعلى قدرما يحتاج.

ومهما يكن فإن الشيوعية قد استطاعت القضاء على الرأسمالية في الاتحاد السوفياتي ، ولكنها استبدلت بها رأسمالية من نوع بالغ السوء والشر ، إلا أن « اختفاء الرأسمالية في روسيا لم يعد بالنفع والخير على العمال ولم يمنحهم الحرية ، ولتدرك الطبقات الكادحة خارج الاتحاد السوفياتي كل الإدراك لهذه الحقيقة المرة ألا وهي أن في روسيا شر أنواع الرأسمالية وأسوأها [1] » .

---

١ – اندريه جيد .

الطبقة العاملة

●

زعم ماركس وأتباعه أن الشيوعية تعني بالطبقة العاملة وتعمل لإسعادها وتحريرها من الظلم الاجتماعي والجور الاقتصادي وتأمينها من الخوف والجوع والمرض ، ورفع مستواها المعاشي والخلقي ، وإعادة الحرية إليها ، ومساواتها بالسادة الحاكمين ، ورد حقوقها المسلوبة منها إليها .

ولهذا زعم أن الشيوعية تروج في البيئات ذات الصناعات الكبرى التي يحتشد في صعيدها آلاف العمال ، لأن الشيوعية تشعرهم بما يلاقون من ظلم واستعباد من الرأسمالية التي لا تعرف الرحمة ولا العدل .

لم يصح تكهن ماركس هذا لأن الشيوعية لم ترج إلا في بلاد الصناعات المتأخرة كروسيا التي لم تكن معروفة بالصناعات الكبرى ، كما أن الشيوعية لم تنجز ما وعدت به الطبقة العاملة بل تنكرت لها وسلبتها الحرية ، وحشدتها للعمل ، وسخرتهم للإنتاج دون أن تحفل بشيء إلا أن يكون الناس آلة تنتج ، و « عقيدة الشيوعية أن المجتمع يمكن تحويل أفراده إلى أدوات أو ماكينات » [1] وحولت هي أفراد مجتمعها إلى آلات .

ولم يستجب من طبقات العمال للماركسية في غير روسيا التي استعان البلاشفة فيها بقوة الحديد والنار على تثبيت قواعدها ودعائمها ، وقد صدق أندريه جيد عندما وصف روسيا بعد رجوعه منها بقوله : « روسيا دولة بوليسية ، والكرملين

---

١ — يوميات اندريه جيد .

لا يتوسل إلى إخضاع الناس بقوة البوليس والسجن وحدهما بل بقوة أكبر من ذلك ، بتلك القوة الملازمة لمالكية كل عمل اقتصادي والاستيلاء على إدارته » .

ولو كان في مذهب الشيوعية « الفردوس » لاستجاب له كل الطبقات العاملة في العالم ، أو لاستجاب له العمال في بعض البلاد ، ولكن لم يستجيبوا لأنهم عرفوا أن الشيوعية تجعل من بني الإنسان قطعاناً يسيرها سوط الراعي الغشوم ، وتمحو الشخصية الانسانية وتذيبها في الدولــة ، وتسلب الفرد حريته ، وتصب الآدميين في قوالب هم يحددونها حتى يسهل عليهم قيادة الجماعات والجماهير .

ولا يستطيع أي عبد للماركسية أن يتبجح ويكابر ويزعم أن العمال في أمريكا أو بريطانيا أقل مستوى في الفكر والفهم والمعيشة من زملائهم في روسيا ، بل العمال في الغرب – وعلى الأخص في امريكا وبريطانيا – أرفع مستوى من العمال في الاتحاد السوفياتي ، بل لا نسبة بين هؤلاء وأولئك في شيء .

يقول إجنازيو سيلوني أحد مؤسسي الحزب الشيوعي في إيطاليا وأحد أقطاب الشيوعيين الذين رضيت عنهم موسكو ورفعت مكانهم عليا ، يقول عندما زار موسكو وقابله فيها عامل إيطالي اكتسب الجنسية الروسية لاخلاصه لمبادىء ماركس ولينين وستالين : « جاءني هذا العامل يشكو من الأحوال المهنية التي تحيط بحياة العمال في المصنع الذي يشتغل فيه بموسكو » وقال : « إنه لا يرى بأسا من تحمل النقص في الأغذية والمواد الأخرى ، ولكن لا يفهم لماذا يبقى العمال تحت رحمة إدارة المصنع ، وليس لهم أحد يحميهم أو يرعى حقوقهم ! ولماذا يكون حالهم أسوأ من حال زملائهم في البلاد الرأسمالية ، ويسأل هذا العامل في أسى : أحقا أن أكثر حقوق العمال التي سمع عنها ووصفت له في أزهى الصور مجرد أقوال وكلمات نظرية ؟ » .

ولما وقف سيلوني على حقائق الشيوعية وعلى ما تلاقي الطبقة العاملة من ذل

وهوان وتعذيب وتجويع وسلب للحرية خرج على الشيوعية وكفر بها واشمأز منها ومقتها ، وحذر الطبقة العاملة في كل بلاد العالم أن تنخدع بأكاذيب الشيوعية ومفترياتها .

ويصف أندريه جيد الذي زار بصحبة كبار موظفي الخارجية الروسية المصانع والمزارع في كثير من بلدان روسيا ، يصف حياة العمال الذين عاشرهم وجلس اليهم ورآهم وهم يعملون فيقول : « إن العمال كانوا يعيشون في أبشع صنوف الفاقة والذلة ، وجماعة « المخبرين » الذين خانوا زملاءهم في السجن والعمل هم أصحاب الحظوة والامتياز في المستعمرات النموذجية وغيرها ، ولهم السلطان المطلق » .

ويهزأ أندريه جيد بروسيا فيقول : « إن ما أعجبه فيها أنها ألغت تلك الكلمة : بعرق جبينك تأكل خبزك ، وليس صحيحاً أن من لا يعمل لا يأكل ».

ويحذر جيد كل الطبقات العاملة في كل أقطار الأرض من أن ينخدعوا بأكاذيب الشيوعية التي قضت على إنسانية الطبقة العاملة في بلادها وسلبته كل حقوقه .

ولا يستطيع أي عبد للماركسية أن ينكر أن نقابات العمال حمت الطبقة العاملة ومنحته من الحقوق والأجور والامتيازات ما لم يكن يحلم به العامل في روسيا ، بل إن العامل في امريكا وفي بريطانيا يتمتع بحريته الشخصية أكثر مما يتمتع به سادة الكرملين .

ومن الحقائق التي عرفها العالم عن الشيوعية وما أعدت للطبقة العاملة فإن بعض عبيد الماركسية في الشرق يصدق الأكذوبة الضخمة التي أطلقها ماركس وخلفاؤه من أن الشيوعية منحت العامل حق السيادة ، وأنه السيد الآمر الناهي وأنها تعد كل طبقات العالم العاملة بالسيادة متى تبلشفت ، وتدفع الصفاقة والجهالة والظلمة عبيد الماركسية فيزعمون أن فضل ارتفاع مستوى الطبقة العاملة

خارج الاتحاد السوفياتي يعود إلى الشيوعية التي حملت راية الدعوة التي تطالب برفع مستوى العمال .

إنهم لا يستحون فيقولون ما يشاؤون دون مبالاة ، وإلا فكيف يعللون قيام دعوات إلى الإصلاح ورفع مستوى العمال قبل أن تعرف الشيوعية ؟ وأن كثيرا من البلدان كان العمال فيها يعيشون في هناءة ورخاء قبل الشيوعية وبعدها .

وفضل ارتفاع مستوى العمال في البلاد الأخرى ليس مرده إلى الشيوعية ولكن إلى انتشار التعليم وضرورات الحياة التي كثرت مطالب العامل فيها .

إن المصانع تنتج ملايين القطع من حاجات الأنسان ، وكل إنسان محتاج إلى كثير مما أصبح ضرورة لازمة له ، فإذا لم يرتفع مستوى معاشه فإن تلك القطع تبور في الأسواق وعند بوارها تقفل المصانع أبوابها وتقف عن الإنتاج والعمل ، فهي — إذن — مضطرة أن ترفع أجور العامل حتى تمكنه من الشراء ليضمن المصنع دوام عمله .

ثم إن القوانين الديمقراطية في البلاد الديمقراطية تقوم بحراسة الفرد وإعطائه ما له من حقوق ، ومن هذه الحقوق الطبيعية أن يكون غذاؤه حسنا ومسكنه صحيا وملابسه نظيفة وحريته مكفولة ، فإذا ارتفع مستواه فإن ذلك ليس من فضل الشيوعية ، ثم إن قانون العرض والطلب مما يهيء الفرصة للطبقة العاملة .

وإذا أخذنا بزعم الشيوعية وعبيدها وعزونا — كما يريدون — فضل ارتفاع مستوى الطبقة العاملة إلى الشيوعية فإن ذلك يتيح للشيطان أن يتبجح ويفتخر بأن الفضل له وحده في وجود الرسل والهداة والمصلحين والمشرعين وبناء المساجد والبيع والصلوات ، وفي وجود الأخلاق الفاضلة ، وفي سمو

الإنسانية لأن ذلك ما كان ذا قيمة لو لم يكن هو موجوداً ، ولولاه ما عرفت الإنسانية قيمة الخير والفضيلة والسلام والحلال والبر والمعروف .

إذا جاز للشيطان أن يفخر بشيء من هذا فإن للشيوعية أن تدعي المفاخر والمزايا .

***

الديمقراطية

•

أقرب تفسير للديمقراطية أن يحكم الشعب نفسه حكما يعود النفع فيه إلى كل فرد منه بحيث تكون الحرية مكفولة ، والمساواة قائمة والعدالة سائدة ، وفرصة العمل والعيش متاحة ، والديمقراطية — بعد — أن يتمتع كل فرد بكافة ما له من حقوق مقرونا بأداء ما عليه من واجب نحو ربه ، ثم مجتمعه ونفسه وكل من يحيط به .

فهل الشيوعية تبني قواعد حكمها على الديمقراطية ؟ وهل الشيوعي يتمتع بمزاياها ؟.

إن الديمقراطية — أو الديمقراطية الشعبية كما يسمون — لا وجود لها في مجتمع الشيوعية ، وكيف توجد وهي تزعم أن الحرية — أولى مزايا الديمقراطية — تشغل الأفراد والجماعات عن الاهتمام بما يُصَب عليهم من ظلم اجتماعي وجور اقتصادي ، ودستور الاتحاد السوفياتي نفسه يزعم أن الحرية ليست ذات قيمة كبيرة لأنها تلهي الجماعات عن الظلم الاقتصادي . ويجب أن تفنى حرية الفرد في حرية الجماعة .

وبهذا المنطق قضت على الحرية والديمقراطية ، وزعمت بعد هذا أنها حققت المساواة ، والواقع أنها حققتها على منطق الشيوعيين الخاص ، وما أدري

كيف يجترئون فيسمون اشتراك الناس في الظلم مساواة ، إنها حققتها باستصفاء حرية الإنسان ، فهي تعطي الفرد الطعام تلقاء أخذ حريته ، ومن أراد الحرية فلا طعام ولا حياة .

المساواة :

وما هذه المساواة التي تجمع كل الأفراد في المصيبة والبلاء ؟

إن الشيوعية تزعم أنها تعمل للمساواة ، فالحقوق التي لهذا هي نفسها لذاك، والواجب الذي يؤديه زيد هو نفسه الذي يؤديه عمرو ، وجعلت أبواق دعايتها تردد أنها المذهب المختار الذي يضمن المساواة ، ويضمن – على الخصوص – المساواة الاقتصادية ، وهو قول مردود لا يتبطن شيئا من الحق .

ولقد تخيل ستالين سنة ١٩٣٤ م. خصوما في داخل الاتحاد السوفياتي نددوا بالشيوعية فرد عليهم قائلا : « إن هؤلاء الخصوم يحسبون أن الشيوعية تقضي بالمساواة في مطالب العيش لكل فرد ، إنه رأي سخيف يصدر من فكر مشتت ، إن المساواة التي أرادوها هي التي أضرت بصناعاتنا أعظم الضرر » .

ولا نجد في الشيوعية مساواة أمام القانون ، ولا مساواة في الحقوق ، وقد زعمت أنها قامت للقضاء على الطبقات حتى لا يضم المجتمع إلا طبقة واحدة لا تفاضل بين أفرادها في الحقوق والواجبات والأجور ، ونفذت ذلك بالقوة، ولكنها لم تستطع أن تستمر ، لأن قوة الممكن كانت أقوى من نظرياتها الخيالية ورغباتها الجنونية ، وعندئذ تراجعت وأخذت بنظام الطبقات المتفاوتة في الحقوق والواجبات والأجور ، وأصبح في روسيا بضع طبقات هي : طبقة الحكام ، وطبقة المفكرين ، وطبقة الصناع ، وطبقة الزراع ، وطبقة المسخرين .

والمسخرون هم المساكين المغضوب عليهم ، وعددهم حوالي عُشر سكان الاتحاد ، ونصيبهم من الدخل ٣ بالمئة أما طبقة المفكرين فأعلى الطبقات أجرا ، وعددها ١٣ بالمئة من السكان ونصيبم من الدخل ٣٢ بالمئة ويدخل في هذه الطبقة الجواسيس وكل من يخدم الماركسية أو الحكام .

وزعمت الشيوعية أنها قضت على الألقاب رغبة في المساواة بين الناس ، ثم عادت من جديد واعترفت بها ، فأصبح في الاتحاد الألقاب والرتب بأفظع مما كان عليه من قبل .

الحرية

•

الحرية بجميع أنواعها غير موجودة ، ومن يحاول أن يلذ بأتفه أنواعها فقد حياته ، بل لا تستطيع في بلد الشيوعيين أن تقول : إن « ماركوني » مخترع اللاسلكي ، لأن الدولة تزعم أن مخترعه الأول الأصيل هو الكسندر بوبوف ، وما ماركوني إلا لص دنيء . ونسبتك الشيء إلى صاحبه جريمة يقع على مقترفها أقسى العقوبة إذا كان من تنسبه إليه غير روسي شيوعي ، وفيما سبق من القول في هذه الكلمة وفيما يأتي مصداق ما نذهب إليه . نعم ، إن الحرية بجميع أنواعها غير موجودة .

الحرية الاقتصادية :

فالحرية الاقتصادية لا تجد في الثورة الروسية نصيراً ، بل هي مفقودة فقداناً تاماً ، لأن كل وسائل الانتاج سواء أكانت مصنعاً أم مزرعة أم أي مرفق من المرافق أو أي مصدر من مصادر الثروة ملك للدولة ، ويقضي تملك الدولة لكل شيء قل أو كثر على التنافس الذي هو روح الحرية الاقتصادية ، ويتبع هذا انتفاء اختلاف القيمة الناشيء من التنافس الذي لا تملكه جماعة أو شركة أو فرد ، فالفرد لا وجود له ولا حرية عنده لأنه استحال من إنسان إلى « رقم » هو « عمل » في صورة فرد آدمي ، وهو أجير لدى الدولة ، وأجره طعامه وسكنه ، ثم إن الرأسمالية مفقودة بالنسبة إلى الأفراد والجماعات

وموجودة بالنسبة للدولة ، لأنها استبدلت بالرأسمالية المعروفة رأسمالية كبرى هي رأسمالية الدولة ، وإلغاء الملكية الفردية ، والقضاء على التجارة الداخلية ، وتأميم جميع المؤسسات ، والاستيلاء على أموال الأمة ، واتباع نظام السلع ، واحتكار الدولة للتجارة الخارجية قضت على الحرية الاقتصادية والتعامل الاقتصادي .

حرية الفكر :

وحرية الفكر آخر ما يمكن أن يعيش على صعيد الشيوعية ، فالمفكر المستقل غير موجود إطلاقاً ، والنقد معدوم ، والمعارضة مفقودة ، والرأي العام لا أثر له ، فالصحافة تحت سيطرة الحزب ، ولا تسيرها قوة الشعب ، بل تخضع لحفنة من الحكام الطغاة يوجهونها حسب مصالحهم الشخصية وأهوائهم الباطلة ، « بل إن مجرد تفكير المرء في نفسه اتهام له بأنه ضد الثورة وجزاؤه النفي إلى سيبريا [١] » .

ولم يؤلف في روسيا منذ سيطرت عليها الشيوعية حتى الآن كتاب واحد في نقدها ، بل لم ينشر قط مقال في صحفها ينقد الماركسية ، ولا يباح دخول كتاب أو رسالة أو صحيفة تنقد الشيوعية والشيوعيين .

بل جزاء كل من يوجد عنده القرآن أو الانجيل أو كلمة في نقد المذهب الشيوعي الموت أو النفي إلى مجاهل سيبريا ، بل لا يباح للأفراد أن يطالعوا في المكتبات على ما يخالف الشيوعية أو يناوئها ، ومن يجرؤ على طلب كتاب كهذا فان البوليس السري المنتشر في كل مكان سيلقيه إلى النار .

---

١ - كتاب « المعبود اي هوى » ص ٢٤٢ .

وكل ما أنتجته المطابع الروسية خلال سيطرة الشيوعية من فن أو أدب أو قصة موسوم بطابع الشيوعية . حتّى العام نفسه طبعوه بطابعهم ، فزعم رئيس مجمع العلوم الروسي الأستاذ فافيلوف أن العلم السوفييتي ليس فرعاً من العلم العالمي ، بل هو علم منعزل مختلف بطبيعته ونطاقه ، ومزيته الأولى أنه دون غيره يقوم على أساس فلسفي واضح ، وهو الأساس الذي وضعه ماركس وإنجلز واينين وستالين » .

حتّى الطب والجراحة والرياضيات والفلك وعلم النفس وسائر العلوم كلها موسومة بطابع الشيوعية ، ويراد من هذا أن يقنعوا الشعب الروسي بأن كل علومه منبثقة من الماركسية دون غيرها ، والعلم الروسي هو العلم الصحيح أما غيره فهراء .

وكثيراً ما نسمع عن انتحار أديب روسي ، ويعزون انتحاره إلى أسباب ملفقة ، وقد انتحر عشرات الأدباء في روسيا ، بعضهم من الرعيل الأول فيها ، وسبب انتحارهم معروف وليس سوى الخوف من الطغيان والقتل بالتعذيب والإرهاب .

لماذا لم ينتحر زملاؤهم في العالم غير الشيوعي ؟ وإذا كانت الازمات النفسية سبب الانتحار فذلك كاف للدلالة على ما يلاقي الفكر وأصحابه من الشيوعية حتّى يفضلوا الموت على الحياة .

وليعلم القارىء مدى ما يتمتع به الفرد الروسي من حرية تنقل له جملة من كتاب « لا شيء غير الاغلال » لمؤلفه نيكوليفسكي : قال ؛ « إن في روسيا أربعة عشر مليوناً فرضت عليهم السخرة ويحيون كالبهائم في حظائر تحيط بها حواجز مسيجة بالأسلاك الشائكة ، محروسة حراسة قوية بجنود

يرابطون في أبراج عالية لا يغفلون ثانية عن المراقبة ، وزودت الأبراج بأنوار كاشفة قوية ، ويطوف آلاف الكلاب الضارية خارج الأسلاك ، فاذا نجا هارب من رصاص الحرس لم ينج من مطاردة الكلاب تفري لحمه ، وهم يقومون بأشق الأعمال التي لا يطيقها بشر ، وهؤلاء هم رجال الدين وأحرار الفكر والأدباء وكل معارضي الشيوعية والمشتبه في أمرهم » .

هذه هي الحرية في فردوس الشيوعية الكاذب ، وخلاصة القول أن حرية الفكر في روسيا لا وجود لها إطلاقاً .

حرية العامل :

وحرية العامل كباقي الحريات خرافة ووهم ، فالعامل مستعبد لا يستطيع أن يتبرم من مصنعه ، لأن مجرد التبرم يعتبر تمرداً عقابه السجن أو النفي أو التعذيب أو الموت ، وإذا تأخر عامل عن موعد العمل نصف ساعة فانه يساق إلى النيابة لينال عقابه أياً كان العذر .

ولا يملك العامل أقل جزء من الحرية في عمله أو مصنعه أو في المزرعة ، لا حريته الشخصية مكفولة ، ولا حرية فكره مكفولة ، ولا حرية عمله مكفولة ، ولا يملك الانتقال من مكان إلى مكان إلا إذا أرادت الدولة ، فقد صدر قانون سنة ١٩٣٠ م يقضي بربط العمال بمصانعهم وألا يغادروها إلا باذن خاص ، ولا بد للعامل أن يطيع طاعة عمياء كأنه جندي في الكتيبة لا حق له في الخروج ولا السؤال . يؤمر فيطيع ، وليس من حقه الاختيار والتفضيل .

وصدر قانون آخر سنة ١٩٣٩ م يقضي بعقاب كل عامل يتأخر عن عمله

نصف ساعة ، وعقابه – كما ينص القانون – السجن أو التسخير .

ويعاقب القانون كل من يعطف على عامل تأخر عن موعد العمل ثلث ساعة كأن لم يبلغ أو ستر أمره أو تغاضى عنه أقسى عقاب ، ويسمي القانون العمال المتأخرين دقائق عن الموعد « مجرمي التأخير » والعاطفين عليهم « مجرمي التستير » .

ولا يعطى العامل إجازة إلا نادراً ، وإذا أعطيها فلا بد أن يكون انتقاله معلوماً معروفاً وإلا فالعقاب الأليم .

حرية الانتقال :

وحرية الانتقال غير مكفولة لأحد حتى أعضاء الكرملين ، ولا يباح لروسي أن يتمتع برحلة ، وإذا منح حق رحلة فلا بد أن تكون في داخل الاتحاد وتحت الرقابة ، أما الخارج فلا ، إلا من تبعثه الدولة في عمل رسمي .

وصدر في روسيا قانون يسمى « قانون نظام البطاقات » يجبر كل إنسان أن يحصل على بطاقة معدة له يكتب فيها كل ما يهم البوليس أن يعرفه حتى الذوق والطعام والشراب واللباس .

الحرية الشخصية :

والحرية الشخصية معدومة ، وهي تموت بطبيعة الحال في بيئة تسلب الفرد حرية التفكير والقول والعمل والرأي والانتقال ، وتجعل للبوليس السياسي السلطان المطلق يقتل من يشاء دون أن يطالب بابداء الأسباب ،

وللقاضي أن يحكم باعدام أي فرد بحجة أنه خطر على الأمن ولو لم يقم دليل على الاتهام ولو لم يكن خطراً .

ويصور اندريه جيد الحرية بقوله : « زرت مركزاً جماعياً نموذجياً في الاتحاد السوفييتي ودخلت عديداً من البيوت فيه ، وليتني أستطيع أن أصور لكم أثر الألم البليغ الذي تركته في نفسي زيارته وأعني به انتفاء الحرية الشخصية كل الانتفاء والخلو التام من مظاهر الاستقلال الذاتي ، فقطع الأثاث البالي القبيح وصورة ستالين في كل بيت ، ويصح تبادل بيت بآخر دون أن يشعر الساكن بأي تغيير ، هذا البيت بأثاثه هو البيت الثاني نفسه في كل شيء » .

حرية الاعتقاد والعبادة :

أما حرية الاعتقاد والعبادة فمثل ما سبق من الحريات ، ويظهر ذلك من موقف الشيوعية من الأديان جميعها ومن الأخلاق الفاضلة كلها .

عرفت الشيوعية أن الحرب التي تهددها وتمحوها من الوجود هي الأديان وعلى الأخص دين الاسلام ، لأنه الدين الذي يعنى بانشاء المجتمعات وحراسة الجماعات والأفراد ، ويضع النظم والقوانين ويقدم الحلول الصحيحة لكل ما يشغل بال العالم من مشاكل .

عرفت الشيوعية أن الخطر الوحيد الذي يهددها هو الدين فأنكرت وجود الله أشد الأنكار ، لأن الأديان الصحيحة تقوم على إثبات الوحدانية لله والإيمان بوجوده ، وأنكرت الدين حتى يتسنى لها إنكار الخالق ، وزعم ماركس : « أنه لا إله إلا المادة ، والمادة كل شيء ، والحياة هي المادة » وقال إنجلز : « لا مكان لوجود الله » . وقال هوبز : « لا وجود لله » وقال ماركس :

« رسالة الطبقة العاملة القضاء على الدين والمتدينين والداعين اليه » وأيده الحزب الشيوعي بقوله : « لا يستطيع حزبنا أن يكون محايداً للدين ، لأن الدين ينافي الشيوعية والشيوعية تنافيه » .

فما قول الطبقات العاملة ؟ أتقبل أن تحارب الدين الذي يحمي كل فرد سواء أكان حاكماً أو محكوماً من كل أنواع الظلم ؟ .

ثم لا يكتفي ماركس بانكار الله وإلغاء الدين في ضمير الإنسان وحده ، بل طلب أن يستعين بالانكار في دراسة كل ما يريد دراسته فزعم قائلاً : « إن امتداد إنكار وجود الله إلى دراسة الحياة الاجتماعية يكسبنا نتائج هامة إذ يفسر المجتمع ويرد الحوادث إلى أسبابها المادية البعيدة عما يسميه الجهلاء الإرادة الإلهية أو الإله » .

عرف الشيوعيون أن الدين يحض على الخير والرحمة والسلام ، ويبني المجتمع على أسس الفضيلة والتعاون والعمل الصالح ، فحاربوه وقضوا عليه في الربوع التي أخضعوها لحكمهم ، ووصفوه بأنه « أفيون الشعوب » وأنه متكأ العجزة القاعدين ، وألعوبة الرأسماليين والطامعين اتخذوه للسيطرة على الطبقة العاملة والتحكم في العامة .

وبدأت الثورة الروسية بحملة على رجال الدين واستأصلتهم ولم ينج منهم إلا عدد جد يسير حرم عليه الظهور في المجتمعات ، وأغلقت بيوت العبادة وأحالتها إلى حظائر وملاعب ومواخير مبالغة في الإزراء والتحقير والتنكيل .

ولم يكفهم هذا ولا غيره فأقاموا متاحف للالحاد وألفوا جمعيات لا دينية لمحاربة الأديان وإظهارها على غير حقيقتها تنفيراً للناس منها ، وما كانوا

في حاجة إلى هذا الأسلوب من التنفير بعد أن أجبروا الناس على الكفر والإلحاد ، وأخرجوهم من الدين كرهاً وقسراً .

قضوا على الدين لأن الدين يوجد المجتمع الفاضل ويحرسه ، ويزود الانسان بأحسن الخلائق وأنبل الصفات ، والدين والشيوعية خصمان لا يجتمعان على صعيد مهما كان الأمر ، ولا يمكن أن يتهادنا لحظة مهما كانت الدواعي والأسباب .

قضوا على الدين لأن الشيوعية لا تجد متنفساً لها إذا كان الحكم للدين . ولهذا قضوا عليه . ويزعم العبيد المسخرون المأجورون وغير المأجورين أن الشيوعية تترك للفرد حرية العقيدة ، كل إنسان حر في اعتناق أي دين يعجبه ، وكل إنسان حر أن يكفر ويسب الله والأديان ، ويكذب هؤلاء معبودهم ستالين — الذي هوى على أم رأسه — ستالين الذي أذاع بياناً في الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٣ م عندما أراد أن يتماق رجال الدين في العالم فقال : « إن الحزب الشيوعي لا يسعه بعد ما بدا من رجال الدين في صفوف القتال من وطنية أن يحرم الروسيين بعد الآن من حرية الضمير وحرية الاعتقاد » .

إن ستالين يعترف بأن الروسيين كان محرماً عليهم حرية الضمير وحرية الاعتقاد ، ولم يمنحهم هذه الحرية إلا منذ أعوام قبل هلاكه .

ولقد نشر بيان ستالين في جرائده الرسمية وأذاعته محاط إذاعته ومحاط العالم الإذاعية في كل مكان ، وهي تدل دلالة واضحة على أن حرية الاعتقاد لم تكن مكفولة في روسيا ، ولم تبح إلا في سبتمبر سنة ١٩٤٣ م عندما كان الألمان يهددون معاقل الشيوعيين .

ولم يستطع الأفراد الإفادة من هذه الحرية لأن ستالين لم يعطها صادقاً ، بل كان مخادعاً كاذباً ، فهو عندما أباح من ناحية فتح بعض الكنائس والمساجد ورأى اقبال الروسيين خشي أن تستيقظ الروح الدينية ويرفع الخطر رأسه على الماركسية فحاربها بأن جعل عبيده الملاحدة يفظعون الأديان تفظيعاً وينقدونها ويكرهون الناس فيها ويختلقون للرسل تهماً هم منها براء .

وعندما يشعر الفرد — أي فرد وكل فرد — في روسيا أن الدولة تكره شيئاً ولو بعض الكره ، أو لا ترضى عن شيء يبتعد الفرد المسكين فراراً بنفسه ، وبذلك خلت بيوت الله من المصلين إلا الجواسيس الذين كانوا يترددون عليها يرصدون من صدقوا بيان ستالين وانخدعوا بقوله .

ولا تجد في روسيا مدرسة واحدة — نعم واحدة — لتعليم المسيحية أو الاسلام ، ولا تجد فيها من يؤدي فرائض الله علانية ، بل كل ما فيها من آثار الدين أن تجد فيها بعض الشيوخ الطاعنين في السن يدينون بالاسلام أو المسيحية وأبقت عليهم الشيوعية لا إيماناً منها بحرية الاعتقاد أو رحمة بأولئك المساكين ، بل أبقت عليهم للافادة منهم عندما تريد أن تتظاهر بأن الشيوعية تبيح حرية الاعتقاد جراً لمغنم أو دفعاً لضر .

وأولئك الشيوخ المساكين ليسوا خطراً على الشيوعية .

ومن هذا الرصيد المتبقي من المتدينين تنفق الشيوعية بتقتير عندما يعن لها أن تخدع الناس بإسم حرية الاعتقاد ، فتختار من تختار ،وتبعثه للحج إلى مكة أو القدس ، ومن تأذن لهم لا يتجاوزون المائة من أبناء جميع الأديان .

وليعلم القارىء أن الفارق بين عهد الشيوعية وما قبله من العهود في هذا السبيل نذكر الحقائق المشهودة منا نحن أبناء مكة المكرمة — حرسها الله — والحقائق المستقاة من الوثائق الحكومية .

كان مجموع ما يأتي كل سنة إلى مكة المكرمة للحج من الروسيا وبخاري والقرم وغيرها من البلدان التي احتلتها الشيوعية حوالي ثمانين ألفاً مع وعورة الطريق وسوء « المواصلات » وعندما سيطرت الشيوعية لم يقدم حاج واحد ، فانهد ركن الاسلام الخامس ، ومنذ بضع سنين أذنت للحج ، ولكن عدد من حجوا لا يتجاوزون الأربعين وكلهم شيوخ كبّار .

ولا تجد في كل البلدان التي تحكمها الشيوعية شاباً يعتنـق الاسلام أو المسيحية ، لأنها ربته ونشأته على الكفر والإلحاد ، وقد سأل علي أمين أحد صاحبي دار أخبار اليوم شابة روسية عندما زار موسكو منذ بضعة شهور عن الله ؛ فسألته : وما الله ؟ إننا لا نعرفه ولا نسمع به .

وهكذا أعدت الشيوعية الشباب الروسي .

ولم تقف جهودها التي أثمرت القضاء على الدين بعد أن تم لها ما أرادت ، بل والت بذلها ، فاستصفت الأوقاف الدينية ، وحرمت التعليم الديني ، ورصدت العقاب بالموت لمن يحلف بالله ، وأصدرت مجلة سمتها « لادين » وزعتها في كل مدينة وقرية بالاتحاد ، وأسست « اتحاد الإلحاد » وبلغت فروعه سنة ١٩٣٥م سبعين ألف فرع تضم عشرات الملايين .

وفي الدستور السوفييتي الذي صدر سنة ١٩٣٢ م نص على وجوب القضاء على الأديان كما صدر في مايو سنة ١٩٣٢م قانون على الهيئات الدينية خلال خمس سنوات جاء فيه : « في أول مايو سنة ١٩٣٧م لن يبقى في كافة البلاد أي مكان للعبادة ، ويجب القضاء على فكرة الإله التي هي من بقايا القرون الوسطى المظلمة » .

وأخاف القانون الناس فنفروا من الدين وأخذوا ينشرون الإلحاد ، والتعليم نفسه ينشر الكفر ، وحذرت الشيوعية كل الأفراد من التدين وذكرت أنها لا تقبل في صفوفها من يؤمن بدين من الأديان .

وفي القوانين التي صدرت سنة ١٩٣٩م قانون يمنع الاجتماعات الدينية ويمنع الهيئات والأفراد من الاحتفاظ بأي نوع من الكتب الدينية .

هذا موقف الشيوعية من الأديان جميعها ، أما موقفها من دين الاسلام خاصة فهو موقف العدو اللدود اللئيم القذر من خصمه الشريف .

الشيوعية والإسلام

●

الشيوعية تعرف أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي أتى بقواعد محكمة للحكم والنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والمالي والتجاري ، ولم يترك أي مشكلة يمكن أن تحل بفرد أو جماعة أو أمة أو حكومة إلا قال رأيه الواضح الصواب فيها ، ومنح الانسان الحرية ووضع قواعد المجتمع الفاضل ومد للانسانية طريق الخير وصانه من الانزلاق في بؤر الشر .

عرف الشيوعيون أن مذهبهم لا يمكن أن يسود ما دام الإسلام ، فحاربوه أعنف حرب عرفها تاريخ الأديان ، وحاولوا أن ينشروا مذهبهم في الشرق الاسلامي بكل وسيلة ، ولكن الدين صد تيارهم الجارف ، وزاد عن حمى المسلمين الشر ، وهزم الماركسية شر هزيمة جعلت مولوتوف يقول في خطبة له : « لن تنتشر الشيوعية في الشرق إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التي يعبدونها في الحجاز وإلا إذا قضينا على الإسلام . »

وبذلوا المستحيل لصرف المسلمين في الشرق الاسلامي عن القبلة ، وأرادوا هدم الإسلام فخذلهم الله وسلم بلاد المسلمين من الخطر الأحمر ، وليعلم اسياد الكرملين أن الغد القريب للاسلام إن شاء الله ، فلقد استيقظت شعوب الأرض المسلمة وحررت نفسها من الاستعمار الغربي ووقفت أمام

البلشفة وقفة الجبار ، ولن تستطيع الشيوعية هزم الاسلام ما كان في الوجود ذرة واحدة .

أما المسلمون في الروسيا والبلدان التي احتلتها الشيوعية مثل تركستان وبخارى وطاشكند وفرغانه وخوارزم وأرمينية فقد حصدتهم حصداً ، واستأصلتهم استئصالاً ، حتى الأطفال الأبرياء كانوا طعمة لرصاص الشيوعية المنهمر ، لقد قتلوا من المسلمين في هذه البقاع ما يعدون بالملايين .

أما من نجو من القتل ولم يستطيعوا الفرار فقد أذلتهم وأرغمتهم على اعتناق الشيوعية وفي سنة ١٩٣٣م اتبع البلاشفه الملاعين طريقة فاجرة شيطانية للقضاء على الروح الدينية في الأطفال ، فكانوا يجمعون الأطفال في « عنابر » كبيرة في كل المدن الاسلامية المحتلة من الشيوعية ويقولون للاطفال : هل الله موجود ؟ فيجيبون في بساطة وبراءة : نعم ، فيسألونهم : من الذي يعطيكم الطعام ؟ فيجيبون : الله . فيقولون لهم بعد تجويعهم : هيا اطلبوا من ربكم الطعام ، فيصيح الأطفال : يارب ، أعطنا الطعام ، ويرددون الدعاء ، وينتظرون الاجابة ، والسماء لا تلقي بالطعام جاهزاً في صحون ، والله قد جعل لكل شيء سبباً ، ويطول انتظارهم ، حتى يتلوون من الجوع ، وعندئذ يقول الأبالسة الجاحدون : قولوا أعطنا الطعام يا ستالين ، فيقولون ، وعندئذ يهرع الخدم بالطعام الممتاز الفاخر ، فيطعمون ويشربون ، وبعد أن ينتهوا يقول لهم الشيوعيون : أرأيتم ، لو كان الله موجوداً حقاً لأعطاكم الطعام ، ولكن لأنه غير موجود لم يعطكم ، إنما ستالين هو إلهكم ، وهو الجدير منكم بالعبادة والذكر والتقديس .

آلاف اللاجئين الذي شردتهم روسيا يروون هذا ، وكل فريق منهم من

بلد ويعيش في بلد ، آلاف في الهند وآلاف في إيران وآلاف في الحجاز ، وكل مدينة من مدن هذه البلدان تضم مئات وآلافاً من هؤلاء اللاجئين وكلهم يروون هذه الحادثة المكررة على بعد الديار واختلاف اللغات .

ولا يظن القارىء أن هذا الكلام خيال أو من نسج اللاجئين المشردين ، فله أشباه ونظائر في الحوادث التي وقعت قريباً وهي لا تقبل الشك .

لقد عرض منذ شهور فيلم روسي عنوانه « سقوط برلين » صنعه الكرملين نفسه ، وفي غير منظر كنت تجد الجيش الروسي في ميادين الحرب يبتهلون إلى ستالين قائلين انصرنا يا ستالين ، لن نهزم ما دام ستالين معنا ، سننتصر لأن ستالين معنا .

هؤلاء الرجال بالملايين وهم في حالة تجعل الإنسان يتجه إلى خالقه يطلب منه العون والنصر يتجهون صوب الكرملين ويدعون ستالين ، فاذا أرغم الأطفال الأبرياء من قبل البلاشفة المردة فلا غرابة .

إن دعاء الرجال الأشداء المحاربين لستالين وابتهالهم إليه وطلبهم منه العون والنصر أكبر من دعاء أطفال مغلوبين أبرياء ، فاذا كان ما عرضه الكرملين نفسه في فيلم « سقوط برلين » كذباً أو خيالاً فان حادثة الأطفال تصبح مجالاً للمظنة والتكذيب ، أما وذلك اعتراف الشيوعيين فهذا أدعى إلى القبول والتصديق .

قضوا على الروح الدينية في نفوس أطفال المسلمين وغير المسلمين بتلك الأساليب الخبيثة ، أما المسلمون الناجون من الموت والاستئصال فقد أرادت

الشيوعية أن تمحو منهم كل شعور ديني أو شعور بالخير نحو إخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى ، وأن تقطع صلاتهم بعضهم ببعض ، فأصدرت الشيوعية سنة ١٩٣٣م قانوناً يقضي بعدم استعمال الحروف العربية ويلزم المسلمين القلائل باتخاذ الحروف اللاتينية حتى يقطعوا صلة المسلمين بتاريخهم وبلغة القرآن ، ثم في سنة ١٩٣٧م رأت الشيوعية أن اتخاذ الحروف اللاتينية غير كاف في صبغ المسلمين باللون الأحمر ففرضت عليهم اتخاذ الحروف الروسية وفرضت عليهم اللغة الروسية وآدابها وثقافتها الالحادية عوضاً عن العربية والثقافة الإسلامية وبدلا من اللاتينية التي ترجم إليها بعض ذخائر العرب والمسلمين .

واستأصلت الشيوعية كل صلة بين المسلمين في الاتحاد الروسي وإخوانهم خارجه بأن قضت على الروابط الروحية والثقافية بين مختلف القوميات واللغات والأجناس ، لتتم لها الحيلولة بين المسلمين في الروسيا وخارج الستار الحديدي .

وإن ما لحق المسلمين في روسيا الحمراء من عذاب وتقتيل وتشريد واستئصال للملايين منهم أبكى البابا المسيحي نفسه فاستنزل اللعنة على البلاشفة ودعا الله أن يرحمهم من هؤلاء الشياطين الكفرة الفجرة ، وعزى المسلمين أجمل عزاء .

ويدل موقف الشيوعية من الأديان كلها ، ذلك الموقف الذي أشرنا إليه في إيجار ، واستدللنا على إثباته بالوثائق والأسانيد ، على نصيب الناس من حرية الاعتقاد وحرية العبادة .

ونخلص من كل هذا إلا أن الحرية بجميع أنواعها مفقودة في الاتحاد السوفييتي ، وبخاصة الحرية الدينية .

السلام العالمي

•

من مفتريات الشيوعية والشيوعيين أنهم يعملون للسلام العالمي ، وأن قواعده لن تقيمها إلا الماركسية ، وأن الرأسمالية هي التي تزلزل قواعد السلام وتثير الحروب العدوانية من أجل سيطرة طبقة خاصة ، وأن الأديان تخدم الرأسمالية وتشاركها في إثارة الفتن، وتخدر الشعوب، وتجعلها وقود الحروب .

وتاريخ الشيوعية القريب المعاصر يثبت غير ذلك ، فأساس مذهبهم قائم على إثارة القلائل والفتن والحروب ، وتكذيب دعاواهم من أقوالهم وأفعالهم أنفسهم ، وأول دليل على أنهم « المخربون الهدامون الذين يذبحون كل يوم حمامة من حمائم السلام تأسيسهم الشيوعية الدولية (الكومنترن) واسمها يدل عليها ، والقصد منها نشر المذهب الهدام في كل أقطار الأرض ، وانتزاع الدين والأخلاق من نفوس العمال ووضع الشيوعية بدلها وسوقهم إلى الميادين ليكونوا وقود الفتن وباعثها .

وأسس الكومنترن إثارة الفتن السياسية والاضطرابات الاقتصادية وإقلاق المجتمعات، وشغل الحكومات بأفانين من النزاع الداخلي تشغلها عن الاستعداد لمواجهة العدوان الخارجي ، ومساعدة الطبقة العاملة على الثورة تمهيداً لتغيير كل أنظمة الحكم في العالم ليسهل على الشيوعية أن تثب إلى كراسي الحكم .

لماذا أسس الشيوعيون الكومنترن إذا كانوا يريدون السلام العالمي؟

ولكن انصار الشيوعية يزعمون أن روسيا ألغت الكومنترن رغبة في السلام وينسون أنها تظاهرت بالغائه عندما كانت مهددة من النازية سنة ١٩٣٤ م تقرباً للحلفاء حتى تضمن عون الديموقراطيات .

وسواء عليها أتظاهرت أم لم تتظاهر فان الحلفاء كانوا مضطرين لمساندة روسيا ومساعدتها عسكرياً لأنها كانت تحارب هتلر الذي هددهم شر تهديد ، ولكن إذا لم تتوسل الشيوعية بالكذب والرياء فمن يتوسل ؟ !

إنها ألغت الكومنترن في الظاهر . ولكنها لم تلغه حقيقة فقد غيرت الاسم . واستبدلت بالكومنترن مكتب الاستعلام الشيوعي (الكومنفورم) ومهمته مهمة الكومنترن نفسها . يقول جرافت شنكو – أحد كبار الشيوعيين الذي بعثه الكرملين إلى أمريكا فانتهز الفرصة وبقي فيها لاجئاً ولم يعد إلى روسيا – يقول : ان موسكو لا تزال توجه الحركات الشيوعية في جميع أقطار الأرض برغم تظاهرها بحل الشيوعية الدولية .

ويؤيد قول جرافت شنكو وغيره ستالين نفسه الذي يقول في كتابه « مشاكل اللينينية » : « إن من حق روسيا بل من واجبها استخدام القوة مع استخدام كل الوسائل التي تبلغنا أهدافنا في إشعال نار الثورة في كل بلد أجنبي إذا ما أتيحت الفرصة لإشعالها ، والفرصة لا توجد من تلقاء نفسها . بل لا بد أن نبذل المستحيل حتى نوجدها ونستغلها في مصلحة الماركسية » .

وفي التمهيد المكتوب لمشاكل اللينينية يقول كاتبه : « إن دراسة تاريخ

الحروب تطمئننا وتجعلنا نعتقد جازمين أن النصر سيكون للشيوعية التي ينشرها ستالين كما نشرها لينين ، ووسيلة هذا النصر التي لا وسيلة سواها الحرب وإشعال نار الفتن في كل بلاد أجنبية » .

وليست هذه عقيدة الشيوعيين المسيطرين ، بل كان هذا هو رأي ماركس وإنجلز الذي وزع على مواد الدستور السوفييتي الذي جاء فيه : « إن الشيوعية تؤمن بمبدء اجتماعي واحد هو صراع الطبقات » ويزعم ماركس وإنجلز أن « تاريخ كافة الجماعات الحاضرة هو تاريخ الصراع بين الطبقات » ومن أقوال ماركس المشهورة : « صراع الطبقات يقود بالضرورة إلى دكتاتورية الطبقة العاملة ، وهذه الدكتاتورية لن تتاح إلا باشعال نار الثورة العمياء والانقلاب الشامل المبيد . ولن تستطيع الطبقة العاملة التحرك ولا النهوض بنفسها إلا بنسف جميع طبقات المجتمع المتراكمة فوقها بعد أن تصحو من الأفيون الذي خدرته به الأديان حتى لا تفيق فتتحرك وتنهض وتبيد » .

ويضيف لينين إلى أقوال ماركس وإنجلز قوله : « من غير نظرية ثورية لن تكون حركة ثورية . ورسالتنا أن نثير الطبقة العاملة ونملأ قلوبها بالحقد والغيظ حتى تستطيع هدم المجتمع بابادة الطبقات التي تتراكم عليه » .

ويأتي ستالين ليردد آراء متبوعيه الشياطين فيقول في رسالته « المادية الجدلية » : « تحرير الطبقة العاملة وقف على الثورة المدمرة ، ولن تثور الطبقة العاملة إلا إذا ملأنا صدورها بالمقت والحقد على الطبقات الأخرى والخوف منها . فالمقت والحقد والخوف والضغينة هي بواعث الثورة ووقودها ، وعندما تبدأ الثورة نلقي فيها بالوقود تلو الوقود حتى تلتهم كل من يناوئنا » .

وما أظن بعد هذا يبقى مجال للشك في أن الشيوعية هي التي تهدد السلام العالمي ، ثم إن جراثيمها الفتاكة التي تلقيها في الظلام فتلوث النفوس والضمائر وينحرف المصابون بها عن الجادة ما تزال تلقى بوساطة وسائلها ، وآية ذلك ما نقرأ أو نشهد من قبض الحكومات على أوكار شيوعية تعمل على نشر السموم والجراثيم .

ولولا أن الله رحيم يهتك الأستار عن هؤلاء المخربين ويرد كيدهم إلى نحورهم لسالت دماء وأزهقت أرواح .

التعصّب الجنسي

•

من أكاذيب الشيوعية التي انخدع بها الأغرار وبعض حسني النية من غير الروس أن الشيوعية قامت للقضاء على الجنسية والقومية والوطنية ، وأنها تفتح صدرها لبني الانسان دون أن تعبأ باختلاف الأجناس والألوان واللغات والأديان ، وأنها تحضن الانسان أياً كان ، وزعمت أن التعصب الجنسي مقضي عليه لامحالة بوساطة الشيوعية التي تموت في تربتها القوميات والوطنيات.

وتكهن كارل ماركس نفسه بأن الشيوعية آفة الجنسية والقومية والوطنية ، وأنها متى سيطرت ماتت هذه الفوارق التي أخرت الاقتصاد العالمي ، وكانت سبب كوارث فظيعة وكثيرة .

وأراد الله ان يفضح الشيوعية ويظهر أكاذيبها فكانت لها دولة تملك سدس المعمورة من الأرض وعشرها من السكان . فهل أنجزت ما وعدت ، وطبقت مبدأها هذا ؟ .

كلا . نقولها ودليلنا الشيوعية نفسها ، فقد لجأت إلى الوطنية تذكي بها حماسة الجيش الروسي وتثير حفائظه ضد الألمان ، حتى أن ستالين نفسه عندما أراد تسويغ إتاحة حرية العبادة للقلة من المسلمين والمسيحيين في زمن

الحرب زعم في بيانه أن الحكومة الروسية تمنح رجال الدين حرية العبادة لما أبدوا من وطنية صادقة في صفوف القتال .

وأشاد ستالين وزملاؤه بالقومية إذكاء للروح الوطنية ، وطلبوا إلى المواطنين الروس الصبر والكفاح حتى يبرهنوا لغيرهم تفوق « الجنس الروسي » وإيمانه بقوميته .

أما التعصب للجنس فلم يؤثر عن أمة أنها فعلت ما فعل الشيوعيون ، فقد تفردوا في هذا المضمار وانتهوا إلى حد الوقاحة الوقحة المخجلة لو يخجلون .

وبلغت بهم القحة أن يجعلوا العلم الذي لا وطن له ولا لون ذا جنس ولون . جنسه روسي ولونه أحمر . حتى أن رئيس مجمع العلوم الأستاذ فافيلوف قال في خطاب له ورد‌ده في مقالاته كما ردده غيره من العلماء والحكام والكتاب من الروس : « العلم السوفييتي ليس فرعاً من العلم العالمي ، بل هو علم منعزل مختلف بطبيعته ونطاقه . ومزيته الأولى أنه دون غيره يقوم على أساس فلسفي واضح . وهو الأساس الذي وضعه ماركس وإنجلز ولينين وستالين » .

فما رأي أذناب الشيوعية في الشرق العربي والاسلامي في هذه الأضحوكة أو المهزلة ؟ أيصبح أن تكون النتيجة الحسابية من ٢ + ٢ = ٤ نتيجة حمراء . إذا لم يصح هذا فزعم فافيلوف باطل ، ومع بطلانه يثير السخرية من رجل مبرز في العلوم يرأس مجمعاً علمياً يضم آلاف العلماء النابغين ، ولكن الشيوعية التي لا تخجل تجبر العلماء أن يقولوا ما يجعلهم سخرية أمام غيرهم وهم مجبرون فراراً بجلدهم أن يسلخه القصاب الروس إذا لم يأتمروا بأمره .

وأفظع من هذا أن تستبد القحة بالشيوعيين إلى حد الاستخفاف بالعقول والحقائق والتاريخ ، وتتبجح أمام العالم بدعاوى يعرف تلامذة الابتدائية وعامة الناس كذبها ، ويحملهم على الكذب العريض السافر والاستخفاف المهين تعصبهم الجنسي الحقير ، فهم يدعون أن الاختراعات الكبرى في العصر الحديث أصحابها الأصلاء روسيون ، ومن نسبت إليهم من الأمم الأخرى سطوا على المخترعين الروسيين وسلبوهم حقوقهم وادعوها كذباً وبهتاناً ، وزعمت الشيوعية أن « ماركوني » ليس مخترع اللاسلكي ، وإنما مخترعه الحقيقي هو « الكسندر بوبوف » الذي اخترع اللاسلكي سنة ١٨٩٥ م ، ونشر العلماء الروس المختصون في علم الراديو بجريدة « أزفيستيا » خطاباً زعموا فيه أن ماركوني ليس إلا لصاً سطا على بوبوف ، واحتفلت روسيا منذ إحدى عشرة سنة بالذكرى الخمسينية بمناسبة مرور خمسين عاماً على هذا الكشف العالمي ، وقررت الحكومة الروسية تخصيص يوم سمته « يوم الراديو » تكريماً للمخترع الروسي .

وزعمت الشيوعية أن « أديسون » الأمريكي لم يهتد إلى الكهرباء على هدى تجاربه . بل سبقه العالم الروسي « لوويجين » فقد أضاء أول مصباح بالكهرباء قبل أديسون بست سنين ، ولكن الرأسمالية التي تسرق العمال سرقت مفخرة لوويجين ومنحتها لأديسون .

وزعمت الشيوعية أن علماء روسيا سبقوا العالم إلى كل اختراع كبير أو كشف علمي جديد ، فالعالم الفرنسي « لافوازييه » الذي نسب إليه وضع القانون الخاص بتركيب الأجسام ليس هو واضعه ، بل واضعه الحقيقي هو العالم الروسي « ميشيل لومونوسوف » .

وزعمت أن العلماء الروس اخترعوا التلغراف قبل « مورس » وتسيير

القاطرة البخارية قبل « ستيفنسن » وقانون الجاذبية قبل « إسحاق نيوتن » ونظرية « أن الجماد يحس » قبل العلامة الهندي « بوز » .

وهكذا زعمت الشيوعية أن كل اختراع كبير هو روسي الأصل سطا عليه لصوص العلماء من الأجانب وادعوه .

ولم يقف التعصب إلى هذا الحد ، بل تجاوزه إلى أبعد منه ، فالشيوعية تتهم كل من ينسب كشفاً علمياً أو اختراعاً إلى صاحبه غير الروسي بالخيانة والكفر بالوطنية ، بل إذا ذكر عالم روسي حقيقة علمية لا ترضي الشيوعيين يعاقب منها بتهمة الخيانة لمبادىء ماركس .

كتب العالم الروسي « جيرات » مقالا نقد فيه الأستاذ « ليسنكو » العالم الروسي المختص في علم الكائنات ، وذكر اسم عالم غربي نسب إليه فضلا علمياً في علم الكائنات رأت فيه الشيوعية أن جيرات آثر الغرب دون زميله المواطن ليسنكو فاتهمته بأنه خائن ، وطلب الشيوعيون مجازاتــه بأقصى العقوبات حتى لا يجرؤ غيره على أن يتأسى بهذا الخائن .

حتى العلم الذي لا وطن له صبغته الشيوعية باللون الأحمر .

جنة الشيوعية هي جحيم الانسانية

وعدت الشيوعية العمال بأنها ستدخلهم في الجنة التي أعدتها لهم ، تلك الجنة مهيئة لطبقة العمال وحدها ، لأنها لن تسمح لغير هذه الطبقة أن تدخلها ، وبعد أن سيطرت على سدس الأرض وعشر سكانها صارت تلك الجنة جحيماً يتلظى فيها العمال ، ولم تحقق وعداً من وعودها الكثيرة ، لأنها وعد الكاذب ، ولأن ما وعدت به غير قابل للتطبيق ما دام للانسان روح وكرامة .

وشيوعو الشرق من عبيد الماركسية يزعمون أن الشيوعية جنة الأرض ، ويتشدقون بدعاوى يعلم الله والناس كذبها ، وما أظنهم يجرؤون – إذا كان لهم عقل وخلق – أن يزعموا أن سادتهم في الكرملين – الذين لا يتجاوزون أصابع اليدين عدا – يحيون حياة العمال ، ولا يستطيعون أن ينكروا أن سادتهم يعيشون أعظم من عيش القياصرة ، بل يفوقونهم بذخاً وترفاً ، وكبرياء وصلفاً ، ويستعبدون ويجورون بحيث لا يوجد لظلمهم شبه في التاريخ كله .

بل لم يذكر التاريخ قط أن مستبداً ظالماً صنع ما صنع ستالين أو أي أحد من زملاء هذا « الوحش » اللعين .

براهين من الكرملين

●

كان اسم ستالين كافياً لأن يزلزل كيان أي أحد في الروسيا ، بل كان يزلزل الأرض تحت قدمي أي قائد أو كبير ، وإذا أتيح لأحد أن يقابله فانه يشعر أنه يقابل جلاداً غشوماً ظلوماً ، يقابله وهو ينتفض من الجزع ، ويتخلع من الخوف .

ولا يظن أحد من عبيد الماركسية أنني ألقي القول جزافاً ، بل اقدم لهؤلاء السفلة المتبلشفين عن جهل أو عمى في البصيرة دليلا صادراً من الكرملين نفسه .

عرض في مصر فيلم روسي عنوانه « سقوط برلين » صنعه الكرملين ليظهر عظمة ستالين وبطش سلاحه وقوة جيشه وبأس جنوده ، ومن المناظر التي نقتبس منهـا الدليل للتاريخ أن رئيس مصـانع الحديد والصلب في روسيا بذل من الجهود مـا جعلها تنتج أضعاف مـا كانت تنتج ، وظفر برضـا الدولة ، فأفضل ستالين وسمح لهذا الرئيس أن يسعد برؤية وثنه المعبود أو الممقوت . ولمـا علم رئيس مصانع الحديد والصلب بأن ستالين شرفه وسمح له برؤيته ومصافحته لم يفرح بل انتفض خوفـا ، ولما ذهب إلى الكرملين وانتظر في حدائقه الشاسعة وأشير لـه إلى ستالين تزلزل بنيانه وأخذ يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وخفض رأسه إلى الأرض فزعا ، ثم صافحه في خوف وخور ، حتى إذا استدبره بدأ الانبساط على

أساريره ، ولم يكن الانبساط فرحا باللقاء بل فرحا بالنجاة من ستالين .

وإن هذا الفيلم وحده الذي صنعه الكرملين للدعاية يكفي للدلالة على نوع الحياة في فردوس الشيوعية .

لا دين ، فقد قولت الدعاية الروسية الجنود ما لم يقولوا ، أو حملتهم على أن يقولوا ما لا يعتقدون ، فقد قالوا وهم في ميدان القتال : لن نهزم ما دام ستالين معنا ، سننتصر لأن ستالين معنا ، وقد تكرر هذا الهتاف غير مرة .

حدث هذا بعد أن سمح ستالين للرهبان وبعض المسلمين بأداء شعائرهم زلفى للحلفاء وسكان الأرض ممن يؤمنون بالله أو يؤمنون بالمثل ، ولم يخجل الكرملين من سوء ما يعرض .

ورأينا أفلاما أخرجتها الدعاية الانجليزية والدعاية الامريكية فلم نجد جنود الحلفاء يهتفون بأنهم سينتصرون ما دام جورج أو روزفلت معهم ، ولم يؤثر عن الألمان أنهم قالوا في ميدان الحرب : لن نهزم لأن هتلر معنا .

ثم لا أسرة ، فقد كانت عنابر العمال التي تتسع لعشرات الآلاف مزحومة بهم يعيشون فيها عيشة السوائم ، حتى الألهيات لم يرد بها التسلية والتسرية والتثقيف . بل كان من قبيل الدواء للمريض حتى يصح ، وصحة المريض ليست بالغالية الثمينة إلا لأنها تساعده على أن يكون « منتجا للدولة » وبقرة تحلبها الدولة وآلة تستخدمها الدولة .

ثم لا تجد في ذلك الفردوس المكذوب الذي حشدت له الدعاية الروسية كل ما لديها من مال ومكر وأكاذيب لتظهره للناس إلا قطعانا وآلات وماكنات .

عبيد مسخرون

•

وإن أعجب فما عجبني إلا من هؤلاء العبيد المسخرين لخدمة الشيوعية من غير الروس ، وعلى الأخص في بعض بلدان العالم العربي ، أولئك العبيد الذين يتشدقون بالماركسية وما أعدت لأهلها من نعيم .

يكفي لبيان فساد الماركسية أنها تمنع الخير وتدخر الشر للإنسانية وتخمد أنفاس من لا يدينون بها ، ولو كانوا عزلا من السلاح وبعيدين عن رغبة المقاومة والصراع ، وحسبها أنها سلبت نعمة أقوام وأمم وشعوب بحجة إعطائها للآخرين المستحقين . وهي لا تعطيهم إلا الجوع والاستعباد والتعذيب .

إنهم — كما يزعمون — يريدون أن يحطموا الرأسمالية أيا كان نوعها ، يريدون أن يسلبوا الغني — ولو كان صالحا مصلحا — ماله ليعطوه العمال ، ويسلبوا القادر قدرته ليقدموها للعاجز المحروم ، ولذلك أقدم « العاطلون » واليائسون والسفلة لتأييدها واعتناقها والتبشير بها ، وهم إذ يصنعون ذلك مجبرون ، لأن أي دين أو حكومة — غير الماركسية — لا تقبل أن تقوم بعمل اللصوص وقطاع

الطرق ، ولا تحمي الذؤبـان والأشرار والخـارجين عـلى شرائع الأخلاق والأديان .

إن قـاعدة الشيوعية أن « من لا يعمل لا يأكل » ومع هذا نجد أن الشيوعيين أول مـن خالفوها وكذبوهـا بأعمالهم ، فكارل ماركس مخترع الشيوعية وإبليسها الأول كـان لا يعمل لكسب العيش ، بل كان عالة على أبيه وأمه ، ثم على أخته ، ثم على الاحتيال البغيض المرذول ، ولقد عاش بقية حياته على التسول والإحسان ، أو على ما كان يتصدق به عليه تلميذه وزميله فريدريك إنجلز .

ولـو طبق مذهب كـارل ماركس عليه لمـات هو نفسه من الجوع لأنه لم يعمل .

وليس هذا القول من الخيـال بل هو الواقع نفسه كمـا تذكـره الوثائق والمصادر الشيوعية نفسها ، ويسخر أندريه جيد في يومياته بعد رجوعـه من روسيـا فيقول : « إن مـا أعجبه في روسيا إلغاؤها تلك الكلمة : بعرق جبينك تأكل خبزك » .

وإن أعجب فمـا عجبي إلا من هؤلاء العبيـد المسخرين للشيوعيـة الذين يزعمون أن مـا يقال ضـد الشيوعية افتراء محض من أعدائهـا في المعسكر الغربي ، فـإذا سألتهم : ومن أين لـكم أنتم بالمعلومات التي تتشدقون بهـا ؟ أعـاش أحد منكم في هذا النعيم ؟ أم نزل عليكم الوحي من سيدكـم القابع في الكرملين ، أجـابوك جوابا لا يدل إلا على خلوهم من العقل والشعور .

وإذا كـانت الشيوعية فردوسـا أرضياً فلماذا يمنعون النـاس من

التمتع بـه ؟ ولماذا يأبون على غيرهم أن يشاركهم النعيم المقيم ، ولماذا يحيطون فردوسهم الذي لا وجود له بحصون تذود عنها الرواد وتبعد عنها القاصدين ؟

أقل ما يقال إنها الأنانية القذرة الرعناء ، إذا صدق افتراؤهم عن الفردوس الوهمي .

إن عبيد الشيوعية يزعمون أن الحكومات هي التي تمنع أبناءها من الدخول إلى فردوس الشيوعية لئلا يروا النعيم المقيم فيثوروا على حكوماتهم .

وهو اتهام كاتهام الشيوعيين للأخلاق والأديان والحقائق .

إن الحكومات لا تمنع أبناءها من الذهاب إلى الروسيا ، وكثيرا ما أراد بعض الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين من زيارة الاتحاد السوفياتي فلم تعطهم سفاراته «تأشيرة الدخول» بحجج واهية كلها تتجمع في أن هؤلاء غير مرغوب فيهم ! كما أرادت بعثة من الجامع الأزهر السفر إلى روسيا لتفقد شؤون المسلمين فيها فلم يسمح للبعثة الأزهرية ، لماذا ؟ لا جواب عندهم ، والجواب الصحيح أو السبب الصحيح لهذا المنع أن الشيوعيين يخافون على أنفسهم كما تخاف عصابة اللصوص أي شبح غريب عنها ويخشون أن يرى المخدوعون غيرهم فتتفتح أعينهم .

وهؤلاء العبيد المسخرون يعتنقون الشيوعية لا لأنها مذهب فاضل يريد أن يبني مجتمعا فاضلا يقوم على أساس الفضيلة والخير ، لأن أيسر ما يضطرب في مجتمع الماركسيين ينقض دعواهم أنهم يريدون بناء مجتمع فاضل ، يعتنقون الشيوعية لأنهم يجدون فيها ما تستجيب له الغرائز الدنيا والحيوانية المرذولة .

المجتمع الشيوعي

•

أي مجتمع هذا الذي يتشدق به الماركسيون ويزعمون أنه مجتمع فاضل كريم ثم لا نجد فيه من علامات الفضل والكرم شيئاً ، حتى العلاقات الإنسانية البدائية بين الأفراد بعضهم ببعض مفقودة ، لأن التعاطف والتواد والمحبة تحمل على فعل الخير والإحسان . والشيوعية لا تؤمن بالمشاعر والعلاقات الانسانية بل تحاربها ، وليس ادل على ذلك من محاربتها الاسرة ، والشيوعية تكفر بالقيم والمعاني وتؤمن بالمادة ، وتنظر إلى المشاعر الطيبة نظرتها إلى « الزائدة » يجب أن تستأصل ، فاستأصلوا كل روابط الإنسانية وبنوا علاقاتهم على المقايضة والإنتاج والمادة .

أمن الحق أن يتركوا فرداً ظالماً يتمادى في غوايته وظلمه ؟

أمن العدل أن يسيطر فرد موصوف من زملائه وشركائه بالإجرام والطغيان على مقدرات أمة تزيد على مائتي مليون ، سيطرة وصفها أنصاره وعبّاده بأنها كانت مبنية على القتل والفتك والتعذيب ؟

أمن العدل الاجتماعي ألا يباح العيش للعاجز إذا كان ميئوسا من قدرته أو المريض غير المأمول شفاؤه ؟

إن « التأمين الاجتماعي » مفقود في بلاد البلاشفة ، ليس فيها

التـــأمين ضد الخوف ، فالنـــاس كلهم خـــائف حتى من بيدهم الحكم والسلطان ، وليس فيهـــا التـــأمين ضد الجوع ، والمريض الميئوس من شفائه ، والعـــاجز عن الكسب لعلة من العالل لا يطيقان العمل ، ومادامـا لا يعملان فلا حق لهما في العيش ، لأن قاعـــدة الماركسية بنيت على أن « من لا يعمل لا يأكل » .

فـــإذا زعموا أن العـــاجز الذي لا يطيق العمل مضمون له العيش فقد نقضوا هم القاعدة ، أو خرجوا عنهـــا بشواذ تضضعـــع القاعدة .

أمـــا الفضيلة فلا تجد لها مكانا في أرض مخضبة بدماء الأبرياء ، في أرض تقضي على الزوجية وتبيح الحرام ، وتشجع المنكر ، وتضمر الشر للعالمين ، وتزرع الرذيلة والبؤس والشقاء .

الأسرة والإنسانية

●

إن رسالة إنجلز عن الأسرة هجوم عليها لأنه يعتبرها مدعاة للتهالك على الادخار والاكتناز ، ويتبعهما قلة التداول للمذخور والمكنوز ، ونظام الأسرة يبعث على الشعور بالحب في حدود ضيقة ، وبالقضاء على هذا النظام يقضي على هذه النقائص والدوافع التي لا تتفق مع الكفاح والعمل . وعندما يقضي على نظام الأسرة يحل محله حب عام بعيد الحدود ، فحب الأسرة المكونة من عشرة أفراد — مثلا — هو حب ضيق الحدود ، وعندما يقضي على هذا الحب تبعاً للقضاء على نظام الأسرة فإنه يحل محله حب الملايين بعضهم بعضاً ، ونظام الأسرة يقوم على الميراث ، ميراث الأخلاق والصفات بجانب ميراث المال والعقار ، وبالقضاء عليه يقضي على توريث ما قبح من الصفات أو اعتل من الصحة . ويصبح الموروث من المادة دولة بين الناس ومنفعة للجميع لإنه يكون ملكا للدولة .

إن إنجلز تلميذ ماركس وصفيه قوّض في رسالته نظام الأسرة وهدم قواعدها ليتاح للشيوعية أن تقضي على الصفات الكريمة التي تنشأ من الرباط « العائلي » ، ولتموت صفات الخير والرحمة والبر والمعروف ، وتتهالك الفضائل التي تنبثق من نظام الأسرة فيسهل حينئذ على دعاة الهدم

والتخريب أن يحيلوا الآدميين إلى قطعان من الحيوان يسهل حشدها في صعيد وتوجيهها الوجهة التي يريدها المخربون الهدامون ، أو تحيلهم إلى « مكنة » أو آلة جامدة .

وتبع انهيار محراب الخير انهيار صرح الفضيلة ، فلم يعد في روسيا عمل خير ، لأنه لا مجال للاحسان في هذه الغابة الحمراء ، ولا تجد من يقبل منك الاحسان لا لأنه غني قادر ، ولا لأن من تحسن إليه مفقود ، إذ لا يعقل أن يمحى من بين مائتي مليون من هو أهل للاحسان ، بل الخوف يمنعه من قبوله .

وإن الإحسان في بيئة الشيوعيين جريمة أشنع من جريمة السرقة في الأمم المتمدنة ، السطو والنهب في شريعة الشيوعية حلال بل واجب ، أما الإحسان فحرام . لقد اختفى الإحسان باختفاء المحسن والمحسن عليه على السواء ، لأن نتيجة كليهما إن علمت به الدولة الموت أو السجن .

قضت الشيوعية بالحديد والنار على المشاعر الانسانية الفاضلة ، فلا تجد فيها محسنا يتبرع لعمل نافع ، أو أن قويا أسرع في عون ضعيف ، أو أن جارا هب لنجدة جاره ، أو صديقا يحسن إلى صديقه ويواسيه .

الصنم الذي هوى

•

إن أسس المجتمع الفاضل : الحق والعدل الاجتماعي والفضيلة والخير ، فأين الحق في المجتمع الشيوعي ؟ أمن الحق أن يسيطر ستالين على شعوب يستعبد كل من فيها شر استعباد ، ويوجههم شر توجيه ، ويجبرهم أن يؤلهوه ؟

لقد كان ستالين في هذا المجتمع الفاضل المزعوم أفضل من يضمه وأعظم من يعيش فيه وأكبر إنسان به وأكثرهم فضلا وأحسنهم خلقا ، ووصفوه بأنه النموذج الأعلى للانسان الكامل ، ووصفوه بأنه المنعم المتفضل الذي لا يعمل إلا لخير الإنسانية كلها .

هكذا صورته الدعاية الماركسية التي جعلت من ستالين رمزها المتخير الأعلى ، ونبيها الأمثل ، ومثلها الأرفع في كل شيء ، ثم يهوى هذا « الرمز » محطوما شر تحطيم ، ويبدو المرفوع إلى أعلى مراتب الإنسانية وحشا كنودا يعيش في الدركات السفلى .

من الذي هوى بهذا الرمز ؟ ومن الذي داس هذا الصنم المعبود ؟ إنهم عباده المخلصون الأقربون لا الأعداء الناقمون .

لقد أزرى بالصنم عباده أشنع زراية ، ومثلوا بجثته ورفاته وآدميته

وأعماله أبشع تمثيل ، لقد وصفوه بكل موبقة يندى لها جبين البر والفاجر على السواء ، بل لم يتركوا موبقة إلا وذكروها له واستدلوا عليها بالوثائق والمستندات ، بل جعلوا أعماله تتكلم وتتحدث ، ونزعوا منه ملابسه فبدا الشيطان على حقيقته .

لقد جردوه من المزايا كلها ، وكانوا مصيبين ، ولم يصيبوا إلا في هذا ، لقد اعترف اللصوص على رئيس العصابة وأيدتهم أعماله وأفعاله .

لم يكن من داسوا رب الشيوعية من المعسكر الغربي ، ولم يقل فيه أحد ما قاله فيه عباده ، بل لم يبلغ كل ما قاله العالم في هذا المعبود الكذاب عشر معشار ما قاله فيه عباده الأدنون الذين كشفوا عن خبيء سوءاته ومستور قذاراته . وأبانوا وحشيته واستبداده وخسته ولؤمه وفسقه وفجوره ونذالته التي لا توجد إلا في أبالسة الشيوعيين .

أترى ماذا يقول عبيد الشيوعية المسخرون في معبودهم الذي هوى وديس بالأقدام ؟ إنهم تنكروا لإلههم المعبود وانقادوا لأربابهم الجدد ، وانتقلوا فجأة من التقديس والعبادة إلى التجديف والكفر ، ولم يسألوا عن الأسباب ، ولم يطلبوا الدليل والبرهان من الهدامين الدائسين .

وهذا يُكشف عن نفسية هؤلاء الأتباع من العبيد المسخرين .

إذا كان زملاء ستالين وشركاؤه يعترفون الآن بأنهم ما كانوا يستطيعون أن ينبسوا ببنت شفة أمامه ، وكانوا يخشون سطوتـه وبأسه ووحشيتـه وإجرامه ، وتركوا له الحرية المطلقة في العمل والتقتيل والتخريب خوفا على أنفسهم أن يهلكها هذا الطاغية اللعين ، وأجبروا على أن يطيعوه ويعينوه ، فأين الحرية التي يتشدقون بها ؟.

أكاذيب

●

يظن الماركسيون أنهم انتهوا إلى العلم الصحيح بكل حقائق الأرض والسماء ويصدقون كارل ماركس عندما زعم لهم أنه وضع نظاما للعالم كله ، وزعم أن الإنسانية بأسرها ستتقيد به كل التقيد ، ولن تحيد عنه قيد شعرة ، ولن يستطيع أحد أن يضيف إليه جديداً لأنه نظام يحوي كل ما يحتاج إليه العالم من دساتير وقوانين وشريعة لا تختلف ولو بعد آلاف السنين ، ولن يقبل التبديل والتغيير ، لأنه نظام معصوم من النقص مبرأ من الخلل مطلق الكمال .

وما أدري كيف يجوز على العقول هذه الترهات ويقبلها بعض الناس باسم العلم ؟ وكيف يطمسون بصائرهم ويلغون عقولهم عندما يتبلشفون ؟ لا تفسير ولا جواب إلا أن الشيوعية مخدر قوي يبلد الاحساس ، ويعطل ملكة التفكير والإدراك والتمييز ، فلا يميز من يعتنقها بين الصحيح والزائف والحق والباطل والعلم والجهل والصدق والكذب ، ولهذا تقبل عقولهم أن ماركس أحاط بالإنسانية كلها وبكل ما ينشأ في الأرض من مجتمعات ، وأحاط بالعالم حتى ينتهي ، ويصدقون أن ماركس وضع نظاما يسير العالم بما فيه ومن فيه ، ولن يتغير هذا النظام أو يتبدل أو يعتريه نقص أو خلل مهما كان الأمر .

وما يزال عبيد الشيوعية يصدقون هذه الأكاذيب ويقبلون هـذه الأضاليل والأوهام في حين أن الواقع المادي المشهود أظهر كذب ماركس وسماديره ، فنظامه الذي زعم أنه مطلق الكمال لا يقبل التحويل أو التبديل قد تغير على يد عباده وأتباعه .

زعم ماركس في رسائله وكتاباته التي حوت نظامه ومبادئه وإنجيله وتكهناته أن الأسرة ستمحى ، والزوجية ستنفصم ، والملكية ستزول ، والوطنيـة ستموت ، والقومية ستفنى ، والعامل سيسود ويعيش عيشة ترف ورخـاء ، والشيوعية ستصبح دين الإنسانية كلها .

زعم ماركس كل هذا وأكثر منه فمـا كان نصيب تكهناته من الوقوع والتحقق ؟

محت الشيوعية الأسرة في روسيا ، وجعلت كل مولود ولد الدولـة ، وكل امرأة وسيلة إنتاج للدولـة ، وكل رجل رقمـاً في الدولة ، ولم تستطع هذه « النبوءة » التي بشر بها كارل ماركس أن تعيش ، لأن الدولة اعترفت بالأسرة ، وبذلك كذب الكـاهن الشيوعي الضال المضـل . فقد قامت الأسرة من جديد في روسيا ، ولم تكن قد ماتت ولكن الإرهاب الإجرامي هو الذي خنقها وأخفاها زمنا ثم غلبت قوة الواقع كهانة ماركس فماتت بعد أن ظهر كذبها واستحالة وقوعها بحيث يرضي الناس .

أكذوبة القضاء على الملكية

●

وقضت الشيوعية على الملكية لأن ماركس قرر أن الملكية الفردية مصدر النزاع في المجتمع فنادى بالغائها ، فلما سيطرت الشيوعية ألغتها وتبع ذلك القضاء على الميراث ، وقبضت الدولة على مصادر الثروة وموارد الإنتاج والمصانع والمناجم والمتاجر والمزارع والعقار . وفي المادة الخامسة من الدستور السوفياتي : «الملكية الفردية لا وجود لها ، والملكية المباحة هي الملكية الاشتراكية ، وهي إما أن تكون الدولة فتكون الثروة للشعب عامة ، وإما أن تكون جماعية أو تعاونية » .

ثم اعترفت الشيوعية بالملكية تحت ستار جمعيات التعاون في امتلاك الأرض ، وأباحت ملكية الفرد بعد أن حرموها عليه ، فأصبح في وسعه أن يملك الفرد ما يحصل عليه من دخل من عمله ، ويملك أثاث منزله ، وأن يملك الفلاح الأرض على سبيل الإعارة الدائمة على أن تستغل على أساس تعاوني ، وبذلك كذبت كهانة ماركس .

أكذوبة القضاء على الزوجية

●

أما الزوجية فكانت عقداً بين رجل وأنثى يستطيع كل منهما فسخه وفصمه عندما يريد ، ولا شأن لأحدهما بالجنين أو الولد لأن الدولة تتبنـــاه وتكفله .

ولا يحمي هذا العقد قيد من خلق أو فضيلة ، وهو يشبه عقد العامل مع المعمل ، بل إن العقد الذي يجمع بين رجل وأنثى أهون من العقد بين العامل والمعمـــل ، لأن لهذا قيوداً وذلك لا قيود له . ثم كذبت الدولة كهانة معبودها كارل ماركس فأباحت الزواج واعترفت بالأمومة والأبوة ، وأجبرها الواقع على أن تسكت عن قيام الأسرة ، ولكن بعد أن قضت على كل ما في رباطها من معان نبيلة إنسانية .

أكذوبة الوطنية والقومية

●

أما الوطنية والقومية فقد كذبت الحرب الثانية نبوءة كارل ماركس عنهما ، وكان أول المكذبين أتباعه المخلصين وعباده الأوفياء . فقد نادى ستالين وعصابة الكرملين بالوطنية والقومية ، وأثاروا بها نخوة الجيش الروسي ، واعترفوا بالقومية والوطنية .

أكذوبة رفاهية العامل

•

أما تكهن ماركس عن العامل وسيادته فقد كذبت في حياته وبعد هلاكه على أيدي أنصاره ومريديه قبل تكذيبها على أيدي خصومه ومخالفيه ، فلم يتسلم العامل زمام الحكم .، ولم يرتفع مستواه في روسيا ، بل استحال العامل من الإنسانية إلى الحيوانية ، ولم يعد لحما ودما ، بل جزءا من الآلة التي أوجدها ثم عبدها وابتهل إليها وأصبح مسخرا لخدمتها ، وعندما يتنكر العامل للآلة أو لا يصلي لها يحكم عليه بالموت أو السجن ، لأن شريعة الشيوعية الباطلة الهدامة لا تعترف إلا بالآلة .

أكذوبة الشيوعية دين المستقبل

•

أما تكهن ماركس أن الشيوعية ستصبح دين الإنسانية كلها فقد كذبه فيه الواقع أشنع تكذيب ، وها هي ذي الشيوعبة بكـــل وسائلها الإجرامية لم تستطع أن تجذب إنسانا واحداً ذا خلق في العالم كله اجتذابا يقوم على الحق الصريح ، ولم تستهو عالما أو فاضلا أو ذا دين وأمانة إلا عن طريق الخداع وتزييف الحقائق وقلب الأوضـــاع والغش والكذب ، وطريـــق الخداع قصير ، فقد انكشفت الشيوعية على حقيقتها أمـــام الواعين الفاهمين الذين انخدعوا بها مثل أندريه جيد فكفروا بها وحاربوها .

وكلما أمعنت الشيوعية في إخفاء بذورها وتزيين شرورها زاد العالم في حربها ومقاومتها كما تقاوم الأوبئة والجرائم .

بل إن الشيوعيين أنفسهم تحللوا من كثير من نظام الماركسية ومبادئها وخرجوا عليها لأن أقطابها عرفوا بالغريزة قبل العقل أن سوءاتهم هذه يجب أن يستروها ضمانا لاستمرار حكمهم وسلطـــانهم ، وخديعة لمـــن بهرهم بريق دعاواهم الكاذبة .

ومن مفتريات الشيوعية الفاضحة المفضوحة أنهم يزعمون أن العالم غير

الشيوعي لا يعرف الحرية لأنه أحاط كل شيء بسياج ، ووثقه بقيد ، وأثقله بأغلال ، أحاط الرزق بسياج الإحراز ، وأثقله بقيود التملك ، وأحاط الأموال بالتداول وقيدها بالوقف والميراث والإحسان ، وأحاط المرأة بالعفة ووثقها بقيد الزوجية ، وأحاط النفس الإنسانية بسياج العقيدة والخلق وقيدها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله ، أما الشيوعية فتزعم في فخر وازدهاء أنها أطلقت الحرية ، وألهت العمل ، وجعلت كل حرام حلالا ، وكل حريز مشاعا ، وحلت قيود الزوجية ، وفصمت عرى الملكية ، وحطمت أغلال الوطنية ، وكسرت ربقة القومية ، وقضت على الفردية ، فلا أفراد في بيئة الشيوعية بل جماعة ، ولا شخصية لفرد بل للدولة . الدولة هي الأسرة ، وهي كل شيء ، هي الخالق الرازق المدبر المحيي المميت – والعياذ بالله – ولا حاجة إلى أن تكون في الدولة شخصيات بعدد سكانها ، بل الجميع فرد ضخم ، ويجب أن يمحى الفرد في الجماعة ، وتموت المعارضة ، ولا تكون غير الطاعة ، الحاكم لا يخطىء ، والمحكوم لا يعترض ، وحرام على الفرد أن يملك فيتكىء على ملكه في العيش ويستغني به عن السعي والعمل مهما كان عذره . لأن من لا يعمل لا يأكل ، وحرام على الأبوين أن يكون لهما أولاد يستنفدون جهودهما ، وتسيطر عليهما الأنانية فلا يعملان إلا لهم وحدهم ، ويشتغلان بهم عن العمل للدولة ، وحرام على الزوج أن تبقى في بيتها تدبر أمره وأمر زوجها وأبنائها ، ولو استطاعت أن تتركهم للمطعم العام يتناولون فيه الطعام كما تتناوله هي نفسها منه أحياناً لتركتهم ، وليس بيتها إلا مضجعا تأوي إليه عند النوم ، لأن المصنع أو الإدارة خالية من المضاجع ، وتدبير الأولاد من حق الدولة لا الوالدين ، الدولة تصهرهم في بوتقتها وتصبهم في القوالب المعدة لهم .

إنهم يولدون وينشأون ولا يعرفون الله إلا في الطاغية ، والوالدين في الدولة ، والإنسانية في العدوان ، والحرية في الفوضى ، والفضيلة في تلبية نداء الجسد والانقياد للغريزة حتى ينتج للدولة ولد .

حرام على الأولاد أن يرثوا أبويهم الصفات والمزايا ، وحرام عليهم أن يرثوا ما يتركان من مال وعقار ، قضوا على ميراث الصفات بالغـاء الزوجية والأبوة والأمومة ، وعلى ميراث الأموال بتحطيم الملكية ، وجهلت الشيوعية أن الصفات تورث وإن لم يعرف الولد أبويه ، والمزايا تنتقل من جيل إلى جيل ولو لم يفطن الوارث والموروث منه .

وموجز القول في الشيوعية والشيوعيين : أن الشيوعية كما نعرفها نحن أهل البلاد المقدسة وكل إنسان عاقل : أشنع ما عرف من أنواع الكفر والأمه ، والشيوعيين كفرة لئام ، بل هم شر الكفرة ، وكل من تبعهم ممن يتظاهرون بالإسلام مرتد حلال الدم واجب قتله ، وكل من أطرى الشيوعية وجب أن يستتاب وإلا قُتِل كفرا .

حمى الله الإنسانية مـن الشيوعية ورعى الإنسان من هـذا الشيطان الرجيم . آمين .

حرب الأكاذيب

●

بيني وبين الشيوعية عداء لا يزول ولو زالت الأرض ، واحاربها ما استطعت إلى ذلك سبيلا . أحاربها بكل عزيز عندي ! حاربتها بمالي ، بل بقوت أولادي ، وبقلمي ، وبكل نعمة وهبها الله لي . وسبب ذلك أنني مسلم مؤمن محسن . والاحسان – كما فسره هادي الإنسانية ومنقذها محمد عليه السلام – أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ولا يكمل إسلام المسلم وإيمان المؤمن حتى يحارب الشيوعية ، ويعمل كل مسلم في مجاله وبقدر ما يتسع له ماله وجهده على إذلالها وحربها دون هوادة .

ويجب علينا نحن المسلمين – بل على كل انسان مهما كان لونه ودينه وجنسه – أن نمقت الشيوعية وأتباعها ، ويجب أن تتحد كل قوى العالم لحرب الماركسية الملعونة حتى تخلص البشرية منها .

والشيوعي خلاصة كل الاسواء والموبقات والمنكرات ، والشيوعية شر

(*) هذا جانب من رسالة ألفتها في سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) وطبعتها في مصر وصدرت ووزعت عشرات الآلاف منها في العالم العربي والإسلامي ، ونشر هذا المقال سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٦٠ م) بجريدة « عكاظ » عندما كانت ملكاً لي .

أنواع الكفر وألأمه وأقذره ، وكل شر في العالم خير إذا قيس على الشيوعية . وكل كفر لئيم يتضاءل أمام كفر الماركسية .

والشيوعية تسعى لهدم العالم بعد أن هدمت في روسيا الأديان والأخلاق والإنسانية .

وأول قواعد الشيوعية : انكار وجود الخالق عز وجل ، وانكار الرسل والرسالات ، وانكار الأخلاق والعادات الشريفة .

ووجهت الشيوعية كل قواها الشريرة للحرب ، وأعدت لها كل ما في بقاعها الشاسعة من حيوان ونبات وجماد .

ويجب أن يعرف الناس أن الشيوعية ليست أكبر قوة عسكرية في العالم ، بل هناك قوى أعظم منها كثيراً ، ولكن الشيوعية دأبت على الدعاية الكاذبة والبهتان .

وأن كل مجال في بلاد الشيوعية جاف إلا مجال الاستعداد للحرب ، وكل مرفق من مرافق الحياة فيها ضامر هزيل الا مرفق التسلح . فلا نظافة ، ولا عمران ، ولا عناية بالمعاني الإنسانية ، بل لا عناية بالعمال الذين باسمهم تتشدق الشيوعية المخزية ، فالعامل الشيوعي في روسيا ما يزال يعيش عيشة الكفاف ، ومظهره حقير ، وملابسه خشنة ، ومستواه في الدرك الأسفل .

والعمال في كل بلاد العالم أحرار ومستواهم خير الف مرة من مستوى العامل الروسي الذي فقد الحرية والخبز معا .

وتضخم الشيوعية في مجال التسلح مفخرتها الوحيدة ، وليس هذا بغريب ، فقد حرمت كل النواحي من التغذية إلا التسلح ، فضمر كل عضو الا هذا

فقد تورم وانتفخ ، ومع هذا فإن في العالم قوى أكبر من قوتها الحربية كثيرا .

ولو أن دولة من الدول اختصرت من البلايين التي تنفقها لرفع مستوى شعوبها ووقفته على آلة الحرب الجهنمية لجاءت روسيا في الذيل .

ومع هذا فالدولة الشيوعية ليست أكبر القوى ، وإن كانت تدق طبولها الفارغة بأن في وسعها الإبادة والنسف والتدمير .

لقد عملت روسيا أربعين عاما ليل نهار لتستعد للحرب ، ومع هذا لم تستطع أن تقف أمام قسم من جيوش هتلر ، ولولا أن الحلفاء أنقذوا روسيا لما كان لها شأن في الوجود .

وإن استعداد روسيا أربعين عاما للحرب لم يمكنها من الوقوف في وجه السلاح الالماني والجيش الالماني ، وأظهرت الحرب أن كل الاسلحة الروسية التي ظهرت في ميدان الحرب أقل من أسلحة ألمانيا وغيرها من الدول .

أما أسلحتها الجديدة فهي ليست من اختراع علمائها ، بل هي من اختراع علماء الالمان الذين أخذتهم روسيا ، بل إن روسيا عندما احتلت قسما من المانيا استولت على وثائق علماء المانيا ورسائلهم وأبحاثهم ، وعجز علماء روسيا عن فهم كثير من النظريات العلمية الخاصة بالذرة والهيدروجين ومعادلة التفجير الذري ، ولولا أن علماء المانيا كشفوا عن رموز نظرياتهم لما استطاعوا إلى فهمها سبيلا ، بل أن علماء روسيا الشيوعية لم يستوعبوا فهم كل تلك النظريات فهما علميا دقيقا .

حتى أن القمر الروسي الذي ملأت به روسيا العالم زهوا وفخرا ليس من

اختراعها ، ولا يد للعلماء الروس في اختراعه ، فقد ذكرت جريـــدة « الأخبار » بعددها الصادر في ١٧ ربيع الاول ١٣٧٧ (١١ أكتوبر سنة ١٩٥٧) في الصفحة الثامنة : « إن الذين صنعوا القمر الصناعي في روسيا الالمان أنفسهم » .

بل قالت « الاخبار » في هذا العدد نفسه من الصفحة الثامنة نفسها : « والذي نعرفه جميعا أن العلماء الالمان هم الذين يخترعون هذه الاسلحة المخيفة في روسيا » .

فالاختراعات الكبيرة في روسيا كالقنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية والقمر الصناعي من ابتكار العبقرية الالمانية وحدها لا العلم الروسي كما تزعم الشيوعية .

ولم يعرف عن بلاد الشيوعية منذ أن كانت للشيوعية دولة وكيان أنهم سجلوا اختراعا كبيرا ولم يعرف عنها قبل الحرب الثانية وقبل احتلال روسيا قسما من المانيا أنها ابتكرت قنبلة كبيرة أو صاروخا أو أي اختراع كبير . ومما يؤيد ذلك تأييدا مطلقا أن الالمان الذين وقعوا في أيدي الشيوعيين هم الذين يخترعون هذه الاختراعات وإن ميادين الحرب العالمية الثانية لم تعرف للشيوعيين ابتكار سلاح جديد ، حتى الاسلحة المعروفة كالطائرات والدبابات والمتفجرات من قنابل وغيرها لم تكن في درجة أسلحة ايطاليا وفرنسا فضلا عن المانيا واليابان .

ثم ما العلم الروسي ، أو العلم الشيوعي ؟

إن العلم لا يوصف بذلك مطلقا إلا عند الشيوعيين المهاويس ، فلا علم روسي ، ولا علم بريطاني ولاعلم امريكي ، بل العلم واحد ، ف ٢+٢=٤ قاعدة علمية في كل بلد من بلدان الوجود .

ولكن هكذا الشيوعية وهكذا الشيوعيون ، كذابون لئام ، ووقحون فجار ، وكفرة ملاعين .

ولست في هذه الرسالة بصدد الكتابة عن الشيوعية والشيوعيين ، بل أردت بهذه الكلمة أن يعرف الشيوعيون أنني لا أخافهم ولا أباليهم ، وإن كنت اشمئز من هذه القاذورات البشرية أو التي تتسمى بالبشرية .

كان الشيوعيون في بعض بلدان عالمنا العربي يحاربونني حربا لم تصل إلى العنف أو تصل إلى الصحف ، ونشر الرسائل وتوزيع النشرات . ولكن عندما نشرت كتابي « الشيوعية والإسلام » سنة ١٣٧٥هـ. خرجت الأفاعي الشيوعية من جحورها نافثة سمومها وأعلنت علي حربا ضروسا قاسية .

لم تتهمني بالخروج عن الإسلام أو المروق من الدين ، لأن ذلك ليس بالسبة أو الإثم في مذهبهم البغيض الملعون ، بل جعلته من أدلة أخرى ، لأن من أدلة « التقدمية » الكفر والالحاد .

وزاد غيظ الشيوعيين في عالمنا العربي عندما استفتاني كثير من الناس فأفتيت بوجوب قتل الشيوعي ، ونشرت فتواي في كتابي « الشيوعية — والإسلام » وقلت في مقدمته ص ٩ : « إن المسلم الذي يعتنق الشيوعية مرتد عن الإسلام . لأنه يدين بمذهب ينكر الخالق ، ويجحد الرسل ، ويتهمهم كذبا وزورا أنهم ليسوا رسلا ، لأنه لا وجود لمن يرسلهم وهو الله ، وحكم الإسلام في المرتد معروف وهو القتل ، أما من يطري الشيوعية اطراء يشتم منه تفضيلها على الإسلام فإنه يفهم ويستتاب ، فإن أصر على التفضيل أو الإطراء قتل كفرا ، وإن تاب قبلت توبته على أن يعزره الحاكم بما يرى » .

هذه الفتوى أقامت الشيوعيين في بعض بلدان عالمنا العربي . فهاجوا وماجوا وشحذوا أسلحتهم المفلولة . وأخذوا يحاربونني بكل ما يملكون من قوة ، فطبعوا عشرات الآلاف من الرسائل والنشرات ملؤوها بالسباب والأكاذيب، حتى جريدة «الجمهورية » اشتركت في الهجوم وكذلك «مجلة روزاليوسف» ولكن كيدهم عاد الى نحورهم .

إن « حرب الأكاذيب » إحدى قواعد الشيوعية وأعظم وسائلها فشنوا عليّ هذه الحرب ، وبعثو برسائلهم ونشراتهم المطبوعة إلى الصحف وإلى المجامع العلمية وإلى من هب ودب لا يقصدون منها إلا التشهير وتشويه السمعة وابتزاز الأموال .

والشيوعيون أعداء كل ذي نعمة وامتياز .

طبع هؤلاء الشيوعيون رسائل ونشرات بعشرات الآلاف ووزعوها ، وجهلوا أنني أسير على هذا النهج « استغن عمن شئت تكن نظيره » أنـا مستغن بفضل الله عن كل مخلوق ، إنني مستغن بفضل الله عن كل أحد إلا الله عز وجل فإنه خالقي ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم فإنه رسولي وهاديّ ومرشدي . ولأنه رحمة لي وللعالمين .

والضار والنافع هو الله . أما المخلوق فلا . والشيوعيون عندي أدنى من الحيوان ، فليلعقو مطمئنين الخبث والقاذورات وليعبثوا كما تسول لهم أنفسهم اللئيمة القذرة اللئيمة ، فما نحن بمبالين .

ولم تهدأ حرب الاكاذيب التي يشنها الشيوعيون على المؤمنين . ولم تهدأ حربهم هذه التي أعلنوها عليّ . بل زادت ضراما ووقودا عندما بلغهم أنني سعيت إلى مفخرة العقلية العربية والإسلامية وأعظم عمالقة الأدب العربي وأكبر أساطين مفكري العرب الاستاذ عباس محمود العقاد ورجوته

أن يجاهد في الله حق الجهاد ويتقرب اليه بعمل من اجل الاعمال ألا وهو تأليف كتابه الموعود عن « الشيوعية » .

وعندما علم الشيوعيون أن الاستاذ العقاد — جزاه الله خير الجزاء — أفضل على الإنسانية كلها — نعم كلها — وأخذ يؤلف الكتاب شنوا على العقاد وعليّ « حرب الاكاذيب » وكانوا يظنون أن الحكومة المصرية لن ترضى عن هذا العمل الاسلامي الجليل ، وأنها « ستصادر » الكتاب وهو في المطبعة ولن يرى كتاب العقاد النور ، وكذلك كتابي .

وأطمأن الشيوعيين إلى أن جهد الاستاذ العقاد وجهدي لن يثمرا ، ولكنهم مع هذا لم يقفوا ، فنظموا حربا جهنمية أشهروها على العقاد في الصحف كلها ، وتبارت أقلامهم الكافرة الداعرة في تشويه سمعة العقاد ، ووصفوه بالرجعية والجمود ، وأنه لا يعرف كيف يمسك بالقلم ، وأنه عامي ، وأنه أنهى حياته بالتهريج ، لأن العقاد اشتد في الدفاع عن الإسلام وعن الإنسانية وموازينها وذخائرها .

ودارت رؤوس الشيوعيين وأتباعهم الضالين وفقدوا صوابهم عندما رأوا كتاب العقاد « الشيوعية والإنسانية » في أيدي القراء ، والقراء يتخاطفونه ، وجردوا أقلامهم اللئيمة المومسة ، وعقولهم الداعرة الكافرة وأخذوا يكتبون في الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية مقالات كلها « حرب الاكاذيب » واستخدموا كل السفالات للقضاء على الكتاب ، ولكن الله خذلهم وهزمهم ونصر جنده وأيد حزبه .

ونشر بعض الكتاب من الشيوعيين مقالات عن كتاب الاستاذ العقاد في بعض الصحف الكبيرة اليومية والاسبوعية هاجموه فيها لأنه الف الكتاب ،

وهاجموني لأنني كتبت مقدمته ولعنت الشيو عية والشيوعيين .

والحملة علي كانت أشد وأقسى من الحملة على الاستاذ العقاد ، وكانت وسائل الشيوعيين في محاربتي أشد وسائلهم سفالة وقذارة . فلم يكتفوا بما طبعوا من رسائل ونشرات تعد بعشرات الالوف ، بل صنعوا كل ما في وسعهم ولكن الله خذلهم .

وإنني أتحداهم ولا أباليهم ، وأبصق في وجوههم ، وأقول : ما يضير البدر نباح هذه الكلاب النجسة .

وأنا أقول لهؤلاء الشيوعيين : إنني أفتخر بأنني مسلم مؤمن محسن ، ولدت حيث ولد منقذ البشرية وهادي الإنسانية محمد عليه السلام ، ولدت بمكة المكرمة ونشأت بها ، وأنا لا أخشى إلا الله وحده ، وإن سيدي رسول الله الصادق المصدوق طمأنني وطمأن كل مسلم بقوله : «لئن اجتمعت الأنس والجن على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك » .

وليعلم الشيوعيين أنني أؤمن حق الايمان أن لو اجتمعت الأنس والجن على أن يضروني بشيء لم يرده الله لي فلن يستطيعوا ، والضار والنافع هو الله وحده ، فما خوفي بعد هذا ؟!.

إنني لا أبالي هذه العصابة المجرمة ، ولتعش تحت النعل ، فإنه لمكانها الذي تنزله باختيارها ولا مكان لها سواه .

وإنني ــ بعد ــ لعزيز بالله ، قوي بنعمه ، مؤيد بروح منه ، ولن يستطيع العالم كله أن يضرني بشيء لم يرده الله لي ، وإذا أراد الله هدم الوجود فلا راد لقدرته ومشيئته .

ثم إنني أعرف حق المعرفة أن عباد الله المخلصين لن يترّكوا من قبل الضالين والمجرمين والكفرة والشيوعيين ، ولقد صدق الله وهو أصدق القائلين إذ قال : (ألم أحسب الناس أن يترّكوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) .

إن الايمان تبعة كبرى ، بل أكبر التبعات اطلاقا ، فكلما زاد ايمان المرء زادت تبعاته وكثُرت مسؤولياته ، وعرف الحق والواجب وأقام من نفسه حارسا للمجتمع وحاميا للفضيلة ، وحافظا من حفظة الامن ، وكل هذا يجعله هدفا للمجرمين ، ويريدون القضاء على هذا الحارس الامين حتّى يخلو لهم الجو فيعبثوا بمقدسات الانسان .

ولا حياة للشيوعيين إلا إذا آذوا المؤمنين وأرهقوهم طغيانا وكفرا ، فهم يبالغون في إيذائي تشفيا وانتقاما ، ويسرفون في الإيذاء لأنهم يرونني قلعة سلامية كبيرة لا يمكن لهم ولأربابهم أن يهدموها .

إنهم يتمنون ويعملون بكل ما يملكون من قوة على أن ينتزعوا منا ما أنعم الله به علينا ، ولكن أنى لهم ذلك ، وليس أمامهم إلا أن يموتوا بغيظهم ، فالله يوالي نعمه علينا ، ونحن نتحدث بها ونظهرها على أنفسنا شكراناً لله ، وهلاكا لهؤلاء الحساد الكفرة .

إن هؤلاء السفلة يريدون من الموسر أن يحرم نفسه ثمرة جهده وعمله ويقدمها لهم لقمة سائغة وإلا فهو « اقطاعي » يجب أن « يُصادر » كل ما وهب الله له ، وإذ يرون النعم تزداد بفضل الله علينا يعوون وينبحون .

وليعلم الشيوعيون السفلة أنني أتحداهم وأحتقرهم ولا أباليهم وليحتشدوا وليستمروا في حربهم فإن ذلك يزيدنا ايمانا بالله ويقوي عزائمنا للجهاد ، وإن

لنا للآخرة والأولى بإذن الله ، وحسبنا وعد الله (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم * ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) وحسبنا قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) .

فنحن – والحمد لله – خير البرية ، لأننا آمنا وعملنا الصالحات . ونرجو الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يجعل كلمته العليا ، ويعز الأسلام– والمسلمين ، ويذل الشرك والمشركين ، ويهدم دولة اليهود والصهيونيين والشيوعيين والمستعمرين .

وبعد ، فأختم رسالتي هذه بهذا النشيد الديني العظيم :

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .

الله أكبر وأعز من كل شيء

والله أكبر أعز من خلقه وأقدر

وأعز مما أخاف وأحذر

اللهم أدرأ بك في نحره

وأعوذ بك من شره

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين .

المجبرون والمخدوعون

●

لم تقم الشيوعية لانقاذ الطبقة العاملة ، ولم تنتشر في روسيا نفسها بالتشويق والاختيار والإغراء والمنطق ، ولم تكن الحرية مكفولة حتى يستطيع الناس أن يقولوا رأيهم فيها ، بل ثبتت قواعدها بالعنف والقوة والحرب التي شنتها على أفراد الشعب الروسي الأعزل . وكانت نتيجتها قتل ملايين ونفي ملايين وتشريد ملايين .

لقد أكره الناس في الاتحاد السوفياتي على اعتناق الشيوعية إكراهاً ، وخشيت أن يأتي الانقاذ من الأمم الأخرى وتنشب بينه وبينها حرب لا تربحها فأطلقت في العالم الأكذوبة الضخمة التي زعمت فيها أن الشيوعية « المنقذ الأكبر » للطبقات العاملة والفقراء والمحرومين والمحتاجين والقلقين على حاضرهم ومستقبلهم ، وأنها قامت لاغنائهم وإسعادهم ، وأراد من إطلاق أكاذيبها إثارة الطبقات بعضها على بعض لتشتغل كل دولة بمشاكلها الداخلية التي تشعل الشيوعية نيرانها ، فلا تستطيع غزو المذهب الهدام في عقر داره لأنها تكون مشغولة عنها بالأمن الداخلي .

ولقيت دعوة الشيوعيين بعض الأنصار الأقوياء من أقطاب الفكر في الغرب ، لأنهم انخدعوا بوعودها وأقوالها ، وانقلبوا شيوعيين ذوي نفوذ

في الرأي وفي الصحافة وفي المجتمع ، وبشروا بها ، ودافعوا عنها ، وسبحوا بحمدها ليل نهار ، واعتبروها دينا جديداً .

وسبب ركونهم إلى الشيوعية أن الحضارة الغربية لم تطفىء ظمأ النفوس بعد الحرب الأولى ، وزاد السلام الذي أعقبها قلق النفوس الصابية إلى السلام الحقيقي المأمول ، والمادة قضت على الأشواق الإنسانية وأشعلت الظمأ الروحي إشعالا ، فظنوا سراب الشيوعية ماء .

لم يجدوا في الحضارة الغربية صبوتهم إلى السلام والسعادة فظنوا أن الشيوعية تتيحهما وتضمنهما للناس فمالوا إليها .

إن شعورهم بالظلم الاجتماعي في الغرب ، والرغبة في التخلص منه وفي الانتقال إلى عالم أفضل ، والصبوة إلى الكمال حملت أولئك المفكرين الأعلام أن يفيئوا إلى الشيوعية رجاء أن يجدوا فيها ما كان الشيوعيون يعدون به العالم من النعيم والسعادة والعدالة الاجتماعية .

ولم يظن هؤلاء العظماء من بني البشر أن ما يرونه ليس إلا سرابـا خادعاً ؛ ومن السهل أن ينخدع الظامىء بالسراب فيطيل السير حتى تكل قدماه ، وقد أطال هؤلاء الحالمون السير ، ولم يعرفوا أن ما ظنوه شرابا بارداً سائغاً لم يكن إلا سرابا ووهما وخداعا .

إن هؤلاء المخدوعين صدقوا بالشيوعية تصديقا أعمى ، ويصوره أحد أقطابهم وهو اندريه جيد أحد أعاظم كتاب فرنسا ومن طليعة الكتاب في العالم ، ويقول جيد – وهو رأي كل المخدوعين في الشيوعية الذين أفاقوا من غفلتهم – : « إن إيماني بالشيوعية يشبه الايمان بدين ، وإنها البشرى بالنجاة ، ولست أخا إلا لمن دخل الشيوعية عن طريق الحب ، وأرفع صوتي عالياً في العالم بعطفي على الاتحاد السوفياتي » .

هكذا كانوا ... ولكنهم ندموا وتابوا ، ويمثل توبتهم وندمهم ما كتبه أندريه جيد نفسه الذي يقول : « لقد كنت في بداية الأمر ساذجاً وخاطئاً ، ومن السداد أن أعترف بخطئي ، لأنني مسؤول عن أولئك الذين قد يضلهم رأيي في بلادي ويصور لهم الباطل في صورة الحق ، ولا يصح أن يمنعني زهو من الاعتراف بالخطأ ، أو تصدني كبرياء نفسي ، فالحق أهم كثيراً من نفسي ومن كبريائي ومن الاتحاد السوفياني نفسه ما دامت البشرية في خطأ ، وكان خطئي أنني صدقت الأكاذيب التي ظهرت في الكتب المفقعة المفعمة بالمديح ، وأعان على خداعي وتضليلي أن الحقائق المدونة عن الشيوعية كانت تروى في أسلوب الحقد ، والأكاذيب في براءة وحب » .

وقال جيد : « ألا يمكن أن تنحدر الأخلاق إلى الدرك الأسفل الذي تنحدر إليه الشيوعية ، ولا يمكن أن تصل الدناءة والخسة بالإنسانية إلى الحد الذي تصل إليه في الشيوعية ، وإني أحذر الطبقات الكادحة وأحذر كل الناس أن ينخدعوا بالشيوعية ، وليدركوا أنها أسفل ما عرف في تاريخ الإنسانية الطويل من مذاهب الهدم والتخريب » .

واندريه جيد فوق مظنة التعصب والحقد ، وكان الشيوعيون يقدسونه ، وعندما زار روسيا احتفل به ستالين نفسه والكرملين نفسه وأقطاب الحزب أنفسهم .

ومن أمثال أندريه جيد كثير كلهم انقلبوا على الشيوعية وارتدوا عنها ونفروا منها عندما رأوها على حقيقتها ، ومن هؤلاء : « ريتشارد رايت » الكاتب الزنجي الكبير المناضل في أمريكا ، « ولويس فيشر » أحد أساطين المراسلين البريطانيين والامريكيين المشهود له بالنزاهة والنبل ، و « أرثر

كوستلر » ، وهو مجري ، وقد انضم إلى الحزب الشيوعي في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣١ م. ولبث فيه حتى ربيع سنة ١٩٣٨م. حيث خرج على الشيوعية ناقما منددا بها ، وقد أوذي « كوستلر » وسجن وعذب من أجل الشيوعية التي كفر بها عندما انتهى إلى حقيقتها البشعة ، « واجنازيو سيلوني » الايطالي، وقد أسهم في تأسيس الحزب الشيوعي في إيطاليا ، وتعرض بسبب اعتناقه الشيوعية للنفي والسجن ، وتولى بعض الحركات العمالية ، ثم لما اهتدى إلى حقيقة الشيوعية حاربها .

ومن هؤلاء المخدوعين : « إينيد ستاركي » الارلندية ، وكان أبوها « ستاركي من كبار العلماء الخصيصين في الفلسفة الإغريقية القديمة ومندوبا سامياً للتعليم في إرلندة ، أما هي فقد تلقت علومها في كليات انكلترا وفرنسا، وأحرزت إجازة الامتياز من الدرجة الأولى من أكسفورد في دراسة الأدب الفرنسي ، ونالت الدكتوراه من جامعة باريس ودكتوراه في الآداب من اكسفورد ، ومنحت وسام فرقة الشرف « اللجيون دونير » لإسهامها في الآداب الفرنسية ومنذ بضع سنين كانت تشغل منصب « محاضرة » في الأدب الفرنسي بجامعة اكسفورد ، و « زميل » في كلية « سومر فيل » .

وكانت من أشد الكتاب تحمسا للشيوعية حتى ا نكشف لها أمرها الواضح فلعنتها .

« وستيفن سبندر » شاعر انكليزي وناقد أدبي ، وأبوه الكاتب الحر المعروف « إدوارد هارولد سبندر » — وهو الآن من كبار الشعراء والكتاب — وقد انضم إلى الحزب الشيوعي مخلصاً لمبادىء ماركس ولينين ، ولكنه سرعان ما خرج عليها ساخطاً مشمئزا منها .

و « ريتشارد كروسمان » النائب البريطاني ، وكان مبرزا في الفلسفة

والأدب ، وظل في اكسفورد يدرس فلسفة أفلاطون والعلوم السياسية ثمانية أعوام ، آمن بالشيوعية ثم لما عرف حقيقتها حاربها حربا لا هوادة فيها .

وغيرهم كثير ، كلهم ارتدوا عن الشيوعية حينما وقفوا على حقيقتها ، وأصبحوا من أشد خصومها الألداء .

وليس بين من استهوتهم الشيوعية أو اجتذبوا اليها — باستثناء بعض المخدوعين — عالم فذ ، أو أديب مبدع ، أو فيلسوف كبير ، أو مفكر عظيم برغم ما يزعم الماركسيون أن مذهبهم هو « المذهب العلمي » وهو المذهب الذي يفسر التاريخ تفسيراً علمياً ، وهو المذهب الذي يقوم على الحرية والعدالة والمساواة . إلى آخر هذه المفتريات التي تتبجح بها الشيوعية .

ليس بين من استهوتهم الشيوعية أحد من هؤلاء العلية في العلم والفكر والفن ، بل كل أنصارها والمستجيبين لها والمجذوبين إليها يمتازون بضحولة الفكر وفسولة الرأي وضعف العقيدة وخور العزيمة وانفجار اليأس والقنوط في نفسه والنقمة من الناس والتبرم بالواقع والحياة ، لا لأنه أكبر من الحياة وأعظم من الناس ، بل لأن أغلاله من العبودية والرق والدناءات وفقدانه الصفات الإنسانية لا تمكنه من السمو فينقم على الأغنياء حتى يهبط بهم إلى الأغوار التي يحيا فيها ، لأنه لا يستطيع عرض سوءاته والمباهاة بالرذائل ، والتفاخر بالكفر إلا في ظل الماركسية ، فهو يعتنقها لأنها شريعة المنكرات والكفر والإلحاد والموبقات .

وما سمعت بشيوعي أو قرأت عنه أو رأيته إلا وجدته فاقد الكرامة الإنسانية والرجولة ، ويعيش عالة على غيره ، ويتمرغ في « البطالة » والتشرد ، ويضمر الشر لكل برىء نظيف من خلق الله ، أو مخدوعا لم تتكشف له الحقائق ، أو غرا ، أو ممن أضله الله على علم .

الشيوعيّة عدوّ الإنسان

•

عندما كنت طالباً بالمعهد العلمي السعودي فيما بين سنة ١٣٥١ — ١٣٥٤هـ. كانت المجلات المصرية تصلنا ، وكانت في مكتبتي مجلدات من مجلة « الهلال » تبدأ من سنة ١٩٢٦م. (١٢٤٤هـ.) وكانت تنشر مقالات في الشيوعية التي لم تكن معروفة على حقيقتها في العالم العربي والعالم الإسلامي ، بل كانت مجهولة فيهما بسبب رالجهل الذي اطبق عليهما .

واذا استثنينا افرادا فإن شعوبهما لم يكونوا يعلمون من الشيوعية شيئا ، بل كانوا يجهلون اسمها ، إلا أنها كانت معروفة عندنا في مكة وا لمدينة باسم البلشفيك والبلشفية .

وانتقلت الينا هذه المعرفة من اخواننا المسلمين من أهل بخارى وتركستان وطشقند وداغستان والقرم وغيرها من البلدان الاسلامية التي وقعت في جحيم الشيوعية ، ففر منها من استطاعوا الى البلدان الحرة ، ولجأ آلاف منهم إلى المدينتين المقدستين الآمنتين : مكة والمدينة حرسهما الله .

وتحدث هؤلاء اللاجئون عن الفظائع التي شهدوها والمذابح التي سالت فيها الدماء انهارا ، وكان منهم أئمة ومثقفون نقلوا الينة حقيقة الشيوعية وإنكارها وجود الله والرسل والكتب المقدسة ، وتحدثوا عن البلشفيك والمنشفيك ولينين وزمرته المجرمين .

وعندما ابتعثت الى مصر للدراسة سنة ١٣٥٥هـ. (١٩٣٦م.) كانت لديَّ

معلومات عن الشيوعية ، ورغبة مني في المزيد من المعلومات عنها سألت أقطاب الفكر الحديث ممن كنت على صلة وثيقة بهم كالدكتور طه حسين والدكتور محمد حسنين هيكل والاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني والاستناذ عباس محمود العقاد ، وتزودت منهم بمعلومات كثيرة وقيِّمة .

ومنذ تلك السنة وأنا مهتم بالشيوعية التي مقتُّها أشد المقت ، لأنها تنكر وجود الله ، وصارت لديّ مكتبة كبيرة في الشيوعية ، ولعلها اليوم أكبر مكتبة بالجزيرة العربية في هذا الموضوع ، واعتقد أني أول سعودي درش الشيوعية وحاربها ، وكتب عشرات المقالات ضدها .

وتاريخ الإسلام غير خال من الحركات الهدامة التي تتفق مع الشيوعية في بعض مبادئها كالباطنية التي تستبيح جميع القيم الروحية والإنسانية ، وتنتهك كل الحرمات ، وتحارب المبادىء الرفيعة ، وتلذ بالقتل والدم ، ولكنها حركات لم تفلح في السيطرة والبقاء فزالت من الوجود . لأنها لم تكن لها دولة معترف بها كدولة الشيوعية التي تعترف بوجودها دول العالم وتتبادل معها التمثيل السياسي وغيره .

ولهذا كان خطر الشيوعية أفظع من الحركات الهدامة التي سبقتها ، ولن تظهر على الأرض حركة أشد منها خطراً على الإنسان ، فأبالسة الشيوعية اعتمدوا الغرائز الشيوعية مثل الأبالسة السابقين وزادوا عليهم في الاستعانة بالعلم لتحطيم البشرية وهدم كل ما عرف العالم من ديانات ومثل وآداب واخلاق ومواريث وذخائر وقيم .

وأول ما هدمت الشيوعية الدين كل دين ، لأنها تدرك أن الدين هو

مصدر الأخلاق الكريمة وينبوع الفضائل ، فإذا قضت على الأصل والمصدر فقد قضي على ما يأمر به وينهي عنه .

وذهبت الشيوعية في الخبال والكفر اللئيم إلى أبعد غاياتهما ، فجحدت وجود الله أشد ما يكون الجحود . وادعت أنه لا وجود له ، وزعمت أنه خرافة .

ولما كانت الشيوعية — كما يزعم أبالستها الكفرة — صحوا عقليا وذهنيا فهي لا تؤمن بالخرافة ، وهي لهذا تجحد وجود الله ، وتدعو إلى الكفر والالحاد .

وتبعاً لجحودهم هذا كان انكارهم للرسل والرسالات والكتب المقدسة والديانات حقها وباطلها ، وإنكارهم كل ما جاء عن الله من أوامر ونواة ومغيبات وآداب وشرائع وعقائد .

وطبيعي أن من يجحد وجود الله والدين ، يجحد كل القيم . لأنها وليدة العقيدة الدينية .

وطبيعي أن تهدم الشيوعية حرية الإنسان ، لأنها هبة الله له لا ينتزعها أو يجرحها الا ظالم كفّار لئيم ، والشيوعية تنزعها نزعا وتقضي عليها وعلى صاحبها ، لأن ذلك ركن من أركانها التي تقوم عليها ، فهي تقتل الحرية أيا كان نوعها ، وتحل محلها نقائضها من الكبت والحرمان والتسلط والإرهاب والجبروت والطغيان ، لأنها تدرك أن بقاء جزء من الحرية للإنسان والمجتمع كفيل بأن يجعل الشيوعية جثة هامدة متعفنة .

والملكيات بأنواعها المشروعة حق ترعاه الديانات ، وتجعل لها حرمة وعصمة ، ويؤذن الإسلام بحرب من الله ورسوله كل من يتعرض لها بأذى

وسوء ، لأنها حق الإنسان ، ولكن الشيوعية تنزعها من أصحابها وتقضي عليهم بالقتل والعذاب والسجن والتشريد غير مكتفية بالمصادرة ، لأن الشيوعية خصم كل حق ، فإذا كان الحق محميا من الدين فهي أشد ما تكون عداء له لأنه عداء مزدوج .

والميراث حق طبيعي للوارثين فيما يملكه مورثهم كما تقرر الاديان ، ولكن الشيوعية تنكره ، لأنها تنكر الدين الذي قرر هذا الحق وحماه ، فهو انكار مضاعف لكل أوامره ونواهيه ومقرراته ومقدساته .

وتزعم الشيوعية أن الدين أفيون الشعوب يخدرها به لترضى بالواقع الأليم الذي أوقعها فيه ، وترضى بفقد العزة والنخوة والكرامة .

وهذه تهمة لا تركب الدين بحال من الأحوال ، ولكنها تركب الشيوعية في جميع أحوالها وأمورها ومبادئها الهدامة ، لأن الدين صحو وليس افيونا ، والشعوب المتدينة بحق دائمة الصحو والوعي واليقظة ، لأنها تتحرى الحق ، وتميز بين الحلال والحرام ، وتأخذ نفسها بأشد ما يكون من الصحو حتى لا تقع في الحرام فتتعرض لنقمة الله وعذابه ، والمؤمن الحق يتفادى عذاب الله بطاعته فيما أمر ، وانتهائه عما نهى .

والمتدين ذو نخوة وعزة وكرامة ، فهو رافع الرأس لا يحنيه الا لله ، ويؤمن أن العبودية لا تكون إلا لله وحده ، فهو لا يدين بها لأحد سواه ، وليست من حق مخلوق على مخلوق ، وكل مخلوق ككل مخلوق في الحقوق والواجبات والتكاليف والأوامر والنواهي ، ومن دان بالعبودية لغير الله فهو آثم وكافر ومشرك ، والمؤمن يتحرج من الوقوع في الاثم ، ولا يشرك بربه احدا ولو كان أقرب المقربين اليه .

وماذا يبقى للانسان من الإنسانية إذا فقد دينه ؟ انه ينقلب حيوانا أدنى من الحيوان الاعجم الذي يعرف ربه بغريزته .

وماذا يبقى للانسان من خصائص الإنسانية وضروراتها اذا انقلب حيواناً لا يملك ولا يرث ؟

وما دامت الشيوعية تنكر وجود الله والدين والملك والإرث فيما تنكر فهي حيوانية متوحشة لئيمة ، وكل ما فيها من آراء ونظريـــات ومبادىء ومعتقدات هدم لكل القيم الرفيعة والمثل العالية والآداب والأخلاق والعادات والتقاليد الطيبة المحمودة التي تصدر عن الدين .

ولهذا قضت الشيوعية على الدين وأهله في روسيا والجمهوريات التابعة لها ، وبطشت بالملايين منهم كما قضت على تسعين بالمئة من المساجد والمعابد وما زالت شديدة الوطأة على الدين ومعتنقيه .

ولما كان الانسان متدينا بطبعه وغريزته فقد عادت الشيوعية الانسان كله ، حتى العامل الذي زعمت أن ثورتها من أجله ، يعيش في سعيرها أحقر وأذل من كلب قذر ، ويشعر بهذه الذلة وتلك الحقارة لأنه في حقيقته وطبيعته انسان .

ومن كذب الشيوعية زعمها أن مجتمعها مجتمع عمالي . لأنه يتكون من العمال . وما وصفته بكلمة « عمالي » — كما تزعم — إلا لأنه قائم عـــلى العدالة والرخاء اللذين يفقدهما كل مجتمع عدا المجتمع الشيوعي . والواقع يكذبها ، فالعامل في الشيوعية لا صوت له ولا حق ولا كرامة ولا حرية ، ويكفي أن من لا يملك صوته لا يملك شيئاً من ضرورات الحياة فضلا عن الحرية والإنسانية .

والعامل في الشيوعية عبد ذليل أدنى من الحيوان ، وأذل وأحقر من كلب قذر ، وليس في الوجود كله عامل مسلوب الحق والإنسانية والكرامة ذليل أشد ما يكون الذل ، حقير أشد ما تكون الحقارة غير العامل في الشيوعية .

ولهذا لا نجد عمالا روسيين خارج روسيا في الوقت الذي نجد آلافا من العمال من كل أمة يعملون في غير أوطانهم ، ويعيشون أحرارا معززين مكرمين في أوطانهم وفي غير أوطانهم .

وإذا كان المجتمع الشيوعي فردوسا دنيويا كما تزعم الشيوعية فلماذا لا تسمح بخروج العمال من أرضها الى العالم ليكونوا دليل ذلك الفردوس الكاذب وشاهدا على النعيم الواهم ؟

ولكن الشيوعية تعلم أكثر من غيرها أن فردوسها ليس الا جحيما ، ونعيمها ليس غير العذاب ، وما روسيا والدول الشيوعية الا أفظع سجن رهيب بشع مفزع مزدحم بأقسى وسائل التعذيب التي لا تخطر ببال الشياطين غير الشيوعيين . ولهذا لا تسمح لسجين أن يغادر سجنه الى خارجه لئلا تنكشف للعالم حقيقة الشيوعية .

غير أن أمر هذا السجن مفضوح ، وعرف العالم أكاذيب الشيوعية وخيالها وأوهامها وضلالاتها وما تدخر للمخلصين لها فضلا عن الناقمين من قهر وعذاب وكبت وإرهاب ومسخ للبشرية .

وكل من في روسيا وجمهورياتها عبد ذليل حقير لشخص واحد هو ستالين الذي يعبد من دون الله ، ولا فرق في عبادته بين كناس ووزير ، فكلهم سواء في العبودية لهذا الطاغية السافل الخبيث .

وإذا كانت الشيوعية في روسيا مضروباً عليها ستاراً لا منفذ فيه فإن السلام

الذي أعقب الحرب الثانية فتح الباب لخروج المذهب الهدام فسيطر على أمم وشعوب رزحت تحت سلطانه الغشوم بعد أن كانت حرة مستقلة تنعم بالحياة والحرية والكرامة والاستقلال .

وإذا كان خطر الشيوعية على كل بلدان العالم محققا إذا لم تستيقظ دوله لوقف زحفها والقضاء عليها فإن هذا الخطر لا يهدد البلدان المسلمة ، لأن الإسلام هو الخطر الأكبر على الشيوعية كمذهب .

وإذا تقابلا وجها لوجه فسوف تسقط الشيوعية جثة هامدة ، إلا إذا كان الإسلام في بلدانه اسما على غير مسمى فهناك الخطر كل الخطر .

وما دامت الشيوعية تجحد وجود الله وتنكر الأديان فإن على العالم الذي يدين بوجود الخالق أن تتحد كلمة أهل الديانات الالي يمثلون أكثر سكان العالم ويملكون أضخم قوة على وجه الأرض في محاربة الشيوعية ، ولا شك أن اتحاد كلمتها قوة تصرع الشيوعية في وقت قصير .

وإذا كان الإسلام قوة تستطيع صرع الشيوعية بسرعة إذا اطلقت لها الحرية فإن الاستعمار الغربي قد جنى على نفسه باضعاف الإسلام وذلك باضعاف المسلمين وقهرهم وتجريدهم من القوى .

وهذا يعطي الشيوعية القوة التي تهدد سلام العالم كما يعطيها أحسن الفرص لتزداد قوة على ما تملك من قوى التدمير الماحق التي تنطلق في داخل كل دولة فتفجر براكينها فيه فتدمر قيمها ومواريثها وموازينها ونفائسها وذخائرها كل ما تعتز به .

ويجوز أن يتم بين الشيوعية والغرب لقاء على المصالح مقرونا بلقاء مخافة كل منهما الآخر لئلا تثور بينهما حرب لا يفيد الغالب انتصاره ، ولكن لن

يتم بين الإسلام والشيوعية لقاء مهما كانت الأحوال ، لأن الخلاف بينهما نابع من الغريزة وصادر من العقيدة ، وهو – بعد – خلاف في كل شيء ، ومن هنا كان من المستحيل أن يتم لقاء في أي مجال ، ومن المستحيل – أيضا – أن يكون بينهما أي تفاهم لأنهما على طرفي نقيض .

وشعوب أمة الإسلام برغم الإستعمار وما منيت به منه تستطيع أن توحد كلمتها في محاربة الشيوعية فتكون حصنا ترتد عنه خاسرة مهزومة – وهذا لا يتم إلا إذا كان اسلامها هو الإسلام الحق .

الشيوعية ترعى الاسلام
رعاية الجلاد للمحكوم عليه بالاعدام

•

عصرنا هذا يتسع للمفارقات والأضداد إلى حد انكار الحقائق وتصديق المحال ، ورأينا من العجائب وما زلنا نرى ما لا يمكن ان يصدق ، ولكنه واقع مشهود .

فالشيوعية تنكر وجود الله انكاراً شديداً وتصف المؤمنين بوجوده بأنهم مسلوبو العقل والارادة والتمييز والشعور والادراك ، وتصف الدين — كل دين — بأنه أفيون الشعوب .

والشيوعي لا يجامل المؤمن مهما كانت الظروف والاحوال ، فمنذ سنوات كان زعيم الشيوعية في الارض — وهو خروتشوف — في زيارة ايزنهاور ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية الاسبق ، وحان موعد ذهابه إلى الكنيسة فدعا ايزنهاور ضيفه الشيوعي ان يصحبه إليها ، فأجابه : لا أريد ان افجع أمتي .

وابى خروتشوف معلناً أنه سعيد بكفره اللئيم .

والشيوعية تعلن كفرها والحادها وتفخر بذلك ، واضطهدت كل الديانات وبخاصة الاسلام ، وحولت روسيا الشيوعية اكثر من ثلاثين الف

مسجد وجامع كبير إلى دور لهو واصطبلات وحانات ، وحولت الصين الشيوعية في تركستان اكثر من عشرين الف مسجد وجامع إلى مثل ما حولت روسيا ، وكذلك جميع الدول الشيوعية ، كما قتلت ملايين المسلمين .

ولم يكف الشيوعية كل ذلك فتحدت الله جل جلاله تحدياً سافراً من جميع اذاعاتها منذ عشر سنوات .

وقلت في مقال لي بجريدة « عكاظ » عندما كانت في ملكي في احد اعدادها الصادرة سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م) واعدت نشره في كتابي « الاسلام طريقنا الى الحياة » المطبوع سنة ١٣٨٤ هـ ما نصه :

« الشيوعية تنكر وجود الله كل الانكار ، ولم يقف بها الجحود عند هذا الحد ، بل تمادوا في الكفر اللئيم إلى حد التحدي فوقفت اذاعات الشيوعية في شهر المحرم من عامنا هذا (١٣٨٠) تتحدى الله وتقول له : ها نحن اولاء ننكر وجودك ونقتل من يعبدونك ، فان كنت موجوداً فأثبت وجودك بالانتقام منا ، وقد كتبت حينئذ » بجريدة الندوة الغراء او بجريدة « المدينة المنورة » الفاضلة — لا اذكر — ارد على الشيوعية الباغية » الخ ..

وعداوة الشيوعية للاسلام اشد من عدائها لاي دين وقلت في كتابي « الشيوعية والاسلام » المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦م) .

عرفت الشيوعية ان الخطر الوحيد الذي يهددها هو الدين ، فانكرت وجود الله اشد الانكار لان الاديان الصحيحة تقوم على اثبات الوحدانية لله والايمان بوجوده . وانكرت الدين حتى يتسنى لها انكار الخالق ،

وزعم ماركس : « لا إله الا المـــادة ، والمادة كل شيء ، والحياة هي المادة » .

وقال انجلز : « لا مكان لوجود الله » وقال هوبز : « لا وجود لله » وقال ماركس : «رسالة الطبقة العاملة القضاء على الدين والمتدينين والداعين اليه » وايده الحزب الشيوعي بقوله : « لا يستطيع حزبنا أن يكون محايد للدين ، لان الدين ينافي الشيوعية ، والشيوعية تنافيه » .

وعندما حكم لينين كان معتقده ومعتقد رفاقه والحزب الشيوعي معتقد كارل ماركس ، ثم خلفه ستالين فاذا المعتقد هو المعتقد ، وكلهم حاربوا الاسلام حرباً لا هوادة فيها ، وما زالوا يحاربونه اعنف حرب ولم تهادنه قط ، بل اجبرت الشيوعية عبيدهـــا المسخريـــن في البلدان العربيـــة والاسلامية على محاربة الاسلام وزعمـــاء المسلمين وأئمة الدين فقتلوهم تقتيلا ، وملأوا السجون بعشرات الآلاف من المؤمنين الصادقين .

وليس غريباً ان تحارب الشيوعية الاسلام ، فهي تعلم حق العلم ان الاسلام نظام اجتماعي ، وتعلم انه منافس خطر ومزاحم لا يدفع . فأفردتـــه بالحرب دون المسيحية واليهودية والديانات الاخرى ، ومع هذا لم تستطع ان تقضي عليه وعلى معتنقيه ، فقد ثبت لموسكو ان شباب المسلمين في الاتحاد السوفييتي الذين ولدوا على ارض الشيوعية ورضعوا لبانها وتعلموا في مدارسهـــا الالحاد والكفر والمادية ثبتوا على اسلامهم ، وكلمـــا زادت الشيوعية في ارهابهـــا وتقتيلها زادوا ثباتاً على دينهم الحق .

واخيراً رأى الشيوعيون في موسكو ان يتخذوا وسيلة جديدة للقضاء على الاسلام باسم الاسلام ، ولا اقصد بكلمة « اخيراً » المؤتمر الاسلامي الذي عقده الشيوعيون في طاشقند قبل اسابيع وحسب ، بل اقصد معه استخدامها

الاسلام في ضرب الاسلام منذ عشر سنوات ، ثم جسدت حربها بعقد مؤتمر طاشقند وحشدت له ممثلين لاقطار عربية واسلامية تتحكم في في زعمائها ورؤسائها .

وعجز الشيوعيون الروسيون في محو الاسلام من الاقطار التي احتلتها ، ولم تحقق آمالهم الحروب التي شنتها على الاسلام فرأت استخدامه لقتله .

وفي الوقت الذي انعقد مؤتمر طاشكند هذا كانت صحف طاشكند الشيوعية تهاجم الاسلام وتزعم انه دين ميت ، واشتركت الصحافة والاذاعة ووسائل الاعلام الشيوعية في الحملة المتوحشة ضد الاسلام الذي عقدوا باسمه مؤتمراً .

ولم اعجب لاشتراك بعض الدول العربية والاسلامية في هذا المؤتمر الشيوعي ، لان حكامها شيوعيون وعبيد الشيوعية المسخرون لخدمتها .

وأما من وصفوا من الذين مثلوا تلك الدول بأنهم ائمة الاسلام ليسوا الا صنائع الشيوعية ومضوا إلى المؤتمر وهم يحملون تأييد الشيوعية ضد الاسلام الذي زعموا انهم يمثلونه في مؤتمر اطلقوا عليه اسم الاسلام زوراً .

واجمع من حضروا المؤتمر على التآمر على الاسلام وقرروا اتخاذه درعاً للشيوعية وقذفوا بالاسلام في وجه الاستعمار الغربي والصهيونية والرأسمالية لتجتمع عليه فتحاربه ، والشيوعية رابحة اذا انهزم احد المتصارعين .

ان الشيوعية اتخذت الاسلام سلاحاً لها ، وسخرته لحمايتها وخدمتها بوساطة من يسمون مسلمين وهم ليسوا مسلمين وان زعموا انهم من أئمة الاسلام .

ولا يمكن ان يتصدى مسلم لتأييد الشيوعية ومدحها وحمايتها ، ومن

ألأم الكفر وأبشعه ان ينهض ذو ضمير او من ينسب إلى الاسلام بغير حق ليستظل بعلم الشيوعية التي تنكر وجود الله وتتجنى على الرسل وبخاصة رسول الله محمد عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

ومن صفاقة الشيوعية ومن حضروا المؤتمر أن يزعموا ان الاسلام جمعهم ، وما جمعهم الا الكفر به ، وما جمعهم الا الشيوعية لتجعل منهم كلاب حراسة يحرسونها ، فهم أسلحة من اسلحتها ضد الاسلام .

ولو كان لهؤلاء المؤتمرين ذرة من عقل وخلق ودين لما رضوا ان يكونوا عبيداً للشيوعية تسخرهم لضرب الاسلام ، وان يسمعوا ما يوجه اليه من شتائم وقذائف قذرة .

فالشيوعية تكفر بالاسلام وتحاربه ، ومذهبها يقوم على انكار وجود الله ، وطبيعي أن من ينكر وجود الله أن يكفر بالاسلام .

والشيوعية تكذب رسول الاسلام محمداً عليه صلوات الله وسلامه ، ولم تتراجع قط عن الحادها وسبّها الاسلام ورسوله ، بل تصر على الحادها وتثابر على محاربة الاسلام .

ومن المفارقات العجيبة ان تدعو الشيوعية إلى عقد مؤتمر اسلامي في احدى مدنها وهي طاشكند ، وتضع للمؤتمر مخططاً رهيباً ، اذ تضع في ايدي اناس ينتسبون الى الاسلام اسلحة الشيوعية لضرب الاسلام نفسه بعد أن اخفقت في القضاء عليه في جمهوريات الاتحاد السوفييتي التي يسكنها مسلمون .

ومن هذه الاسلحة نظرية تنقيح الاسلام ، وهي لم تكن حديثة الولادة ، بل مضت سنوات عليها ، وفي احدى « الوثائق السرية الخطيرة » التي

نشرتهـا مجلة « كلمة الحق » في العدد الاول الصـادر في شهر المحرم سنة ١٣٨٧هـ (ابريل ١٩٦٧م) المخطط الرهيب للقضاء على الاسلام ، وقد اعده الشيوعيون في موسكو وقدموه لعبيدهم المسخرين في احد بلدان الشرق العربي المسلم لينفذوه ، وقد اخذوا في تنفيذه بدقة .

وهـا نحن اولاء ننقـل من مجلة « كلمة الحق » بعض مـا يحويه المخطط الشيوعي لضرب الاسلام في دياره .

تقول الوثيقة :

« برغم مرور خمسين سنة تقريباً على الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي وبرغم الضربـات العنيفة التي وجهتها اضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الاسلام فان الرفـاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفياتي صرحوا كـا تذكر مجلة « العلم والدين » الروسية في عددهـا الصادر في اول يناير ١٩٦٤ بمـا نصه :

« اننـا نواجه في الاتحاد السوفياتي تحديـات داخلية في المناطق الاسلامية وكأن مبادىء لينين لم تتشربهـا دماء المسلمين » .

« وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين فان الاسلام مـا يزال يرسل اشعاعـاً وما يزال يتفجر بالقوة بدليل ان ملايين من الجيـل الجديد في المناطق الاسلامية يعتنقون الاسلام ويجاهرون بتعاليمه مع ان قادة الحزب ومفكري المذهب لا يغيب عنهم خطر يقظة الاسلام في المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفياتي الذي أشار في « دائرة معارف الثقافة الشيوعية » إلى خطر الاسلام ووصفته على حقيقته اذ ذكرت « دائرة معارف الثقافة الشيوعية » ان الاسلام اخطر الاديـان الرجعية ويبذل اقصى جهده ليكون في خدمة

المستغلين والاقطاعيين والرأسماليين ، ويقدم كل العون للاستغلال ، وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم ، وخصم عنيد للاشتراكية ، ويناهض الحركات التحررية » .

وتقول الوثيقة :

« ومن هذا المخطط ان يتخذ الاسلام نفسه اداة لهدم الاسلام نفسه ، وقررنا مـــا يلي :

« ١ ــ مهادنة الاسلام لتتم الغلبة عليه ، والمهادنة لاجـــل حتى نضمن ايضاً السيطرة ، ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية .

« ٢ ــ تشويه سمعـــة رجال الدين والحكام المتدينين واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

« ٣ ــ تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحـــل .. ومزاحمة الاسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية » .

وتقول الوثيقة :

« ٦ ــ الحيلولة دون قيـــام حركات دينية في البلاد مهمـــا كان شأنها ضعيفـــاً ، والعمل الدائم بيقظة لمحو اي انبعاث ديني ، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكـــل من يدعو إلى الدين ولو ادى الى الموت .

« ٧ ــ ومع هذا لا يغيب عنـــا ان للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات ، ولذا وجب ان نحاصره من كل الجهات وفي كـــل مكان ، والصاق التهم به ، وتنفير الناس منه بالاسلوب الذي لا ينم عن معاداة الاسلام .

« ٨ ــ تشجيع الكتاب الملحدين واعطاؤهم الحرية كلهـــا في مهاجمة

الدين والشعور الديني والضمير الديني والعبقرية الدينية ، والتركيز في الاذهان أن الاسلام انتهى عصره ، وهذا هو الواقع ، ولم يبق منه اليوم الا العبادات الشكلية التي هي الصوم والصلاة ، والحج وعقود الزواج والطـلاق ، ستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية .

« امـا الصوم والصلاة فلا اثر لهما في الحياة الواقعية ولاخطر منهمـا ، اما الحج فمقيد بظروف الدولة ، ويمكن استخدام الحج في نشر الدعوة الاشتراكية بين الحجاج القادمين من جميع الاقطار الاسلامية ، والحصول على معلومات دقيقـة عن تحركات الاسلام لنستعد للقضاء عليها .

« ٩ — قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعـاً تاماً ، واحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الاسلامية التي هي اكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية .

« ١٠ — ان فصم روابط الدين ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجـد والكنائس . لان الدين يكمن في الضمير ، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجيـة ، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ، ولم يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنـا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية ، ونجحنـا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات الـتي تروج للالحاد وتدعو اليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده . وجعله الاله المسيطر .

« ١١ — مزاحمة الوعي الديني بالوعي العلمي ، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي .

« ١٢ — خداع الجماهير بأن نزعم لهم ان المسيح اشتراكي وامـام الاشتراكية ، فهو فقير ، ومن اسرة فقيرة ، واتباعه فقراء كادحون ، ودعا إلى محاربة الاغنياء .

« وهذا يمكننـــا من استخدام المسيح نفسه لتثبيت الاشتراكية لدى المسيحيين

« ونقول عن محمد : انه إمام الاشتراكيين فهو فقير وتبعـه فقـراء وحارب الاغنياء المحتكرين والاقطاعيين والمرابين والرأسماليين ، وثار عليهم ، وعلى هذا النحو يجب ان نصور الانبياء والرسل ، ونبعد القداسات الروحية والوحي والمعجزات عنهم بقدر الامكان لنجعلهم بشراً عاديين حتى يسهل علينـــا القضاء على الحالة التي اوجدوهـــا لانفسهم وأوجدها لهم اتباعهم المهووسون .

« ١٣ — في القرآن والتوراة والاناجيل قصص ، ولئـــلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونثيرهم على الاشتراكية يجب ان نفسر تلك القصص الدينية تفسيراً ماديـــاً اشتراكياً ، فقصة يوسف — على سبيل المثال — يمكن تفسيرها تفسيراً ماديـــاً تاريخياً ، وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين والاقطاعيين والنساء الشريفات والحكـــام الرجعيين .

« ١٤ — اخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي ، وتجريد هذه القوى تدريجيـــاً من موجداتها الخ .

« ١٥ — اشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير واشغالهم بالاناشيد الحماسية والوطنية والاغـــاني الوطنية والشؤون العسكرية والتنظيمات الحزبية والمحاضرات المذهبية والوعود المستمرة برفع الانتاج ومستوى المعيشة والقاء مسؤولية التأخر والانهيـــار الاقتصادي والجوع والفقر والمرض على الرجعية والاستعمار والصهيونية والاقطاع ورجال الدين .

« ١٦ — تحطيم القيم الدينية والروحية باظهار مـــا فيها من خلل وعيوب وتخدير للقوى الناهضة .

« ١٧ — الهتاف الدائم ليل نهار وصباح ومساء بالثورة ، وان الثورة هي المنقذ الاول والاخير للشعوب من حكامها الرجعيين ، والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعود بهــا جماهير الشعوب الكادحة .

« ١٨ — نشر الافكار الالحادية ، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية ، وزعزعة الثقــة في رجال الدين في كل قطر اسلامي .

« ١٩ — لا بأس من استخــدام الدين لهدم الدين ، ولا بــأس من اداء الزعمــاء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على الا يطول زمن ذلك ، لان القوى الثورية يجب الا تظهر غير ما تبطن الا بقدر ، ويجب ان تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتهــا فالثورة قبل كل شيء هدم للقديم والمواريث الدينيــة جميعها .

« ٢٠ — الاعــلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف الذي يعتنقه الناس لجهلهم ، والدين الصحيح هو الاشتراكية ، والدين الزائف هو الافيون الذي يخدر الشعوب لتنساق وتسخر لخدمة طبقة معينــة ، والصاق كــل عيوب الدراويش وخطايا رجال الدين بالدين نفسه ، وترويج الالحــاد واثبات ان الدين خرافة ، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا الدين الصحيح الذي هو الاشتراكية .

« ٢١ — تسمية الاسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مأربهــا وتحقيق غاياتهــا بالدين الصحيح والدين الثوري والدين المتطور ودين المستقبل حتى يتم تجريد الاسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه ، والاحتفاظ منه بالاسم فقط ، لان العرب الا القليل مسلمون بطبيعتهم ، فليكونوا الآن مسلمين اسما ، اشتراكيين فعلاً ، حتى يذوب الاسلام لفظاً كمــا ذاب معنى .

« ٢٢ — ... .

« ٢٣ — اخذنا بتعاليم لينين ووصيته بأن يكون الحزب الاشتراكي خصماً عنيداً للدين ، ويحارب فكرته في المنتظر ما بعد الموت بالفردوس الذي تحققه الاشتراكية العلمية التي تحقق العدالة الاجتماعية التي هي الفردوس ، واذا وجد من الضروري مهادنة الدين وتأييده وجب ان تكون المهادنة لأجل ، والتأييد بحذر ، على ان يستخدم التأييد والمهادنة لمحو الدين » .

وتقول الوثيقة :

« ٢٥ — الاهتمام بالاسلام مقصود منه — اولا — استخدام الاسلام في تحطيم الاسلام .. ثانياً — استخدام الاسلام للدخول في شعوب العالم الاسلامي .

ومع أن القوى الرجعية في العالم العربي والاسلامي قوى يقظة الا ان الخطة التي اتخذناها ستضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظها بمقوماتها فتذوب على مر الايام .

« ٢٦ — وباسم تصحيح المفاهيم الاسلامية وتنقيته من الشوائب ، وتحت ستار الاسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية » .

وتفصح الوثيقة عن اسرار رهيبة فتقول :

« وفي المحيط العربي كله يعمل انصارنا بجد ، وقد استطاعوا ان يثبوا إلى المناصب الرئيسية في الوزارات والادارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، ووفقوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية الا أن توفيقهم للوصول إلى تلك المناصب يعد من الاعمال الناجحة ، كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يجعل اللقاءات في صورة اللقاء الجماعي .

« ولئن كان من المتعذر جداً توقيت التحرك الثوري الا ان التمهيد له ينتهي في وقت غير بعيد ، ويزداد على مر الايــام عدد انصارنا الذين يتولون المناصب ذات الاثر الفعــال في خلق الجو الصالح للتحرك الثوري ، وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسؤولين الذين لا يشك في اخلاصهم للنظام الرجعي الحــاكم المعادي للاشتراكية واجهة يقفون وراءها ويعملون تحت ستارها مــا يريدون في امن وطمأنينة مع اليقظة والحذر دون ان تحوم حولهم الشكوك لانهم يتسترون بأولئك المسؤولين .

وانصارنا منبثون في كــل الوزارات والادارات والقطاعات الحكومية والعسكرية والشعبية والرسمية والاهليــة ، واتسعت دائرة نفوذهم التي تزداد اتساعاً ويزداد تغاغلهم على مر الايام » .

هذا قليل من كثير جد كثير ممــا حوته الوثيقة الشيوعيــة التي كتبها بعض الشيوعيين العرب ورفعوهــا إلى سادتهم في الكريملين ، واستطاعت مجلة « كلمة الحق » ان تحصل عليها وتنشرها منذ اكثر من ثلاث سنوات .

وقد تحقق بعض ما أشارت اليه هذه الوثيقة فقتل في بعض البلدان العربية المسلمة آلاف من أبنائها المسلمين مع زعمائهم الدينيين ، وقصفت قرى هؤلاء ومساكنهم بالطائرات ثم دمرت بالدبابات والمدافع بما فيها من الأطفال والنساء وبيوت الله والمدارس .

والشيوعية لا يهمها وجود المساجد بل الذي يهمها ضرب الحركات الاسلامية وقتل قادتها وأئمتهــا ، ثم لا يهمهــا من يبقى من المسلمين الضعفاء ، لأنهم لا يستطيعون أن يناهضوا الحكام الثوريين الشيوعيين .

ثم يأتي مؤتمر طاشكند الاسلامي الذي أقامته الشيوعية الروسية لتجديد المخطط والاعداد لانفاذه ، والجديد في الخطة الجديدة استخدام رجال الدين المزيفين المنافقين الذين يتظاهرون بالاسلام وهم أشد أعدائه لضرب الاسلام بإسم الاسلام كما جاء في تلك الوثيقة الرهيبة .

ويجب أن يكون انعقاد مؤتمر طاشكند الذي انتهى بما انتهى اليه من العمل السريع الجاد لضرب الاسلام وكل حركاته في العالم العربي والاسلامي وقادتها نذيراً للمسلمين فيستعدوا ويدفعوا عن أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأعراضهم وعقيدتهم ودينهم الحق الزحف المنتظر ، ويقفوا في وجهه مجاهدين حتى يكتب الله النصر لعباده المؤمنين كما وعدهم ، وان الله لا يخلف الميعاد .

والمسلمون وزعماؤهم وقادة حركات الاسلام قد تغافلوا في الماضي القريب عن كيد أعدائهم ومخططاتهم الرهيبة مما أعطى اعداءهم الفرصة فاغتصبوا من أيديهم بلدانهم ، وأخذوا يهدمون الاسلام فيها وما زالوا يعملون من أجل تحويل العالم العربي والاسلامي إلى منطقة مارقة عن الدين خارجة على الأخلاق .

وان مؤتمر طاشكند يجب أن يوقظنا لما يراد بالاسلام والمسلمين .

فاذا أعد الشيوعيون ومعهم اعداء الاسلام الآخرون مخططا لضرب الاسلام فعلى أمة الإسلام أن تستعد بمخطط مضاد، ويجب أن يبادر حكام المسلمين في كل مكان الى اعتناق فكرة « التضامن الاسلامي » الذي دعا اليه خادم الحرمين الشريفين فيصل – أيده الله ومد في عمره – وعمل له وما زال يعمل بكل طاقته وطاقات شعبه . ويكونوا جميعا وحدة تقف في

وجه الزحف على الاسلام قرآنا وحديثاً وعقيدة وشريعة وآدابا وسلوكا ولغة واجتماعاً .

وحقد الشيوعية على الاسلام والمسلمين أصل من اصولها الثابتة ، ومنذ انتزاعها الحكم في روسيا وهي تفتك بالمسلمين ، ولم يكفها من كانوا بالاقطار التي استعمرتها ، بـــل أخذت تتآمر على الاسلام واهله أنى كانوا، فلما انتهت من السيطرة الباطشة على المسلمين في الارض المسلمة التي اغتصبتها أخذت تعمل في ضرب الاسلام في أقطاره الأخرى ، فرأينا الشيوعية تفتك بالمسلمين في الصين ويوغوسلافيا والبانيا وغيرها .

ولم تقف في حدود الأقطار التي سيطرت عليها ، بل اتجهت إلى العالم العربي والاسلامي ، وبدأت تتآمر على الاسلام والمسلمين ، وعلى غيرهم في أفريقيا وأمريكا ودول آسيا .

ويستأثر الاسلام بكل حقد الشيوعية ، فهي تريد أن تمحوه من الارض محوا، وصرح زعماء الشيوعية بما عزموا وصمموا ، ثم أخذوا يعملون منذ عشرات السنين .

ومنذ عشرات السنين صرح مولوتوف ــ احد زعماء الشيوعية الكبار ــ في خطبة له عن عزم الشيوعية على القضاء على الاسلام .

وقد أشرت الى كلمة مولوتوف في كتابي «الشيوعية والاسلام» المطبوع سنة ١٣٧٦هـ. (١٩٥٦م.) وقلت :

«عرف الشيوعيون أن مذهبهم لا يمكن أن يسود ما دام الاسلام فحاربوه أعنف حرب عرفها تاريخ الاديان ، وحاولوا أن ينشروا مذهبهم في

الشرق الاسلامي بكل وسيلة ، ولكن الدين صد تيارهم الجارف وذاد عن حمى المسلمين الشر وهزم الماركسية شر هزيمة جعلت مولوتوف يقول في خطبة له :

« لن تنتشر الشيوعية في الشرق الا اذا ابعدنا اهله عن تلك الحجارة التي يعبدونها في الحجاز ، والا اذا قضينا على الاسلام » .

وهذا ما عملت له الشيوعية ووفقت له بوساطة صنائعها والاحزاب الشيوعية والخلايا الماركسية ، فدخلت بلدان العالم الاسلامي والعربي دخول الصديق والمنقذ ، ودفعت صنائعها للفتك بقادة الحركات الاسلامية والمسلمين وضرب الاسلام ومحو كثير من آثاره ، وسيطرت على زعماء تلك البلدان السائرين في طريق الشيوعيين ، المتمسكين بها تمسكا شديدا .

ومؤتمر طاشكند انذار لزعماء المسلمين ورؤسائهم وملوكهم وعلمائهم ومفكريهم وقادتهم في كل ميدان . فالشيوعية استبطأت تحقيق عزمها على ضرب الاسلام فعقدت هذا المؤتمر ليتخذ العدة لتنفيذ ما بقي من مخططها الرهيب .

والمسلمون مع الاسف لم يتخذوا أي وسيلة لمقاومة الشيوعية التي أخذت تستفحل وتستأسد في أقطار العرب والمسلمين التي أصبحت نهبا للشيوعية والصهيونية والصليبية المنتصرات ، فها هي ذي العواصم الاسلامية الكبرى تسقط في أيدي الشيوعية ، وها هو ذا ثالث الحرمين وأولى القبلتين يسقطان في ايدي الصهيونية ، كما سقطت عواصم اسلامية كبيرة في يد الشيوعية التي لا تغفل عن تنفيذ مخططها وهو القضاء على الاسلام .

ومنذ أكثر من عشرين سنة وأنا وغيري نعلن « صفارة الانذار » وسبقني غيري الى اعلانها . ولكن العرب والمسلمين بلغوا من الطيبة الى حد الغفلة فلم يسمعوا النذر ، واذا الشيوعية تسيطر على كثير من بلدانهم وتولي عليها عبيدها ليحكموا ، وينفذوا مخططهم .

ويجب أن نعد العدة لمقاومة الزحف على الاسلام ، وان يجند كل منا نفسه وكل نعمة انعم الله بها عليه لمحاربة الشيوعية وكل مذاهب الهدم واعداء ديننا الحنيف .

وليس هذا دفاعا عن الدين وحسب ، بل هو دفاع عن النفس ، والنصر من نصيب حزب الله دائما ، فلنكن من حزبه ننتصر حتما ، فالله قد وعد عباده بالنصر والتأييد والتمكين .

أما المسلمون الذين يقاتلون اعداءهم بلا عقيدة ويحاربونهم بغير ايمان فإن الله لا يضمن لهم النصر ، لانه لا يضمنه إلا لحزبه .

فإذا أراد المسلمون النصر حقا فليتخذوا له اسبابه ، واعظمها الايمان به حق الايمان ، والجهاد في سبيله حق الجهاد ، وحينئذ يكونون اهلا لنصر الله [١] .

١ — نشرت بملحق جريدة « الندوة » الخاص بمناسبة عيد الفطر ٢٨ رمضان المبارك سنة ١٣٩٠هـ.

الشيوعية وليدة الصهيونية

•

في بعض خطب الملك العظيم فيصل وتصريحاته أن الشيوعية وليدة الصهيونية ، وسألني بعض القراء عن هذه الحقيقة – وحسبوا أنهما على طرفي نقيض ، فالصهيونية رأسمالية غربية ، والشيوعية أشد خصوم الرأسمالية كما يبدو – وذكروا أن جريدة « البلاد » نشرت في عددها الصادر في يوم الخميس ٢٦ صفر ١٣٩١ (٢١ ابريل ١٩٧١م.) هذا الخبر :

« استقبل جلالة الملك في قصر الرئاسة في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم أمس فريق طلبة الكلية الحربية بواشنطن يصحبهم سعادة السفير الامريكي لدى المملكة ، وقد حضر المقابلة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، وقد لقي الجميع من جلالته كل حفاوة وتكريم .

« ويقول مراسل وكالة الانباء السعودية : إن جلالته تحدث إلى فريق الطلبة عند استقباله لهم فقال :

« إن الشيوعية والصهيونية لا تتيحان الفرصة لتحقيق أهدافنا من التقدم

والاستقرار ، والعالم يحتاج إلى البناء لا إلى الهدم والتخريب ، ولكن الصهيونية والشيوعية لم تتركا لنا الفرصة لبناء بلادنا وشعوبنا .

« وعندما نقول : الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين ، ولكن في الحقيقة أن الشيوعية وليدة الصهيونية ، وهدفهما الاساسي هو التخريب والتحطيم .

« ولسوء الحظ يجدون الفرصة في أكثر من بلد في العالم لتخريبه » الخ .

وهؤلاء القراء يعرفون أن الملك فيصلا دقيق في تصريحاته ، وصادق في أقواله ، ويتحرى الحق والصواب والواقع في كلامه ، ويودون أن يقفوا على التفسير الصحيح لما ذهب إليه جلالته .

والحق، أن الملك فيصلا يزن الكلام ولا يقول إلا الصدق والحق تثبتهما الحجة الصحيحة والواقع المشهود ، وكلمته في الشيوعية والصهيونية حق ، فالصهيونية ولدت الشيوعية ، ومن هنا كانت الصهيونية أم الشيوعية ، لأن اليهودية اللئيمة أم هاتين التوأمتين المتوحشتين .

ولا نريد أن ندخل في تفصيل يغني عنه الايجاز ، وفيما نذكر الدليل :

يقول فرانك ل. بريتون في كتابه « الصهيونية والشيوعية » في المقدمة التي يبدؤها بقوله :

« تختلف الصهيونية عن الشيوعية ظاهرا في ثلاثة أمور :

« أولها : التسمية ، ففي « الصهيونية » تخصص ، وفي « الشيوعية » تعميم ليختار المرء بينهما بحسب مزاجه .

« والثاني : مركز النشاط ، فمركز نشاط الصهيونية ما اصطلح على تسميته « بالغرب » وتتزعمه أمريكا (واشنطن) ومركز نشاط الشيوعية « الشرق » وتتزعمه روسيا (موسكو) .

« والثالث : الاسلوب في العمل ، فالصهيونية تتاجر بالمال تدعمه الدعاية عند اللزوم ، والشيوعية تتاجر بالدعاية يدعمها المال لدى الاقتضاء .

« وأما الحقيقة الراهنة فهي أن الصهيونية والشيوعية صنوان منبعهما واحد ، وغايتهما واحدة ، وجوهرهما واحد ، والفئة التي تقوم عليهما من وراء الستار واحدة ، وما اختلافهما الظاهر سوى ترتيب مؤقت اقتضاه النجاح في السعي الى الغاية الواحدة ، حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا معاً للسيطرة على العالم الخ » .

ويؤيد هذا الرأي كتاب وباحثون في الغرب ، ومنهم روبرت وليمز في كتابه « اليهود في امريكا» وموجز رأيه أوجزه في قوله : « الصهيونية شقيقة الشيوعية وأمها» .

فكلمة الملك فيصل حقيقة تاريخية وواقعية لا نحتاج في اثباتها إلى جهد كبير ، وبحسبنا ما ذكرنا ، إلا أن الملك فيصلا معروف بانه من الملوك والزعماء الدارسين المثقفين ، ولم تفته نشأة الصهيونية والشيوعية ، بل هو يعلم نشأتهما ونطفتهما وأسباب وجودهما ، ودليل ما ذهب إليه بعدما ذكرنا ما انتهى إليه فرنك بريتون وروبرت وليمز وما جاء في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة الحادية عشرة) وفي مصادر أخرى .

والعالم يعرف حق المعرفة أن كل نكبة حلت به وتحل منذ محاربة اليهود للمسيح وقبلها وحتى اليوم انما السبب الأول اليهود .

وكلنا يعرف أن الديانات جاءت لسعادة البشر وأمنهم ورخائهم وتحقيق العدالة فيما بينهم . ولكن اليهود نسفوا اليهودية (ديانة موسى) من الصميم واستبدلوا بها ديانة وثنية لئيمة تتفق مع نفوسهم الشريرة الباغية . ثم هم يحاولون على مدى التاريخ أن ينسفوا المسيحية والاسلام بكل وسيلة من الوسائل .

فاليهود يخترعون كل مذاهب الهدم والتخريب سواء أكانت في العقيدة أم في السياسة أم في الآداب والفنون والعلوم والاجتماع ، ويخترعون مذاهب متناقضة في الظاهر والمبدأ ، وهي في حقيقتها تنتهي إلى غاية واحدة ، ألا وهي التخريب .

فالشيوعية تبدو عدو الصهيونية ، وهما — كما ذكر الباحثون — توأمتان ولدتهما اليهودية اللئيمة .

ولعل الأب الذي تنتمي إليه هو اليهودي المتعصب موسى هس *Moses Hess* فقد ألف كتيبا سماه « روما القدس » ونشره سنة ١٨٦٢ وذهب فيه إلى ضرورة قيام دولة يهودية ، وقال : لا يمكن للشعب اليهودي أن يضمن لنفسه البقاء إلا بأن تكون له دولة ، وتنبأ في كتيبه بأن الشعب اليهودي سيحيا حياة مستقلة وحرة دينيا وسياسيا في دولة تقوم بفلسطين .

وأحدث كتيب موسى هس دويا ، ووجدت فكرته أنصارا ، وأيقظ اليهود وأشعل فيهم ضرام الحماسة .

وبعد أربع عشرة سنة نهضت الروائية البريطانية ماري آن أوماريان إيفانز لتأييد موسى هس ، وعرفت ماريان في الوسط الأدبي باسمها المستعار الذي اشتهرت به وهو « جورج اليوت» المولودة سنة ١٨١٩ والهالكة سنة ١٨٨٠ .

وخرجت على الديانة المسيحية وكتبت مقالات في نقدها ، وشذت عن أسرتها المسيحية ، فمات أبواها ، وأختها تزوجت ، وأبت هي أن تتزوج ، وتفرغت للكتابة ، وتشبعت بهيجل وموسى هس أستاذي كارل ماركس ، كما تأثرت بفلسفة ماركس نفسه ، واعتنقت أفكار موسى هس وحملت

عنه فكرة الصهيونية وبشرت بها في حماسة لا مزيد عليها . وألفت روايتها الشهيرة دانيال درونـــدا (*Daniel Deronda*) في سنة ١٨٧٦ في تأييد الصهيونية وإنشاء دولة يهودية في فلسطين .

ويُعدّ موسى هس وجورج اليوت أول من أعلنا الفكرة الصهيونية ، وهما المنشآن والمجليان لها وللتفكير الصهيوني ، وهما قد سبقا هرزل إلى قيام دولة يهودية في فلسطين .

وجورج اليوت كانت قذرة في سلوكها ، فكان الثري اليهودي البريطاني هنري لويس ينفق عليها لتتفرغ للكتابة ، وذلك تلقـــاء أن تكون عشقيته وأن تعيش معه كزوجة ، وكان لويس متزوجا ، وفعلتهما هذه أثارت عليهما سخط الناس ، ولكنهما لم يباليا ، فذلك يهودي ، وتلك ملحدة خارجة على دينها ودين أبويها .

وكارل ماركس إبليس الشيوعية كان من تلامذة موسى هس ، ولم تجذبه اليه يهوديته اللئيمة وحسب ، بل آراؤه الاشتراكية وما سماه ماركس نضالا في الفكر والحياة ، واعترف ماركس بأثر هس واعجابه وافتتانه به إلى حد جد بعيد .

وكان بين موسى هس وكارل ماركس صلة صداقة جمعت بينهما وحدة الأفكار والاتجاه ، وتأثر ماركس بصديقه واستاذه هس ، وعدّه مـــن الرواد ، واعترف بأنه اتخذه قدوة ومثالا .

واذا كانت الصهيونية التي يعد موسى هس منشيء فكرتها وسابق كل من أتوا بعده تدين في مرحلتهـــا العملية إلى تيودور هرزل فإن إمـــام الشيوعية كارل ماركس نفسه قد تتلمذ للصهيوني الأول هس ، وجذبته

إليه آراؤه في الاشتراكية وتأثر به وأفاد منه وجعله أحد أئمته في مذهبه الهدام .

وهرْزل نفسه تأثر بموسى هس ، وكتاب « الدولة اليهودية » لهرْزل الذي دعا فيه بصراحة إلى قيامها بفلسطين مسبوق بكتاب « روما أورشليم » (روما القدس) لموسى هس ، وكتاب (دانيال دروندا) لجورج اليوت ، وتأثر بهما وبخاصة بكتاب موسى هس .

وإذا عدنا إلى الشيوعية وأقطابها وجدناهم يهودا ، وأعظم زعماء الشيوعية القائمين بالثورة يهود شديدو التعصب لليهودية ، بل نجد الفترة التي سبقت ثورة أكتوبر ١٩١٧ ببضع عشرة سنة كانت تحت سيطرة اليهود وجهودهم في هدم روسيا أو احداث البلبلة والهيجان والفتن التي تنتهي إلى الهدم ، تلك الجهود التي أثمرت قيام الشيوعية في روسيا .

فثورة سنة ١٩٠٥ في روسيا كان اليهود يغذونها ويسرفون في إشعال ضرامها ، وكانت المقدمة التي انتهت إلى نجاح ثورة ١٩١٧ ولينين نفسه يؤكد ذلك بعد قيام الحكم الشيوعي في روسيا ويقول : « لولا التجربة النهائية لسنة ١٩٠٥ لكان فوز ثورة أكتوبر محالا » .

وكل مقدمات الثورة الشيوعية في روسيا والأسباب والدوافع التي هيأت لقيامها ونجاحها تعود إلى الصهيونية والصهيونيين .

فعلى سبيل المثال : مجلة « اسكرا » ومعناها : الشعلة أو الشرارة ، صدرت في سويسرا من قبل أغلبية يهودية للعمل على ايجاد حركة منظمة للشيوعية بغية قيام دولة ، وكانت المجلة بداية هذه الحركة في مرحلة التنفيذ ، وصدر أول عدد منها في ميونيخ سنة ١٩٠٠ .

ولما كان القصد من اصدار « اسكرا » تنظيم الحركة الشيوعية والانتقال بها من الفكرة الى العمل والتطبيق بعد جمع الماركسيين فقد تولى مجلس ادارتها سبعة من أقطاب الشيوعيين ، وهم : لينين ، وبليخانوف ، وبوتريسوف ، وتروتسكي ، ومارتوف ، واكسلرود ، وتسازولتش . وهؤلاء الأربعة يهود ، وأما سكرتيرة المجلس فيهودية متعصبة هي كروبساكايا ، وهي زوجة لينين .

ومجلة « رابوشي دبلو » أي « قضية العمال » التي كان يصدرها في جنيف « عصبة الديمقراطيين الاشتراكيين الروس » تحت سيطرة اليهود ، وكان موجـــه سياستهـــا ورئيس تحريرهـــا اليهودي المتعصب « تيودور دان » وكان مؤسسو المجلة يريدون أن يجعلوا منها لسان « حزب العمال الديمقراطي الاشتراكي الروسي » الذي أعلن مؤتمر منسك سنة ١٨٩٨ ولكن الحزب لم يتألف ، والمجلة ماركسية يهودية ، واستطاعت أن تجعل من العمال في روسيا وحدات مجتمعات تأتمر بأمر اليهود الذين خططوا للثورة وتدمير روسيا .

وفي خمس السنوات الأولى من القرن التاسع عشر (١٩٠١ — ١٩٠٦) تأسس في روسيا أخطر منظمة إرهابية سمت نفسها الحزب الاشتراكي الثوري ، وكانت منظمة يهودية يرئسها يهودي خطر يدعى « جروشوني » ويتولى إرهابي خطر من غلاة اليهود هو « آزيف » رئاسة القسم المخصوص بالاغتيال والقتل ، وآزيف ممن أسسوا هذه المنظمة التي قامت بسلسلة من الاغتيالات ذهب ضحيتها بعض ذوي الاسماء البارزة في روسيا ، ومن أكبر الشخصيات الألى اغتيلوا على يد الارهابيين اليهود : وزير المعارف ووزير

الداخلية وحاكم احدى المقاطعات ، ورئيس وزارة وعم القيصر وجنرال كبير .

وفي سنة ١٩٠٥ اشتعلت نار ثورة دبرها اليهود ، واستطاع حزب المنشفيك الذي يرئسه اليهودي مارتوف وحزب العمـــال الاشتراكي الديمقراطي من تأسيس مجلس (سوفيات) بطرسبرج الثوري ، وتولى رئاسته اليهودي جبورفسكي من حزب المنشفيك ثم خلفه على الرئاسة اليهودي جيورجي نوسار المعروف باسم خروستاليف ، وتولى برنستين (تروتسكي) سكرتارية المجلس ، فأسس اتحاد الفلاحين ، وقام بالتنظيم العسكري فيه ، وتروتسكي هذا هو الذي أسس فيما بعد الجيش الأحمر ، ثم خلف نوسار في الحكم فصار رئيس مجلس بطرسبرج ، ولكن المجلس لم يدم ، والثورة لم تنجح ، وسجن تروتسكي ، ولكن هذه الثورة كانت مقدمة ثورة أكتوبر ١٩١٧ .

وإذا كان اليهود قد اغتالوا في سنة ١٩٠٤ رئيس الوزارة الروسية فإن محامياً يهودياً من الارهابيين يسمى مردخاي بوجروف اغتال رئيس وزراء روسيا وأحد كبار المصلحين وهو ستوليبين ، وذلك في شهر سبتمـــبر ١٩١١ .

ومؤتمر لندن الذي عقده في سنة ١٩٠٧ حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي بمدينة لندن ــ وسمي المؤتمر بها ــ حضره (٣١٢) عضوا يمثلون البلشفيك برئاسة لينين ، والمنشفيك ويمثله رئيسه مارتوف ، وحزب الديمقراطيين الاشتراكيين البولونيين برئاسة الشيوعية اليهوديـــة روزا لكسمبرج ، والاتحاد اليهودي برئاسة رفائيل ابراموفتش وليبر وحزب الديمقراطيين الاشتراكيين اللتوانيين برئاسة هرمان .

وكل أولئك المندوبين الذين حضروا المؤتمر من اليهود باستثناء ثلاثة هم : بليخانوف ، وستالين ، ولينين ، ومعروف أن لينين نصف يهودي بسبب زوجته اليهودية ، ويهودي صميم على بعض الأقوال ، فالكاتب اليهودي الامريكي لويس فيشر (Luis Fischer) الذي عـاصر اينين وزامله ذكر أن لينين من أصل يهودي وذلك في كتابه حياة لينين Life Lenin .

وفي صحيفة « فرنسا القديمة » العدد ١٦٠ الصادر في سنة ١٩٢٠ سرد أسماء اليهود الذين قاموا بالثورة في أكتوبر ١٩١٧ وأولهم لينين ، وقالت الصحيفة : « وجميع هؤلاء الذين مر ذكرهم يهود قد اتخذوا لهم أسماء روسية مستعارة » .

وفي صحيفة « فرنسا القديمة » العدد ٢٠٥ :

« وفي الوقت الحاضر تنشر جمعية « الاتحاد الروسي » القائمة في نيويورك كراسة خالية من كل تعليق وحاشية تحتوي على أسماء أعضاء «السوفييت» إلى أن تقول : « ولم تذكر الكراسة لينين كيهودي ، وهو يهودي » .

وقبل مؤتمر لندن ١٩٠٧ عقد مؤتمر بروكسل ثم لندن في سنة ١٩٠٣ وحضره ستون مندوبا يمثلون منظمات مختلفة ، وكانوا جميعا ــ ما عدا أربعة ــ يهودا ومن أشد اليهود غلواً وتطرفا في الماركسية ، والذين لم يكونوا يهودا في أصولهم كانوا تبعا لليهود ، وينفذون مخططاتهم .

ومنذ سنة ١٩٠١ حتى اندلاع الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ كانت الثورة وتمويلها والدعاية لها يقوم بها اليهود .

وثورة أكتوبر ١٩١٧ نفسها فجرها اليهود ، وهم وحدهم الذين أفادوا

منها ، أما الشعب الروسي والمسلمون والاسلام والمسيحية فقد خسروا خسرانا مبينا ، وبخاصة الاسلام والمسلمون .

وثورة فبراير ١٩١٧ كانت انفجارا شديدا أعقبه نزول القيصر عن العرش في ١٥ مارس ١٩١٧ ، وفي ١٤ مارس ١٩١٧ تم تأليف أول حكومة مؤقتة لحماية الثورة برئاسة اليهودي كيرنسكي ، ومن أبرز وزرائه هؤلاء اليهود : مليوكوف ، ولفوف ، وكوتخوكوف .

وعندما أعلنت ثورة أكتوبر ١٩١٧ انتخب اليهودي كامينيف أول رئيس للجمهورية السوفياتية وتولى رئاسة الحكومة لينين ــ وهو كما أشرنا يهودي الأصل ونصف يهودي بسبب زوجته اليهودية ــ وتولى وزارة الخارجية ثم وزارة الحربية تروتسكي اليهودي الذي أسس الجيش الأحمر .

وعندما تم تشكيل هذه الحكومة شكلت أول مجلس شيوعي قوامه ٥٤٧ عضوا منهم ٤٤٧ من اليهود الغلاة المتعصبين المغامرين ، وتأسست اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في بداية الحكم من ٣٨٨ عضواً ، منهم ٣٧١ يهودياً و١٦ روسيا وزنجي واحد .

وفي ٧ نوفمبر ١٩١٧ كان الرئيس الثاني للجمهورية السوفياتية الشيوعية يهوديا من الارهابيين هو سفردلوف ، وهذا هو نفسه الذي رأس اللجنة التي وضعت دستور الاتحاد السوفياتي .

وعندما تولى كيرنسكي رئاسة الحكومة المؤقتة اتخذ قرارا جد خطير وهو السماح للمبعدين والمنفيين ، فعاد تسعون ألفا منهم من سيبريا والولايات المتحدة وفرنسا وبولندا وسويسرا والبرازيل وغيرها ، وكانوا جميعا بلا استثناء من المغامرين والارهابيين ، وأغلبهم من اليهود ، وهؤلاء هم الذين

ثبتوا الشيوعية في روسيا ودمروها ، وتولوا رئاسة المجالس والهيئات والإدارة المصانع والادارات المختلفة .

وكان اليهود هم الذين فجروا الثورات في روسيا وختموها بثورة أكتوبر ١٩١٧ وهم الذين دربوا فرق اليهود المغامرين ومولوا الحركة الشيوعية في روسيا وغيرها ، فالبارون هيرش اليهودي هو الذي كون الفرق العسكرية اليهودية ، وهو الذي مول كل المستعمرات اليهودية في ذلك الزمن بفلسطين ، وهو الذي مول الثوار اليهود في روسيا ، وهو الذي افتتح في امريكا فرعا لشركته ، ووضعه تحت أمر اليهودي المليونير يعقوب شيف الذي وضع مخطط الثورة البلشفية بأن أمدها بالمال والسلاح والثوار الذين دربهم تدريبا عظيما في الأراضي الامريكية على الاغتيال والقتال واثارة المظاهرات والفتن والاضطرابات والبلبلة والشغب ، كما درب آلاف الشباب اليهود وزودهم بجوازات امريكية وأرسلهم إلى روسيا ، ومن هؤلاء من أثاروا العمال والفلاحين ضد الحكومة الروسية .

ومن مولوا الحركة الشيوعية التي انتهت بالثورة في روسيا المليونير اليهودي يعقوب شيف بأمريكا وماكس،وورbوغ الصهيوني الثري القاطن في استوكهلم ، وهو الذي كان يمد تروتسكي بالمال ، ومؤسسة كوهين ولوين الصهيونية بأمريكا ، ومؤسسة أوتو كوهين الصهيونية بألمانيا ، ومؤسسة نقليات العمل اليهودية في وستفاليا بألمانيا وغيرها .

وقادة الثورة الشيوعية وحكام روسيا بعدها هم اليهود الخمسة : لينين ، وزينوفييف ، وكامينيف ، وتروتسكي ، وسفردلوف .

ولم يكن لستالين دور بارز في الثورة ، وبعد وفاة لينين سنة ١٩٢٤ استطاع أن ينتزع النفوذ من يد تروتسكي وصار الحاكم بأمره ، وبدا للناس أنه

انتزع السيطرة من أيدي الصهيونيين ، ولكن أعوانه كانوا صهيونيين أشداء ، حكموا روسيا مع ستالين وباسمه .

وستالين نفسه نصف يهودي ، ويكمل نصفه الآخر ليكون يهودياً تاماً أنّ ابنته سفتلانا كانت متزوجة من الصهيوني ابن الصهيوني ميخائيل بن لازار كاجانوفتش ، وأما ستالين فكان زوجا للصهيونية شقيقة الصهيوني لازار .

وإذا كان عهد لينين عهدا صهيونيا فعهد ستالين مثله ، فالثالوث الذي كان يسيطر على روسيا وكل الاتحاد السوفياتي هو : ستالين ، ومولوتوف ، وكاجانوفتش .

أما ستالين فقد ذكرنا يهوديته ، وأما مولوتوف فمتزوج من يهودية سلبته لبه وجعلته صهيونياً ، وأما لازار كاجانوفتش فهو صهيوني متعصب ؛ وصار عضو المكتب السياسي ، وصهر ستالين من ناحيتين، ونائبه في رئاسة المكتب السياسي .

وهؤلاء هم قمة الاتحاد السوفياتي ، وأما الألى كانوا حكاما تحت أمره ذلك الثالوث وأدوات بطشه فكلهم يهود ، ومن كان غير يهودي فهو تحت سيطرة الثالوث الرهيب .

وإن الصهيوني لازار كاجانوفتش نائب ستالين كان ذا نفوذ في الدولة ويأتي بعد ستالين ، ولا راد لأمره في الاتحاد السوفياتي كله .

وذكر الاستاذ محمد خليفة التونسي في كتابه « الخطر اليهودي » في هامش صفحة ٥٨ نقلا عن كتاب « المؤامرة اليهودية » ما ترجمه بقلمه :

« ... ولا يزال أغلب أعضاء المجلس السوفياتي الشيوعي الذي يحكم روسيا الآن من اليهود الصرحاء ، وهم سبعة عشر هم : ستالين رئيسه ، وكاجانوفتش نائبه ، ثم ل.ب. بيريا ، وك. ا. فورشيلوف ، وت. م. مولوتوف ، وم. شفيرنيك ، وكيرتشينستين . وجوركين ، وإليا إيرهمبورج رئيسة الدعاية ، وديفينسكي ، وجيسبرج ، وميخليس ، وفرمين ، وجودي ، ولوزوفسكي ، وكافتانوف ، وبيتر ليفتسكي ، وهم يهود صرحاء إلا ثلاثة هم : ستالين ، وفورشيلوف ، ومولوتوف ، ولكن زوجاتهم يهوديات ، والثلاثة بين يهودي الأم أو الجدة ، أو صنيعة مجهول النسب من صنائع اليهود ، وهذا سر الصلة بين اليهود وروسيا البلشفية الشيوعية » .

وعلى هذا يكون كل حكام روسيا الذين بيدهم الأمر من الصهيونيين ومن أشدهم عداوة لغير الصهيونيين .

والثورات الشيوعية التي قامت في بولندا وألمانيا دبرها اليهود وهم الذين تولوا قيادتها ورئاسة الحكومة فيها ، وكذلك الأمر في المجر وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا ، ونستطيع أن نضيف اليهم تيتو دكتاتور يوغوسلافيا . فأستاذه يهودي .

ولما كانت الثورة الشيوعية في روسيا أكبر الثورات الشيوعية خطراً وأشدها نفوذا وجبروتا وقوة وسيطرة فقد خصصناها بهذا البحث ، ونحن لا نشك أنها من تدبير اليهود ، وهم الذين فجروها وحكموا روسيا في جميع عهود حكامها الشيوعيين ، في عهد لينين ، وفي عهد ستالين ، وفي عهد خروشوف ، وفي عهد من أتوا بعده ممن يحكمون روسيا عند كتابة هذا البحث .

وما يزال اليهود مسيطرين على روسيا الشيوعية بكل الجمهوريات التي يضمها الاتحاد السوفياتي .

وإذا كانت القيادة الاستراتيجية للقوات المسلحة في الاتحاد السوفياتي في أيدي اليهود فذلك برهان سيطرتهم على كل الاتحاد السوفياتي في هذه الأيام أيضاً .

نشرت صحيفة « لوموند » الفرنسية المشهورة في عددها الصادر في يوم ٢٠ ابريل ١٩٧١ أن مراسلها الدائم في موسكو الصحفي ميشيل تاتو كتب مقالا جاء فيه : « وان القيادة الاستراتيجية للقوات المساحة الروسية في أيدي اليهود [١] » .

والصهيونية التي أوجدت الشيوعية وفجرت ثورتها وأنجحتها كانت هي الرابحة دون الشعوب التي قامت بالثورة أو قامت فيها الثورة . فكسبت من ثورة الشيوعيين في روسيا تأييدها الصهيونية ، ففي بضعة الأيام الأولى من من تسلم الشيوعيين البلاشفة الحكم أعلنت الحكومة أن عداء اليهود جريمة يعاقب عليها القانون ، كما أعلنت الحكومة برئاسة لينين تأييدها المطلق لحق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين .

وفي عهد ستالين نجد دول الكتلة الشيوعية تقف في وجه المندوبين العرب ، وتؤكد حق اليهود في فلسطين وتطلب فوق ذلك أن تعمل الأمم المتحدة لصالح اليهود أنى كانوا ، بل نجد الاتحاد السوفياتي في عهد ستالين يطالب باعتبار « الوكالة اليهودية » دولة يهودية تمثل اليهود ، إذ لا يصح أن يكون العرب ممثلين ولا يكون لليهود من يمثلهم . ولم يكن الاتحاد السوفياتي وحده في

جريدة « الندوة » العدد ٣٩٠٢ بتاريخ ٢٤ شوال ١٣٩١هـ. ١٢ ديسمبر ١٩٧١م.

ذلك بل كانت كل دول الكتلة الشيوعية صفا واحدا مع اليهود ، حتى يوغوسلافيا في جميع أدوارها كانت مع اليهود الا فيما لا يجدى .

ومع أن تيتو محط أنظار الاكبار والتمجيد من بعض زعماء العرب فإنه من أشد أنصار اليهود ، وبجهده وجهود الشيوعية والرأسمالية خسر العرب قضيتهم في الهيئة الدولية وربح اليهود ما لا حق لهم فيه ، بل اغتصبوا بتلك الجهود حق العرب الخاص .

ومن المفارقات الغريبة أن الشيوعيين أيدوا الصهيونية تأييدا مطلقاً وحازما ، وسفهوا العرب وشتموهم في حين أن الولايات المتحدة الامريكية التي ترعى الصهيونية دفعتها لباقتها ودهاؤها أن تتريث وتعارض الشيوعيين ، لأنها واثقة أن ما تريد أن تقوله قد قاله الشيوعيون ، بل قالوا أكثر مما تريد قوله .

والاعتراف بدولة اسرائيل كان الشيوعيون وعلى رأسهم جروميكو مندوب روسيا الشيوعية أسبق من غيرهم ، فإذا كانت الولايات المتحدة التي ترعى الصهيونية أسبق من روسيا والكتلة الشيوعية إلا أن الفارق كبير بين اعتراف امريكا واعتراف روسيا والكتلة الشيوعية .

فأمريكا اعترفت بدولة اسرائيل يوم إعلانها عن نفسها في يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ولكن اعترافها ليس اعترافا رسميا يقتضي تبادل التمثيل الدبلوماسي بل هو اعتراف بالأمر الواقع . أما الاتحاد السوفياتي فقد اعترف بعد امريكا بسويعات . ولكنه اعتراف كامل مع تبادل التمثيل التام .

ونجد في موقف الكتلة الشيوعية من العرب ودرلهم تحديا سافرا واستخفافا واستهتارا بشعا بالعرب وحكوماتهم وممثليهم .

وكذلك الأمر بالنسبة لعهد خروشوف وما بعده ، فإذا أيدت الشيوعية العرب ففي الأمور الأدبية – بعضها – التي لا يغني فيها التأييد ولا يكسب العرب شيئا .

ومحاضر الأمم المتحدة زاخرة بمواقف الشيوعيين ضد العرب ، وبتأييدهم القوي في كل مجال حتى المجال الحربي والعسكري .

ولا غرابة في تأييد الشيوعية للصهيونية فكلتاهما بنت اليهودية اللئيمة ، وإذا بدت الخصومة بينهما فذلك ما تقضي به السياسة والمكر والدهاء وخداع الشعوب والحكومات ، وبخاصة الساذجة منها .

والصهيونية بارة بالشيوعية وتحب أن تتكافأ قوتها مع قوة امريكا ، فلما كانت امريكا الدولة الوحيدة التي تملك أسرار القنبلة الذرية التي قهرت اليابان اثنتان منها وجعلت لها السيادة المطلقة على العالم عسكريا عملت الصهيونية على تزويد روسيا بتلك الأسرار بعد سرقتها بوساطة علماء الذرة اليهود الألى استخدمتهم الصهيونية لسرقة أدق الأسرار وأخطرها واعطائها لروسيا الشيوعية .

ومن هؤلاء العلماء : جوليوس روزنبرغ وزوجته إيثل، والأول يهودي روسي من أبوين يهوديين روسيين ، وأما زوجته فأبوها يهودي روسي ، وأمها يهودية بولندية ، وهي شقيقة العالم اليهودي دايفد غرينكلاس الذي سرق سر « الكبسولة » الخاصة بتفجير القنبلة الذرية وسلمها الروس .

وحكم على روزنبرغ وزوجته بالاعدام فبذلت الصهيونية كل جهودها لانقاذ الخائنين من الموت بالكرسي الكهربائي ، ومن جهودها استخدام الصحافة في كل أقطار العالم بما في ذلك الصحافة العربية ، فقد كانت أكبر

الجرائد العربية سعة وانتشارا تنشر « بطاقة » كتب عليها « استرحام » موجه للرئيس الأمريكي للعفو عنهما ، وما على القارىء إلا أن يقصها ويكتب اسمه عليها ويلقيها في صندوق البريد لتصل إلى البيت الأبيض .

ولكن هذه الجهود الصهيونية لم تثمر فأعدم الخائنان في ٢٠ يوليه سنة ١٩٥٣ .

والصهيونية لا تخلص لغير نفسها ، فاليهودي لا يعترف بالوطن الذي يعيش فيه ، وإنما يعترف بجنسيته اليهودية وحدها ، ولذلك نرى اليهود على اختلاف أوطانهم ولغاتهم لا يعترفون بغير اليهودية ، ولذلك رأينا اليهود الأمريكيين الرأسماليين يساعدون الشيوعية مساعدة ضمنت لها البقاء . إذ زودرها بأسرار القنبلة الذرية .

وكل شبكات التجسس الشيوعية وشبكات تجسس الدول الغربية تدار من قبل اليهود ، وأكثر الجواسيس الناجحين في كلا المعسكرين من اليهود ، وكل شبكات التجسس مفضوحة ومعروفة للوكالة الصهيونية التي هي وحدها مرجع « تقارير » الجواسيس وأسرارهم ، لأنهم صهيونيون .

وإذا رجعنا إلى الوراء فسوف نجد أن أبا الشيوعية كارل ماركس من أصل يهودي ، ولاسال زعيم الحركة الشيوعية في ألمانيا يهوديا ، ولئن كان من جماعة ماركس إلا أنه كان أكثر نجاحا منه في حياته ، وهذا النجاح أوغر صدر ماركس عليه ، حتى أنه كان يصف لاسال بأنه « العبد اليهودي » .

ويجب أن نذكر أن موسى هس اليهودي الصهيوني كان من أساتذة ماركس وزملائه وأصدقائه وممن أثروا فيه بآرائه الاشتراكية .

والصهيونية واحدة في جميع العصور ، ووظيفتها في الوجود لا تتغير ، ألا وهي الهدم والتخريب ، ولكن الذي يتغير هو « الاسلوب » وحده ، فهي تتخذ لكل حالة لبوسها ، ولكل عصر ما يناسبه .

يقول العقاد (الصهيونية العالمية ، من سلسلة اخترنا لك صفحة ٧٥ ـ ٧٦) :

« تختلف أساليب الصهيونية بين عصر وعصر عـلى حسب اختلاف الحوادث والافكار والمناسبات واختلاف وسائل الاقناع والدعاية والتأثير ، ولكنها في جوهرها شيء واحد ، تتلخص في استطلاع الاسرار والخفايا ، وتسخير سلطان المال لاستغلال الحركات الاجتماعية والعلاقات الشخصية بذوي النفوذ ، والاتجاه بها إلى الوجهة التي تحقق لها مصالحها وأغراضها .

« وينبغي قبل البدء ببيان هذه الاساليب أن نعلم أنها بطبيعتها أساليب هدم ومقاومة ، وأساليب غش وتضليل ، ولا مناص لها من ذلك إلا إذا خرجت على طبيعتها وتخلت عن وجودها ، لأنها لا تستطيع البناء والتعمير ، ولا تستطيع الامانة والعمل الصريح .

« إنما تستطيع الصهيونية البناء إذا استطاعت أن تقيم دعواها على عقيدة تنشرها وتدعو الأمم إلى الإيمان بها ، ولكنها إذا فعلت ذلك نقضت دعواها الأولى والأخيرة وهي احتكار الإله لنفسها ، والايمان بأنه إله اسرائيل كما يدعونه في الصلوات ، وليس للأمم الأخرى حظ من رضاه .

« فالصهيونيون الذين يزعمون أن الله لهم وحدهم ، وأنهم شعب الله المختار دون غيرهم لن يقبلوا مشاركة أحد لهم في هذا الاحتكار ، ولـــن

نراهم قط مبشرين بدين يدعون الناس الى الدخول فيه خلافا لأصحاب الأديان أجمعين .

« إنهم كأصحاب الميراث الذين لا يقبلون شريكا فيه ، أو كأصحاب الشركة التي ينفردون بها ولا يوزعون على أحد غيرهم سهما من أرباحها ، فليس في استطاعتهم أن يقيموا سلطانهم على عقيدة عامة تشاركهم فيها الأمم ، وليس في استطاعتهم أن يقنعوا الناس صراحة بقبول هذه الفكرة النابية ، وكل ما في وسعهم أن يهدموا عقائد الناس وأخلاقهم ودعائم أفكارهم وشرائعهم ثم لا يخلفوها بعقيدة أخرى تقف لهم في الطريق .

« كذلك لا تستطيع الصهيونية العالمية أن تسود بغير الخداع والتضليل ، لأنها لا تعمل بسلطان القوة الظاهرة أو بسلطان الملك والسلاح ، وإنما تعمل بسلطان المطامع والمنافع والشهوات من وراء ستار ، فلا بد لها على الحالين من أساليب الهدم وأساليب الخداع .

لهذا تبادر الصهيونية إلى استغلال نفوذها في إثارة الفتن والقلاقل ، وتظفر الفتنة بتأييدها كلما توقعت منها الامعان في الهدم والفوضى ، لأنها لا تنجح في عالم فيه ايمان بالخلق أو بالوطن أو بالدين » .

ويقول : « وقد اشتركت الصهيونية في كل حركة من حركات الهدم والتدمير ، وآخر ما اشتركت فيه — ولا تزال مشتركة فيه — حركة الشيوعية في العصر الحديث . وربما كان الصهيوني من أصحاب الملايين ، ولكنه يحرص على نشر الشيوعية ويموها بالمال والدعاية ، ويواليها بالدسائس في مجتمع السياسة الدولية » .

ويقول كاريو هنت في كتابه « الشيوعية نظريا وعمليا » ص ١٧ من الطبعة العربية ما نصه :

« لم يكن من محض الصدفة أن يكون كثيرون من زعماء الشيوعية من ماركس إلى الآن من اليهود » .

وسيطرة اليهود على حكام الغرب ضمنت للشيوعية النجاح والبقاء والقوة ، وليتأكد القارىء من هذه السيطرة ومن خضوع دول الغرب للصهيونية العالمية وغفلة حكامه عما يراد بشعوبهم ، ومن أن الشيوعية وليدة الصهيونية – كما قال الملك فيصل – نضرب المثل ببريطانيا التي كانت عند نجاح الثورة الشيوعية في روسيا أقوى دولة على وجه الأرض .

عندما نجحت الثورة الشيوعية الصهيونية أدرك بعض الساسة الغربيين خطرها على العالم ، ومن هؤلاء المستر م. أودنديك وزير خارجية هولندا ، وأفزعه نجاح الثورة ، وأدرك ما ينتظر العالم على يديها من دمار وتخريب فكتب تقريراً وافيا شرح فيه وجهة نظره وأرسله إلى وزير خارجية بريطانيا العظمى في ذلك الزمان وكان اليهودي الصهيوني المتعصب « بلفور » جاء فيه :

« إني أعتبر القضاء على الثورة الروسية أكثر أهمية للعالم من كسب الحرب الحالية ، ولذا أقترح ايقاف الحرب حالا وتوجيه اهتمامنا جميعا إلى روسيا والقضاء على ثورتها ، لأنها ان تمكنت من ترسيخ جذورها في البلاد الروسية ستكون وبالا على العالم أجمع ، لا لكونها اشتراكية ، ولا لأنها روسية ، بل لكونها يهودية خالصة ، تُسَيَّر من قبل اليهود ووفق إرادتهم ، ونجاحها لن يكون إلا لصالح اليهود وحدهم ، وإذا قدر لهم السيطرة على الروس فسوف يعملون إلى توسيع نفوذهم وتحقيق برامجهم .

إن هؤلاء اليهود الذين لا وطن لهم يسعون منذ أقدم العصور لتدمير الشعوب الأخرى ليقيموا على أنقاضها مجدهم الذي يحلمون به » .

وخشي الوزير الهولندي أن يجيبه الوزير البريطاني « بلفور » بأن اليهود قلة لا يسعها أن تسيطر على روسيا فكتبت في تقريره إلى بلفور بصراحة ، وضرب المثل باستعمار بريطانيا للقارة الهندية . وهذا نص ما كتبه وزير خارجية هولندا في ذلك التقرير :

« الحذار ! الحذار !

« ولا تجنحوا إلى القول بأن هذه الفئة القليلة العدد من اليهود لن تتمكن من السيطرة على روسيا العظيمة فكيف لها أن تتحكم في العالم بأسره ؟.

« أنتم أدرى من سواكم بكيفية تحكم بضع مئات من الانكليز بالقارة الهندية منذ عدة أجيال رغم أن الهند تحوي أكثر من ثلاثمئة وخمسين مليونا من البشر .

« فلماذا يكون مستحيلا على اليهود ما هو ممكن للانكليز ؟.

« ولذا أرجو ألا تنكروا هذه الحقيقة الناصعة ، وأن تتيقنوا من وجود الخطر اليهودي على العالم .

وأخيرا ، أكرر رجائي بأن تولوا الموضوع الأهمية اللائقة به ، وتعلمونا قراركم » .

ومن الغريب أن يغفل أودنديك عن حقيقة « بلفور » اليهودي المتعصب ليهوديته ، والمستعد لأن يضحي بمصالح بريطانيا التي يلي وزارة خارجيتها في سبيل أي كسب لليهود .

من الغريب أن يغفل اودنديك الذكي ذو الفراسة والنظر الثاقب الذي اخترق حجاب المستقبل فرأى ما سيكون وكأنه واقع مشهود عن بلفور وتعصبه ، وعن أن الوزارة البريطانية في سنة ١٩١٧ ـ ١٩١٨ كانت تضم

صهيونيين متعصبين– وإن لم يكونوا يهودا – مثل ونستون تشرشل الذي كان في وزارة بلدوين وزيرا للذخيرة في سنة ١٩١٧ ثم وزيرا للحرب والطيران في سنة ١٩١٨ وكان من المشجعين لوعد بلفور ، ثم من أشد أنصار الصهيونية ، ومن أبشع أعداء العرب ومحتقريهم ومحتقري الاسلام والمسلمين .

وتقرير أودنديلك يثبت أن الثورة الروسية (الشيوعية) ثورة يهودية يراد منها السيطرة على روسيا ثم التحكم في العالم بأسره .

وكان في روسيا ابان الثورة الشيوعية قنصل بلجيكا العام واسمه « دويه » وألف كتاباً في الثورة الشيوعية سماه « موسكو بلا حجاب » قال فيه :

« إن الذين يحكمون روسيا ليسوا من أبناء روسيا ، بل هم حفنة من اليهود الارهابيين العالميين » .

ويقول فرانك بريتون في كتابه « الصهيونية والشيوعية » صفحة ١٦١ – ١٦٢ من الطبعة العربية :

« العلاقة – هذه – القائمة بين فئتي اليهود (فئة الشيوعيين وفئة الصهيونيين) تشبه تماما العلاقة القائمة بين الحزبين الامريكيين : الديمقراطي والجمهوري ، فالتنافس القائم بين هذين الحزبين لا ينفي أن كل عضو فيهما هو أمريكي الجنسية ، وأن الجنسية الامريكية مشتركة بين الحزبين ، ولا عبرة بهذا الفرق الظاهر بين الشيوعية والصهيونية ، فكون اليهودي شيوعيا أو صهيونيا أو كليهما معا – وكثيرون منهم كذلك – لا ينفي كونه يهوديا ، وليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحدة هي القومية اليهودية التي لا تفتأ تناوىء سائر العالم غير اليهودي » .

ومن الثابت أن الشيوعية وليدة الصهيونية – كما قال الملك فيصل وأيده

بعض الكتاب الواعين – ولهذا كانت روسيا الشيوعية تنفذ ما في« بروتوكولات صهيون » التي هي مخض اليهودية اللئيمة من مخططات لهدم العقائد والأخلاق والأوطان بالاخلاص الذي تنفذه به الصهيونية في كل أقطار العالم ، ولعل هذا ما دعا جريدة « التيمس » اللندنية أن تسمي تلك البروتوكولات « الانجيل البلشفي » في عددها الصادر في شهر مايو سنة ١٩٢٠ اذ نشرت فيه مقالا عن الخطر اليهودي تحت عنوان « رسالة مقلقة . دعوة للتحقيق » وجاء فيه :

«ولا يمكن أن يعجز أحد عن أن يكتشف روسيا السوفياتية في البروتوكولات كما أنه لا أحد يستطيع أن ينكر أن القوميسيرين السوفييت يكادون يكونون جميعا من اليهود » .

وفي أيامنا هذه لم تتخل الشيوعية عن أمها الصهيونية ، فهي تتظاهر للعرب بعداء اسرائيل ، ولكنها تخدم سياسة اسرائيل ، وتلبي طلباتها ، وتحقق لها مراميها ، فروسيا الشيوعية لم تمنع قط هجرة اليهود إلى اسرائيل ، بل هي فاتحة أبواب الهجرة إلى اسرائيل ، ولم تبخل على اسرائيل بأن ترسل اليها اليهود المدربين على استخدام أحدث الأسلحة وأشدها فتكا ، وترسل اليها العلماء والتكنولوجيين .

ولولا يهود روسيا لما استطاعت اسرائيل أن تنتصر على العرب في حرب الايام الستة ، ولولا تأييد روسيا والدول الشيوعية الدائرة في فلكها والمؤتمرة بأمرها لاسرائيل لما كان لها هذا الوجود الدولي الراسخ وهذه القوة التي هيأتها لضرب العرب وتهديدهم على الدوام .

ومع هذا يدعي الروس أنهم أصدقاء العرب ، والواقع أنه لا عدو للعرب

والمسلمين مثل الشيوعيين ، فهم يدعون الصداقة التي لم تنفعنا بشيء ، وتدعي عدواة اليهود التي نفعتهم منذ كانت الشيوعية حتى الآن .

ونخلص مما ذكرنا إلى أن الملك فيصلا على حق عندما قال : إن الشيوعية وليدة الصهيونية ، ولا غرابة أن يفطن جلالته إلى هذه الحقيقة ، فهو من أعظم الحكام والمثقفين الذين درسوا الصهيونية والشيوعية واليهود وتاريخهم المزدحم بالدماء والمخزيات وإثارة الفتن والحروب بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب ، وإفساد المجتمعات ، وهدم الخير والفضيلة ، وتخريب الذمم ، كما درس ديانتهم التي تدعو إلى استعباد الناس وقتلهم ، وتسب رسل الله جميعا بما فيهم رسلهم .

وليست الشيوعية وحدها وليدة الصهيونية . بل نجد كل مذهب هدام وكل فئة هوجاء ، وكل حرب مدمرة ، وكل الرذائل والموبقات منذ عرف اليهود حتى اليوم من مواليدهم وصنائعهم وذخائرهم .

وقد كان الملك فيصل من الفرسان المجلين في ميدان تحذير الأمم والشعوب والحكومات والأفراد والجماعات والمجتمعات من الصهيونية المستمرة على تنفيذ برامجها ومخططاتها التي تريد منها تدمير العالم وهدم كل ما ليس من قيم انسانية ومثل رفيعة ومبادىء قويمة ومسخ كل الديانات .

وليس تحذير الملك فيصل لفريق طلبة الكلية الحربية الامريكية بواشنطن الذين زاروه بصحبة السفير الامريكي لدى المملكة السعودية في شهر صفر ١٣٩١هـ (ابريل ١٩٧١م.) هو مبدأ تحذيره العالم وبخاصة الأمريكيين ، بل سبق له أن حذر العالم من الصهيونية والشيوعية وكل مذاهب الهـــدم والتخريب . وما يزال يحذر حتى هذا اليوم الذي استفحل فيه خطر الصهيونية

في الدول التي ترعاها وتحتضنها وتنصرها كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا .

وفطن الملك فيصل إلى مخططات الصهيونية قبل كثير من ساسة الغرب ومفكريه ، فهو قد أدرك أن الصهيونية لا تقف عن مخططاتها الشريرة الهدامة في السلم والحرب على السواء ، فهي تتخذ أساليبها في أيام الحرب لتكسب من الفريقين دون أن يكسباهما ، وتكسب من خسائرهما كما تكسب من انتصار المنتصر وهزيمة المهزوم .

فإذا كان السلم فإن لديها مخططاتها الهدامة لأوقات السلم ، ولهذا حذر الملك فيصل طلبة كلية الحربية الامريكية بمحضر سفيرهم وقال لهم في صراحة ووضوح :

« قد بدأت الآن الشيوعية والصهيونية في ادخال نظريات هدامة للتأثير في النشء الجديد لينشأ ضعيفا لا يعتمد عليه ، كما أنهم أفشوا التحلل الخلقي والنظريات التخريبية للتأثير في المجتمع وانحلاله » .

وهذا التخريب الذي أشار إليه الملك فيصل شر ضروبه ، لأنه تخريب الأجيال الحاضرة والمستقبلة ، ولكن العالم ممعن في غواية الصهيونية والشيوعية ومذاهب الهدم المتفجرة من اليهودية اللئيمة ، ولا يسمع للمصلحين الناصحين من أمثال الملك فيصل وغيره من المصلحين والدعاة العالميين .

واذا لم تصح الحكومات للخطر اليهودي وتقاومه وتقضي عليه فإن مصير الانسان غير اليهودي غاية في السوء ، وهذا ما ترجوه اليهودية التي تتخذ كل وسائل التخريب بكل ضروبه حتى تستطيع السيطرة على العالم .

مصادر البحث ومراجعه :

* دائرة المعارف البريطانية الطبعة الحادية عشرة مجلد ٩ و ١٧ و ٢٨ و ٣٢ .
* الشيوعية والاسلام ، للعقاد والعطار .
* الخطر اليهودي ، لمحمد خليفة التونسي .
* الصهيونية العالمية ، للعقاد .
* الموسوعة العربية الميسرة .
* المفسدون في الأرض ، لناجي .
* الشيوعية نظريا وعمليا ، لكاريو هنت .
* الشيوعية والصهيونية ، لابراهيم الحلو .
* الصهيونية والشيوعية ، لفرانك ل. بريتون .
* موسكو واسرائيل ، لعمر حليق .

في

برلين الشرقية

شوارع بلا مارة وعمارات ضخمة بلا سكان

•

لست في حاجة إلى المزيد من العلم بحياة المجتمع الشيوعي في كل اقطار الشيوعية ، فأنا أعلم أن الحياة فيها جحيم لا يطاق ، ودعيت لزيارة المجر سنة ١٩٥٦ م فأبيت ، لأنني لا أبيح لنفسي التعامل مع الشيوعيين الذين أحاربهم بكل نعمة وهبها الله لي .

وفي أواخر شعبان من سنة ١٣٨٩ كنت في برلين الغربية ، وذكر لي زيارة برلين الشرقية فوافقت ، وإن كنت في غير حاجة إلى مزيد من العلم بالحياة التي يحياها من القي بهم في جحيم الشيوعية .

قررنا أن نزور برلين الشرقية بعد صلاة الجمعة ٢٧ شعبان ١٣٨٩هـ (٧ نوفمبر ١٩٦٩م) واستعددت للصلاة في جامع برلين الغربية ، وعندما تهيأت للذهاب اليه قيل لي : ان الامام قادياني ، فتركت صلاة الجمعة واستبدلت بها صلاة الظهر في فندق هامبورج الذي كنت أنزل به .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر حضرت السيارة التي تقلني إلى برلين الشرقية ، وكان سائقها أخاً فلسطينياً موظفاً وطالباً بالجامعة ، وله أخت تدرس الطب في إحدى مدن المانيا على حساب منظمة فتح .

وكان هذا الاخ الفلسطيني يعرف برلين الشرقية ، فقد تردد عليها غير مرة مع بعض السائحين ، ولهذا اختاروه لمصاحبتي .

لم يكن غيري وغيره بالسيارة ، ولم يكن بها من المتاع شيء ، وسلكنا الطريق المزدحم بالمارة والسيارات حتى إذا دنونا من السور الجهنمي فتح شرطي غربي الباب الكبير دون أن يسألنا ، ونفذنا منه إلى باب حديدي ضخم محكم الاغلاق ، وخلفه شرطيان حارسان مدججان بالسلاح ، وقلنا لهما : إننا نريد الدخول إلى برلين الشرقية ، وعرضنا عليهما جوازي سفرنا ، ففتحا الباب ، ودخلنا بالسيارة ، ووقفنا في فناء « الجمرك » وتركناها مفتحة الابواب ، حتى « شنطة » السيارة كانت مفتوحة ، وتركنا على المقعد الخلفي معطفينا .

ومضينا إلى المبنى الصغير الذي يضم إدارة تبديل العملة والجمرك والجوازات ، واشترينا عشرين ماركاً المانياً شرقياً بعشرين ماركاً غربياً لي وللأخ الفلسطيني السائق .

وسألنا المفتش إذا كان معنا نقود غربية غير التي صرفناها ، فأجبناه بالنفي ، ثم مشينا خطوتين وأخذنا مكاننا في الصف لنقدم جواز السفر ، وتركني صاحبي وجلست على مقعد أنتظر تمام الاجراءات ، فناداني محقق الجوازات ، وطبق الصورة على الاصل ، فالصورة بالزي العربي السعودي ، وكنت حينئذ أرتدي بذلة افرنجية .

وأخيراً ، ثبت له أن الجواز صحيح ، وأن الصورة لي ، وسمح لنا بالمضي إلى ساحة « تفتيش السيارات » فمضينا ووقفنا بعيدين عن سيارتنا

بحوالي ثلاثين متراً ننتظر وصول المفتش اليهـا ، وكان مشغولاً عنهـا بتفتيش سيارات أخرى ، وكلمـا انتهى من تفتيش سيارة سمح لصاحبها وركابهـا بالشخوص اليها وأخذها .

وكان البرد شديداً كـل الشدة بالغ القسوة ، والريح تجلد الوجوه ، فأردت أن امضي إلى السيارة لأخذ معطفي ، غير أن صاحبي حـذرني بسرعة ، وطلب إلي أن الزم مكاني ، والا تعرضنا للأذى ، فوقفت ، وتركت أمري لله .

ولم يكن المفتش وحده ، وإن كان وحده قائمـاً بالتفتيش ، بل كان على مقربة منـه حارس مسلح يرقبه ، وعلى بعد خطوات كان على الحارس المسلح مراقبان اثنان يحملان مدفعي رشاش ، والقيت ببصري على السور الجهنمي فاذا عاملان يعملان تحت حراسة شديدة يقوم بهـا خمسة جنود مسلحون ، لئلا يحاولا الهرب إلى برلين الغربية .

ووصفت السور بأنه جهنمي وهو حق ، فهـذا السور يفصل بين برلين الشرقية وبرلين الغربية . وقد اجتازه كثير من الالمـان الشرقيين ، ولقي بعضهم حتفه برصاص حرس الشيوعية .

ولا يستطيع الهـارب الوصول إلى السور الا بعد أن يجتـاز مهالك ، فاذا أراد أن يصعد إلى السور ليجتازه إلى الجانب الغربي تحركت أنبوبة على السور تلقي به إلى الجانب الشرقي الشيوعي ، فيقبصون عليه ، ويقتلونه .

وزاد انتفاضي من البرد ، ووصـل المفتش إلى سيارتنا ، فحمدت الله ، وفتشهـا تفتيشاً دقيقاً ، وفتش أسفل السيارة ، ثم أخرج المعطفين

وفتش جيوبهما ، ثم نفضهما بعنف ، ثم أعادهما إلى المقعد الخلفي ، وأذن لنا بالتوجه إلى السيارة ، فأسرعت بارتداء المعطف وقذفت بجسمي كله إلى داخلها ، وظننت أن المفتش انتهى ، ودلفت السيارة في ممرات ملتوية ، ووقفت للتفتيش من جديد ، وأما أنا وصاحبي الفلسطيني فقد حدقت فينا عيون ثلاثة مفتشين تلتهمنا التهاماً ، وتتفرس في وجوهنا بشراسة وثقوب ، وأخيراً ، أذنوا لنا بدخول برلين الشرقية .

ولقد أذهلتني الشوارع الرحيبة ، والعمارات الضخمة ، والحدائق الكبيرة ، وأخذنا نتجول في تلك الشوارع في بطء وكان أمامنا « ترام » ذو طابقين ليس به غير السائق واثنين لقطع التذاكر ، أحدهما في الطابق الأول ، والآخر في الطابق الثاني ، والعربة خالية ليس بها راكب .

وكان وراء الترام حافلة (أتوبيس) خالية من الركاب أيضاً ، فظننتهما ماضيين إلى الحظيرة (الكاراج) ولكنهما كانا يقطعان الشوارع ، ويقفان لحظات في « المحطات » وتبين لي أنهما لا يريدان الحظيرة ، بل هما في ساعات عمل ، ولكن لا يقصدهما الركاب .

وأين الركاب ؟.

الشوارع خالية ، ورأيت في شارع عظيم السعة نفراً من المارة ، يحرص كل منهم أن يبتعد عن الآخر ، ويسيرون بسرعة ، ووجوههم موطن البؤس والشقاء والحزن .

وقضينا في التجوال ثلاث ساعات ، ورأينا في مخفر جنوداً يتمرنون ، وكأنهم دمى ، ولم أر في كل الشوارع الا بضعة أطفال مع أمهاتهم .

ودخلت معرضاً أو محلاً تجارياً للملابس . ولم أجد بها أحداً غير الباعة ،

ولم يكن المحل صغيراً ، بل هو كبير .

وقلت لصاحبي : لنعد إلى برلين الغربية ، فقد ضاقت نفسي ، وملكني الرعب .

فأجابني : والماركات العشرون ؟.

قلت : أقذفها في الشارع .

قال : إذا رآنا مراقب فسيكون عقابنا شديداً ، لأنهم سيعتقدون أننا أهنا الشيوعية بقذف عملتها .

قلت : الشارع خال .

قال : عند الضرورة سينشق الشارع عن الشياطين .

قلت : اقذفها في احدى سلال النفايات .

قال : لا أستطيع .

قلت : أمض بنا إلى أغلى مقهى .

ومضينا إلى مقهى أكبر فندق في برلين الشرقية ، ورأيته مزدحماً بالنسبة لما رأينا .

المقهى مساحة كبيرة ، وبه أكثر من مئة منضدة ، ولكن المناضد المشغولة إحدى عشرة بالمنضدة التي نشغلها ، وطلبت لنفسي فنجان قهوة ، وطلب صاحبي قهوة وشطيرة (ساندوتش) .

وكان الصمت يخيم على المقهى الكبير ، وإذا تحدث متحدث فكلامه ركز ، وهو الهمس الخفي ، وكان صوتي هو وحده المسموع دون غيره ، وكانت العيون متجهة إلي ، لأنني كنت أتكلم بذلك الصوت الغريب .

وأما الوجوه فكالحة ، الا بضعة وجوه نضرة ، أدركت من نضرتها أنها وجوه سائحين وسائحات ، وكان ما أدركت صحيحاً .

ودفعنا الحساب ، وبقيت معي بضعة ماركات شرقية ، وغادرنا المقهى ، وملكتنا الحيرة فيما بقي معنا ، فقلت لصاحبي امض بنا إلى « صيدلية » نشتري بما معنا أي شيء منها : اسبرو ، أو قطناً .

ودخلت أكبر صيدلية ببرلين الشرقية ، ولم أر بها غير ثلاثة مشترين ، وطلبت اسبرو ، فقال لنا الصيدلي : إننا لا نستطيع أن نبيعك شيئاً إلا بورقة من طبيب .

قلت له : بعني قطناً وزجاجة كولونيا ، أو « فرشاة » أسنان مع المعجون .

فاعتذر ، وغادرنا الصيدلية ونحن في حيرة من بضعة الماركات الفائضة ، وأخيراً ، قلت لصاحبي : عد بنا إلى برلين الغربية ، فأنا مسؤول عن الماركات الباقية ، ولا تخف ، فقد خبأتها في جيب بنطلوني المستور بالحزام .

وقمنا بآخر جولة في شوارع برلين وأحيائها ، فاذا الشوارع الواسعة بلا مارة ، وإذا أضخم العمارات بلا سكان ، والصمت الموحش الرهيب يغطي برلين الشرقية ، وأخذنا طريق العودة واجتزنا مناطق التفتيش الدقيق المخيف بسلام ، وحمانا الله سبحانه وتعالى .

ونسيت أن أذكر أننا أردنا أن نشتري بالماركات فاكهة فلم نجد ، وحلوى فلم نجد ، وقلم حبر جاف فلم نجد .

وعندما أردنا أن نترك برلين الشرقية أشارت لنا فتاتان سبق لنا أن رأيناهما عند دخولنا في الصف معنا ، وطلبتا الينا أن نصحبهما معنا

بسيارتنا ، فصحبناهما ، وعندما وصلنا باب برلين الغربيـة صافحت أسماعنـا أصوات الآدميين وصخبهم وضجيـج السيارات والحافلات ، وذكرتا لنـا مشاعرهما فاذا هي مشاعرنا .

والفتاتان استراليتان ... وذكرتا أنهمـا ما كانتا تتصوران الشيوعية إلى هذا الحد الذي لا شيء بعده من الكبت والحرمان والقسوة والارهاب .

ولا وجه للمقارنة بين برلين الشرقية الشيوعية وبرلين الغربية ، ففي الأولى – كمـا قلت – شوارع بلا مارة ، وعمارات بلا سكان ، وفي الغربية تشكو شوارعهـا الكبيرة من الزحام ، ولا تكاد تخلو بعماراتهـا غرفة حتى يتسابق الراغبون اليهـا ، والفنادق غاصة ، ولا تجد بهـا غرفة تأويك إذا لم تحجزها قبل أيام .

وقضت الشيوعية على العلاقات الانسانية والعواطف النبيلة بين الأولاد ووالديهم ، فالأم لا تستطيع أن تلقن وليدهـا التلميذ كلمة تغاير مـا تلقنه إياه الشيوعية في المدرسة خشية أن تؤدي بها إلى الجحيم الشيوعي .

ومع هذا يدعي الشيوعيون أنهم يعيشون في الفردوس ، ويجدون من يصدقونهم ، ويدعون للشيوعية ، وينشرون مبادئها الهدامة .

ولو كنت مسؤولاً لمـا عاقبت الشيوعيين الا بارسالهم إلى روسيا ، لينعموا في فردوسها الذي يتخيلونه .

أليسوا شيوعيين ؟ بلى .

أليست روسيا أم الشيوعية ؟ بلى .

إذن ، ليذهبوا إلى حضن أمهم ، وعندئذ يعرفون حقيقة هذا الحضن ، وبمجرد هذه المعرفة يتمنون الخلاص منه ولو بالموت .

إذا كانت الشيوعية فردوساً كما يزعمون ، فلماذا لا يفتحون أبوابه للناس ؟ ولماذا يمنعون الشيوعيين من مغادرة أقطارهم ؟ .

ومن النوادر التي تروى عن الفردوس الشيوعي في روسيا أن ستالين أمر زبانيته المنبثين في كل مكان منها أن يحسنوا معاملة أفراد الشعب .

وكانت عربة القطار مزدحمة بالركاب ، فعطس أحدهم ، وهنا برز أحد الزبانية الجواسيس عيون ستالين المأمورين باحسان معاملة الشعب صائحاً : من الذي عطس ؟.

فلم ينبس أحد من الركاب بكلمة ، فكرر السؤال ، وأخذ رفاق العاطس يخزونه بأصابعهم حتى يعلن عن نفسه لينجو الأبرياء الذين لم يعطسوا مما يراد بهم ، وهنا قال العاطس في رعب شديد : أنا ، فأسرع إليه الستاليني وقال له : يرحمك الله .

وتروى نكتة أخرى : ان اذاعة موسكو أعدت برنامج « على الناصية » واشترط المذيع على الضيف أن يوجه اذاعة حية إلى العالم كله . بشرط ألا تزيد على كلمة واحدة فأطلق الضيف صرخة مدوية بهذه الكلمة : « النجدة ».

نشرت بجريدة « البلاد » سنة ١٣٨٩هـ. (١٩٦٩م.)

عباس محمود العقاد

الشيوعية والإسلام

●

هـــذا بحث جليل كتبه صديقنا العقاد وجعله أحد فصول كتابه العظيم : « الشيوعية والإنسان » وأذن لنا أن يوضع اسمه على الكتاب ، فتركناه في موضعه تكريماً لذكراه ، واحتراماً لإذنه ورغبته ، رحمه الله رحمة واسعة .

عطـــار

اطلع ماركس وإنجلز على بعض مراجع الانثروبولوجي – علم الإنسان – التي تكلم أصحابها عن عبادات القبائل الأولى ، لأنهما يستدلان بأحوال المجتمع في تلك القبائل على سبق النظام الشيوعي البدائي – لنظام الملك الخاص والطبقة المستأثرة بوسائل الإنتاج ، ولكن لا يظهر من كلامهما على على الأديان الكبري أنهما توسعا في الاطلاع عليها ، ولا يظهر من كلامهما العاجل عن الإسلام والمسلمين أنهما اطلعا على قواعد الإسلام كما يفهمها من يتصفح القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، فضلاً عن أقوال الأئمة والحكماء الإسلاميين .

إننا مطالبون بافراد القول عن الإسلام في مذهب الشيوعيين ، لأننا أحق من الكتاب الغرباء عنه بجلاء الشبهات التي يوردها عليه من يجهلونه أو يسيؤون النية في تصوره وتصويره ، ونزيد على ذلك أن دراسة الشيوعية في آرائها عن الدين خاصة تستوجب دراسة الدين الإسلامي قبل غيره من الأديان العالمية الكبرى ، لأنه يتضمن وحده معظم الشواهد التي تدحض آراء الشيوعيين في نشأة الدين ، ولأن الإسلام نظام اجتماعي إلى جانب عقائده وشعائره الدينية ، ونظرة الشيوعيين إليه في دور تطبيق المذهب الشيوعي على الخصوص كنظرتهم إلى مزاحم خطير يخشون منه أن ينازعهم السلطان على عقول الأمم وضمائرها في مسائل الأخلاق والمعاملات ، مع ما يوحيه إلى العقول والضمائر من إيمان وثيق لا طاقة به لفلسفة الحياة كما يبسطها الماديون .

* * *

فعلى صفحات وجه هذا الدين الحنيف – ولا إيغال في أعماقه بعد حجة ناهضة لا تنهض معها حجة للذين يزعمون أن الدين خدر للشعوب يروضها على الفقر والمسكنة ويباهيها بالآخرة عن نعيم الدنيا ليستأثر به سادة المجتمع ويغتصبوا منه علانية أو يسرقوا منه خلسة ما طاب لهم أن يغتصبوه أو يسرقوه .

فالإسلام يأبى للمسلم أن ينسى نصيبه من الدنيا ويأمره أن يأخذ من طيباتها ، ويعيد عليه هذا الأمر في آيات متعددة من القرآن الكريم .

« وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

« لا تحرموا طيبات ما أحل الله » .

« يا أيها الذين آمنوا كلوا مما في الأرض حلالاً طيبا » .

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض » .

وليس من الإسلام أن يتجرد المسلم من زينة الدنيا ليقبل على الآخرة ، بل هو مأمور بأن يأخذ نصيبه من الزينة وهو بين يدي الله ، وأن يعد زينة القوة من نعمه التي يشكره عليها .

« يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

« والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » .

ولم يخطر لعدو من أعداء الإسلام أن يتهمه بتحسين الجبن والاستكانة لأتباعه ، بل خطر لهم أن يصفوه بنقيض ذلك . ويبالغوا فيما وصفوه فيقولوا عنه إنه دين السيف أو دين القتال .

ولا مبالغة في وصف الإسلام بهذه الصفة إلا أن يكون معناها عند قائلها أن الإسلام يعرف السيف ولا يعرف غيره ، أو أنه يضع السيف في غير موضعه ، ويبطل الحجة والبرهان جهلاً بها حيث لا موضع للغلبة والإكراه .

وليس السيف من شريعة الإسلام بهذا المعنى ، فقد كان الإسلام مبتلى بسيوف أعدائه قبل أن يكون له سيف يذود به عن نفسه ، ولم يأمر الاسلام قط بتجريد السيف عدواناً على أحد ، ولم يجرده قط في سبيل الدعوة إلا ليحارب به قوة تقاوم الدعوة بالسيف ، فحارب الدولة البيزنطية والدولة الفارسية لأن الخلاف بينهما لم يكن خلافاً على الحجة والإقناع ، وفعل ذلك بعد إبراء الذمة من دعوة العواهل المتحكمين في بيزنطة وفارس إلى الكلمة السواء ، فلما أعرضوا عنه وتوعدوه وحالوا بينه وبين أسماع الناس جرد عليهم السيف إذ لا محيص له من تجريده ، وكان الاحتكام إلى السيف هنا كأشرف ما يكون الاحتكام إليه في قضية من قضايا الدنيا أو الدين .

وأصدق ما يقال عن الإسلام في أمر السيف أنه يأمر بالسيف لأنه ينهى عن الجبن وينهى عن العدوان ، ولم يأمر به ليوضع في غير موضعه أينما كان .

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » .

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » .

ومقاتلة البغي واجبة على المسلم كلما أوجبتها الضرورة في صد

العدوان من الأجانب عنه أو في صد العدوان بين طائفة وطائفة مثلها من المسلمين : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » .

والمسلم فيما دون الحرج الذي يوجب القتال لا يعفى من إصلاح السيئات التي يؤمر باجتنابها ، إذ هو مطالب بتقويمها إذا استطاع بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان . ومن الواجبات الاجتماعية المفروضة على الجماعة في الاسلام أن يكون منها آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر ، يتولون عنها هذه الفريضة التي لا تنساها جماعة إنسانية إلا بادر إليها الفناء . « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، وما هلكت الدول كما جاء في الكتاب الكريم إلا لأنهم : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » . وقد حق الهلاك على المستضعفين لأنهم يعتذرون بالضعف وهم قادرون على النجاة بأنفسهم من الخضوع للسادة المتحكمين فيهم : « قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » .

ومهما يتعنت صاحب الهوى في توجيه الكلمات ومعانيها فما هو بقادر على أن يتخذ من أوامر الاسلام حجة ، لتسخير المجتمع في خدمة أصحاب الأموال أو القابضين على وسائل الإنتاج كما يقول المفسرون الماديون للأديان . فقد كان السادة في الجزيرة العربية يربحون من الربا المضاعف ومن احتكار التجارة فجاء الاسلام بتحريم هذا وذاك أشد التحريم « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من احتكر طعاماً أربعين يوماً يريد به الغلاء لقد بريء من الله وبريء الله منه » .

ويمنع الاسلام الاحتيال بالمتاجرة بالأعيان ستراً للربا الذي يحرمه ، وفي ذلك يقول عليه السلام : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل يداً بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى » .

ومن الاحتكار الممنوع أن يجتمع المال في أيدي طبقة من الأمة « كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

ومن المحتكرين من يكنزون الذهب والفضة والقناطير المقنطرة « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

فاذا قيل عن هذه الأوامر والنواهي أنها خدمة لأصحاب الأموال وتيسير لاستغلالهم أرزاق الفقراء فليس للكلام من معنى يقبله العقل أو يأباه .

ولم يكن في سنة الإسلام أن يبيح لمنكر أن يقول كما قيل كثيراً إن الشرائع إنما توضع للفقراء ولا تسري على الأغنياء . فقد كانت التفرقة بين الناس في الحدود أشد ما حظره النبي وحظر منه قومه ، وكان ممن وجب عليهم الحد في حياته عليه السلام سيدة من أسرة مخزومية فشفع لها عنده أسامة بن زيد فزجره وقام في الناس خطيباً فقال : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا

سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

* * *

ولنا – بعد – أن نمتد بأطراف البيئة الإجتماعية التي نشأ فيها الإسلام إلى أقصى تخوم الجزيرة العربية، فلا نرى في هذه البيئة الكبرى حجة لمن يقول إن الدين ينشأ في البيئة لخدمة سادتها واستبقاء سيادتهم عليها .

فقد كان سادة العرب على خصلة لم يشتهروا بخصلة أشهر منها ، وهي الكبرياء بالنسب والعصبية العربية .

كانوا فيما بينهم يفاخر بعضهم بعضا بعراقة الأصول والأجداد ، وكانوا في جملتهم يفاخرون الأمم بالنسبة العربية ويسمونها الأعاجم كأنها كانت عندهم خلقاً من الحيوان الأعجم ، وكان أميرهم يترفع عن مصاهرة الأكاسرة وهو تابع لهم في دولتهم ، لأن عزة الملك لا ترفعه إلى مقام الكفاءة العربية ، فلو صدق القائلون بأن الدين من إملاء السادة في بيئتهم ، لما خرج من هذه البيئة دين إنساني يخاطب الناس كافة ويستنكر المفاخرة بالأنساب والعصبيات ويسوي بين العرب والعجم ، وبين القرشي والحبشي بل يفضل الأعجمي على العربي والحبشي ، على القرشي إذا فضله بالصلاح والتقوى .

وقد كان الاسلام صريحاً في هذا الأدب الإنساني منذ نشأته الأولى ، ولم تأت فيه وصايا المساواة عرضاً في سياق وصاياه النافلة التي تستحب ولا تكره مخالفتها ، ولكنها جاءت في الكتاب الكريم والأحاديث

النبوية مؤكدة مقررة على صيغة لا هواد فيهـا ، وكانت سنة النبي عليه السلام في توكيدها وتقريرها من السنن التي لا تخفى على أحد من أصحابه فيمـا عم أو خص من قدوة حياته الشريفة ، صلوات الله عليه .

فمن القرآن الكريم نعلم أن النبي صلوات الله عليه مرسـل للنـاس كافة « ومـا أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » ، وأن الناس أمـة واحدة : « يأيهـا الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وإن الحيـاة الباقيـة لا أنساب فيهـا ولا فضل فيها لغير العمل الصالح والكفة الراجحة : « فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئـذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » .

والنبي صلوات الله عليه يقول : « لا فضـل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى » . ويتمم بلاغ الرسالة فيقول في خطبة الوداع « أيهـا الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد : كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرمكم عنـد الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضـل إلا بالتقوى » .

وكان ابو ذر الغفاري من أقرب الصحابة إليه عليه السلام ، ولكنـه سمعه مرة يقول لرجل أسود : يا ابن السوداء . فبلغ بـه الغضب غايته وعبر عليـه السلام عن ذلك بامتلاء الكيـل ، فقال : طف الصاع ! وأعادهـا مرة أخرى ، ثم قال : « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى وبعمل صالح .. » .

هذا الأدب الإلهي الذي لا تفاضل فيه بين النـاس بغير الأعمـال قد نشأ في وكر الأنساب والعصبيات ، فليس في نشأته هذه مـا يفسر نشوء الأديان لخدمة السادة في المجتمع واستبقاء سيادتهم عليه .

وإذا خابت الفلسفة المادية في تفسير نشأة الإسلام بامـلاء البيئة أو باملاء السادة عليهـا فانهـا لأخيب من ذلك في تفسير هذه النشأة بامـلاء الديانات التي سبقت الإسلام واتصـل أتباعهـا بالجزيرة العربية . فان اليهود كانوا يدينون بأن إسرائيل شعب « يهوا » وأن يهوا إلـه إسرائيـل ، وإن أبناء إبراهيم من سلالة إسحاق هم دون غيرهم المفضلون بموعد الرضوان ، ولمـا ظهرت المسيحية بين أبنـاء إسرائيل توجهت بالدعوة اليهم أول الأمر لأنهـا تحمل البرهان إليهم في مواعيد الأنبياء التي يدينون بهـا ، واتفق في أوائل الدعوة كمـا جاء في إنجيل متى وإنجيـل مرقس – « أن امرأة كان بابنتهـا روح نجس سمعت بالسيد المسيح فأتت وخرت عند قدميه ، وكانت أممية وفي جنسهـا فينيقية سورية ، فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتهـا فقال لهـا : دعي البنين أولاً يشبعون . ليس حسنـاً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فأجابت وقالت : نعم يـا سيد ! والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل من فتات البنين ، فقال لهـا : لأجل هذه الكلمة اذهبي . قد خرج الشيطان من ابنتك .. » .

وأصرت إسرائيـل على الإعراض عن الدعوة المسيحية فاتجه بها السيد المسيح إلى الأمم وضرب المثل لهم بالمدعوين إلى وليمـة يرفضونها فيشهدها من حضرها بغير دعوة : « إذ أرسل الداعي عبيده في طلب ضيوفه فقال هذا : إني اشتريت حقلا وعلي أن أخرج فأنتظره ، وقال ذاك : إني اشتريت

أزواجـــاً من البقر وسأمضي لأجربهـــا . . فغضب السيد وقـــال لعبده : اذهب عجلا إلى طرقـــات المدينة وأزقتهـــا وهات إلي من تراه مـــن المساكين . . فعـــاد العبد وقال لسيـــده : قـــد فعلت كمـــا أمرت ولا يزال في الرحبـــة مكان . قال السيد : فادع غيرهم من أعطاف الطريق وزوايـــاه حتى يمتلىء بيتي فلن يذوق عشائي أولئك الذين دعوت فلـــم يستجيبوا الدعـــاء » .

ثم انتشرت الدعوة في غير بني إسرائيل ، وكان من استجاب لهـــا أولى بهـــا ممن أعرض عنهـــا . لأنهم أصبحوا « أبناء إبراهيم بالروح » .

ثم جاء الإسلام من جوف الجزيرة العربية ليعـــم بالدعوة أبنـــاء آدم كافة ، ومنهم أبنـــاء إبراهيم بالجسد وأبناؤه بالروح ، فلم يكن في نشأته مـــا يفسره إملاء السوابق الدينية أو يفسره إمـــلاء البيئة العربية ، وجاء مع دعوته الإنسانية بآدابه الاجتماعيـــة أو الفردية التي يكابر المتعنت في تعنتـــه مـــا استطاع المكابرة ولا يستطيع أن يفسرهـــا بممالأة الأغنياء والمحتكرين ، أو بأنها خدر للنفس يروضها على الذل والاستكانة أو يلهيها عن الدنيـــا بخيال الآخرة ، فان الفجوة الواسعـــة بين حقائـــق الإسلام وهذه التفسيرات المـــادية تلوح للناظر من اللمحة الأولى ولا تجشمه أن يتعمق إلى قرارهـــا .

وكأنمـــا قُضي على الفلسفة المادية أن تبتلي بكل حجة من قبـــل الإسلام على أوفاهـــا . فلا توسط بين حقيقة الإسلام وبين فروض الفلسفة المادية : دعوة عالمية من طرف ، تقابلها من الطرف الآخر تبعة فردية يستقل بها الإنسان في طويته كأنه وحده عالم قائم بنفسه :

« كل نفس بما كسبت رهينة » .

« ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

« قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » .

إن هذه التبعة تكليف لا يدين به ضمير يتعاطى من الدين خدراً يذهله عما حوله وينسيه ما هو حق له وما هو واجب عليه ، وحسب الإسلام عند الشيوعية أنه يفندها هذا التفنيد الصادع في جميع مقوماته ليستحق منها عداوة شديدة تخصه بها بين الأديان العالمية التي يتبعها ملايين الخلق في الزمن الحاضر . إلا أنها — على هذا — كانت تعمه وسائر الأديان بعداوتها ولا تميزه بعداوة خاصة وهي في دور الدعوة وترويج النظريات . وظلت كذلك حتى دخلت في دور التطبيق وحلت محل القيصرية الروسية في علاقتها بالعالم الاسيوي داخل بلادها وعلى تخومها ، فاستجدّ لها من أسباب العداء له سبب أقوى لديها من كل سبب ، لأنها وجدت فيه نظاماً اجتماعياً يتعرض لكل مشكلة من مشكلاتها ، ولم تجد مثل هذا النظام لملة من الملل التي تعاملها وتجتهد في نشر الدعاية بين أبنائها .

فالنظام الاجتماعي — أو السياسي — الذي أخذت به اليهودية قبل عشرين قرناً لا يسري اليوم على بقعة من الأرض ولا يخشى منه على الدعاية الشيوعية في المستقبل . والمسيحية قد نشأت بين مزدحم الشرائع والنظم السياسية من جانب الهيكل وجانب الدولة ، فتركت معترك السياسة وقصرت دعوتها على الأخلاق والعبادات .

أما الإسلام فقد نشأ في بيئة يتركهـا للفوضى والاختلال إن لم يأخذها بنظام واف من نظم الحكم والتشريع ، وقـد أخذها بهذا النظام وأودعه من دواعي التوفيق مـا يلائم الزمن بعد الزمن والبيئة بعد البيئة ، ولا يضيق فيه باب الاجتهـاد كلما وجب الرجوع إليه في حال غير الأحوال التي نشأت فيهـا الدعوة الإسلامية ، وجـاء القرن العشرون ولم تفارقه مرونته التي تصلح للحياة العصرية ولا تستعصي مع الزمن على التجديد ، ولا يخفى أن العهد بالأديان العالمية التي يتبعهـا الملايين أنهـا تملك هذه الحيوية لتعيش بهـا في الأجيال المتعاقبة ، أو تفقدها فتنحـل وتزول ويخلو مكانها لدعوة من الدعوات كيفمـا كانت ، أو تتخبط في مكانهـا بين الإنكار والشك والبوار ، فكانت للاسلام هذه الحيوية التي أعيت خصومه في حرب الاستعمار وحرب الإلحاد والإنكار .

ومن أجل هذه الحيويـة جردوا له كل ما تجرده الدولة ذات المذهب على خصوم مذهبهـا ، وشنوا عليه حملة شعواء من أشنع حملات القمع والاضطهاد ، وحملة أخرى في مثل شناعتهـا من حملات التشويه والتشريد مع تكميم الأفواه عن المناقشة أو الدفاع .

ونحن لا نستقصي في هذا الكتاب أخبار القمع والاضطهـاد التي ترامت إلينـا من أرجاء العالم الاسلامي في القارة الآسيوية ، لأن استقصاء هذه الأخبار موكول إلى مقصد آخر غير مقصدنا من بحوث هذا الكتاب ، وهو مناقشة المبادىء والآراء ، والإبانة عن مواطن الضعف والخلل في أساسها الذي تقوم عليه ، وقد يغنينا عن استقصاء تلك الأخبار في عرض الطريق أن نشير إلى « مصادرة » الفريضة التي تظهر مصادرتها على البعد ولا يجدي فيها التكذيب والتمويه ، تلك هي فريضة الحج في كل عام . فإن حجاج الأمم

الإسلامية كانوا يلتقون في مكة بالألوف من أبناء الأقطار الأوربية والآسيوية الذين كانوا يخفون إلى الأماكن المقدسة كل عام قبل قيام الدول الشيوعية . فلما قامت هذه الدولة امتنع وفودهم سنوات ، ثم وصل منهم من استطاع الوصول بعد ذلك فلم يجاوز عددهم ثلاثين أو أربعين حاجاً في كل مرة ، كان يبدو عليهم أنهم يحسون فيما بينهم رقابة شديدة عليهم . وأنهم ربما كانوا مندوبين لغرض يحملون عليه غير أداء الفريضة .

وتلاحقت — في خلال حملة القمع والاضطهاد — تلك الحملة الأخرى من حملات التشهير والتشويه ، ونمت عليها أقوال الصحف والنشرات وبعض الكتب الموسوعة التي تقضي عليها مادتها باستيعاب موضوعاتها . ومنها موسوعة الثقافة الشيوعية . فإنها وصمت الإسلام بوصمة الرجعية ومعاونة الاستغلال . واعتبرته من عقبات التقدم وموانع الحضارة العصرية ، وأفردته بالعداوة التي تستحقها كل عقيدة تصلح لمنازعة المذهب المادي على ضمير الإنسان .

* * *

وما كانت الخصومة الشيوعية لتتورع عن الدعاية الرخيصة كلما أعوزتها اسانيد الدعاية المقنعة . لأن الاقتناع سابق للدعاية في خطط الشيوعية ، وأرخص ما تكون دعايتهم إذا آنسوا العجز عن إقناع خصومهم ، ومن هذا القبيل كانت حملة التشهير والتشويه التي اصطنعوها في دعايتهم على الإسلام فليس لها من معنى يخرج به القارىء من جملتها وتفصيلها غير معنى واحد . وهو أن الاسلام لم يتنزل في القرن العشرين .

فما كان دين من الأديان ليهاجم بدعاية أرخص من هذه الدعاية المفروغ

منها . لأن الأديان لا توجد لتلغى وتعاد كل صباح ومساء فاما أن توجد لتدين أمة في أجيالها المتعاقبة أو لا توجد على الإطلاق ولا يتصور لها وجود ، وإذا كان طول الأجل مأخذا على الدين فالإسلام لا يؤخذ بهذا المأخذ الهزيل ، لأنه آخر الأديان الكتابية في تاريخ الظهور .

إنما تؤخذ على الإسلام آدابه وفرائضه التي جاء بها يوم ظهوره ، وإنما تؤخذ عليه هذه الآداب والفرائض إذا جاءت رجعية في حينها لا تصلح شيئاً مما تصدت لإصلاحه ولا تفتح في الغد طريقا للمصلحين .

ولم يكن الإسلام كذلك من وجهته العامة ، ولا كان كذلك من وجهة المآخذ التي أحصاها عليه الشيوعيون ، وأهمها الرق وتعدد الزوجات وحدود العقاب وشروط المعاملات الاقتصادية ، وسنرى أن الإسلام لم يأت بحكم من الأحكام في مسألة من هذه المسائل ، إلا كان فيه إصلاح للحالة التي كان عليها في عصر الدعوة ، وحض على الإصلاح في العصور المباشرة التي تليه .

فالإسلام لم يشرع الرق الذي كان مشروعاً قبله في جميع الأديان الكتابية وكان الفيلسوف « أرسطو » يسوغه بآرائه الاجتماعية والسياسية ، ويقسم الجنس البشري إلى فريقين : فريق يعمل بعقله ومشيئته ، وفريق يؤدي للفريق الأول أعماله كما تؤديها الآلات .

لم يشرع الإسلام الرق بل شرع العتق وحض عليه وجعله من وسائل القربى والتكفير عن السيئات .

وما أباحه الإسلام من الرق لا يزال مباحاً إلى اليوم بين أمم الحضارة في حروبها ، فإن الأسرى يعتقلون ويسخرون في العمل ولا تفك قيودهم إلا بالمبادلة أو سداد الغرامة والتعويض . وهذا هو الرق الذي أباحه الإسلام

وأوجب معه المن بالعفو أو الفكاك أو المكاتبة : (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) ولا يبيح الإسلام استرقاق الأسير في كل قتال ، بل يشترط في القتال أن يعلنه الإمام مع عدو لا ذمام معه ولا معاهدة ، ويأمر بمعاملة الأسرى معاملة لا يحلم بها أسير في حرب من حروب الحضارةالحديثة.

وينهي أن يذكره صاحبه فيسميه «عبدي» مؤثراً على هذه التسمية الزرية أن يدعوه «بفتاي» كما يدعو ابنه في كثير من الأحيان . وإذا كان الإسلام لا يسوي بين الأحرار والعبيد في جميع الحقوق ، فالأسرى في العصور الحديثة لا حقوق لهم ولا مساواة بينهم وبين من يأسرونهم ما داموا على ذمة الفكاك أو الفداء ، وغاية الفرق بين العصر الحديث والعصر القديم أن الدول في هذا العصر تتولى المبادلة على الفداء بعد معاهدة الصلح بين الغالب والمغلوب ، وأما في العصور الغابرة فلم تكن للدول عناية بهذه المبادلة ولا بالتعاقد على الصلح في جميع الأحوال ، ومن لم يفده أهله من الأسرى فلا شأن به للدولة التي كان ينتمي إليها . ولا استثناء لذلك في شرائع الحرب والسلم إلا بعد قيام الدولة الإسلامية وتفرقتها بين الأمم المسالمة والأمم المعاهدة والأمم المقاتلة ، فإن الدولة الإسلامية قد أوجبت على الإمام فكاك الأسرى من جنوده ما استطاع .

* * *

والنظام الاجتماعي الذي جاء به الإسلام قد صنع في مسألة تعدد الزوجات ما قد صنعه في مسألة الرق : حالة سيئة تعانيها المرأة من حرمان المجتمع والقانون ، أصلحها الإسلام ومهد لمسايرة التقدم الطبيعي الذي يأتي مع الزمن من ضروب الإصلاح .

وعلينا قبل الاستطراد إلى الكلام عن مركز المرأة في الاسلام أن ندفع وهما يعلق بالأذهان عن الأديان الكتابية وتعدد الزوجات فان الشائع بين الغربيين والمتفرنجين من الشرقيين أن الإسلام هو الدين الكتابي الوحيد الذي لم يحرم تعدد الزوجات ، وذلك وهم يخالف النصوص ووقائع التاريخ . فإن تعدد الزوجات بغير قيد هو القاعدة الغالبة في زواج الآباء والأنبياء الذين ذكرت زوجاتهم في كتب العهد القديم ، وليس في الأناجيل نص على تحريم ما أباحه العهد القديم ، ولكن الآباء الأوائل في المسيحية كانوا يحثون على الرهبانية ويستحسنون للأسقف أن يكتفي بزوجة واحدة إذا لم يستطع أن يترهب ، لأن شراً واحداً أهون من شرين . وقد أفتى القديس أوغسطين في كتابه عن الزواج الأمثل باباحة التسري لمن عقمت زوجته وثبت عليها العقم ، وحرم مثل ذلك على المرأة التي يعقم زوجها لأن الأسرة لا يكون لها غير سيد واحد (*De Bono Gonjugali XV*) وكان لشرلمان أولاد شرعيون من عدة زوجات معترف بهن . وبحث المشرع المشهور جروتيوس *Grotius* موضوع تعدد الزوجات من الناحية الفقهية فصوب شريعة الآباء في العهد القديم ، وقال وسترمارك *westermark* المؤرخ الحجة في شؤون الزواج إن الكنيسة والدولة كانتا تقران تعدد الزوجات إلى القرن السابع عشر وكان يقع غير نادر في الحالات التي لا تحفظ في سجلات الكنيسة أو الدولة .

فالإسلام لم ينفرد بين الأديان الكتابية بإباحة تعدد الزوجات ، ولم يوجبه على أحد لأنه أباحه ، بل أوجب على الزوج أن يعدل في المعاملة إذا بنى بأكثر من زوجة . وصرح القرآن الكريم بصعوبة العدل بين النساء (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) .

فحكم الإسلام في تعدد الزوجات هو الحكم المطلوب من كل شريعة

تقابل كل حالة محتملة ، ولو وقعت في كل ألف حالة حالة واحدة يكون فيها تعدد الزوجات خيراً من الطلاق أو من العقم ، لعيب على الشريعة أن تتجاهلها ولا تحسب حسابها ، وإنه لمن السخف أن يقال إن تطليق الزوجة المريضة أو قبول العقم أفضل في جميع الأحوال من الجمع بين زوجتين ، وإنه لأسخف من هذا أن يقال إن متاجرة المرأة بعرضها عند التفاوت بين عدد الرجال والنساء أكرم من تعدد الزوجات ، وإنه لمن النفاق السمج أن يقال إن الاغضاء عن الاباحة الفعلية يجعل الشريعة صالحة لقديسين يبنون بقديسات ، ويجعل الدنيا سماءً للملائكة لا يقع فيها إلا ما ينبغي أن يقع في السماوات . وأنه ما على الشريعة إلا أن تقول إن الناس كذلك ليكونوا كذلك طائعين أو راغمين ، ثم يعلموا أنهم كذلك وهم يعلمون رجالا ونساء أن الزواج الذي يخرج عليه الزوجان معدود بعشرات الألوف . ولقد يعذر من يرى أن الزواج علاقة لذة ومتعة جسدية إذا أغضى عن الفارق الطبيعي بين الجنسين ، ويعذر مثله من يرى أن انقطاع النسل فضيلة في حالتي الرهبانية والزواج ، ولكنه لا عذر لمن يؤمن بأن الزواج للنسل ثم يتجاهل التفرقة الطبيعية بين وظيفة الذكر ووظيفة الأنثى في الحياة النوعية . فان هذه التفرقة لا تهمل كل الاهمال إلا تباعد ما بين الطبيعة وبين المجتمع من وشائج الحياة . وليس من المطلوب أن يلد الرجل من مئات النساء . ولكنه لا يكون في جميع الأحوال كالمرأة التي لا تلد إلا من رجل واحد في عدة شهور .

* * *

قلنا إن الإسلام قد عالج تعدد الزوجات كما عالج الرق في عصر الدعوة : حالة سيئة أصلحها . وتطور منظور مهد له وأشار إليه ، ولم يضع قط عقبة في طريقه .

والحالة السيئة التي أصلحها الإسلام أن تعدد الزوجات كان مباحاً مطلقاً من كل قيد في البلاد العربية وفيما جاورها ، وكان رأي المرأة في الزواج مهملا لا يعتد به سواء خطبت لرجل متزوج أو غير ذي زوج ، فقيد الإسلام هذه الاباحة المطلقة وجعل للمرأة رأياً مشروطاً في زواجها ، ونبه الرجل الذي يتزوج بأكثر من واحدة إلى وجوب العدل في المعاملة ، ثم نبهه إلى صعوبة العدل وفضيلة الاكتفاء بزوجة واحدة (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ، إصلاح ليس بالقليل ، ولا ينبغي أن يحسب قليلا حتى في موازين المستقلين له من دعاة القرن العشرين، فانهم لخلقاء أن يسألوا أنفسهم : هل كان من المفيد تحريم تعدد الزوجات لو أراد أحد تحريمه ولم يقنع يومئذ بذلك الاصلاح ؟.. ما كان ذلك التحريم بالجد الذي يقدم عليه مشرع في شؤون الاجتماع وما كان له من وصف يوصف به إلا أنه عبث تتنزه عنه حكمة التشريع ، ولن يكون التحريم إلا عبث عابث حين تكون الإباحة حكماً عالمياً قد انعقد عليه إجماع الشرائع والعادات والأديان .

وربما كان العمل المنتج في هذا الاصلاح منوطا باسناد حق الموافقة إلى المرأة قبل البناء بمن يخطبها سواء كانت ولية أمرها أم كان لها ولي ينوب عنها ،والنبي عليه السلام يقول : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن » ، وقال : « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها » .

فهذا الحق ينقل أمر إنصاف المرأة إلى يديها ، فإن قبلت تعدد الزوجات راضية فهي أولى باختيار ما يرضيها ، وإن قبلته لضرورة لا محيص عنها فوجود هذه الضرورة في المجتمع رد كاف على من يتغافل عنها ولا يلتفت

إليها ، وما كانت المرأة لتقبلها يوما إلا وهي توقن أن قبولها أوفق لها من رفضها .

على أن تعدد الزوجات على إطلاقه قبل الإسلام لم يكن يضيم المرأة كما كان يضيمها قضاء الذلة التي رانت عليها في شعوب الحضارة وشعوب البداوة على السواء ؟ وكان بعض الحضارات — كالحضارة المصرية القديمة — يميل إلى إنصافها في حقوق الأسرة والمجتمع ، ثم شملتها النكسة العامة التي غمرت العالم الإنساني في الحقبة التي مرت به من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السادس بعده ، إذ كان هذا العالم الإنساني قد غشيت نفسه بمساوىء الترف المادي والانحلال الخلقي فخرج منها بعقيدة احتقار الجسد وتصوير المرأة في صورة النجاسة المحذورة لأنها عنوان المتعة الجسدية والشهوات الحسية ، فهبطت في معيار الأخلاق والعقائد إلى حطة النجاسة وبقيت في معيار التشريع حيث أبقتها أم الشرائع في العصور القديمة — دولة الرومان — ولم تزد في شريعتها كثيراً عن منزلة الرقيق المملوك الذي لا يستقل عن مشيئة رب الأسرة بحق من الحقوق .

وأما في بلاد العرب فقد كانت للمرأة حالات تتراوح بين الكرامة والمهانة ، أحسنها لم يرتفع بها عن حالة الطفل القاصر في رعاية أهله ، وأسوؤها تدل عليه عادة وأد البنات خشية العار أو خشية الإملاق ، فهذه الحالة العامة في شعوب الحضارة والبداوة هي التي أنقذها منها الإسلام ، لأنه رفع عن الجسد وصمة النجاسة ورفع عن المرأة وصمة العار ، ووهب لها في المعاملات حقوق الشخصية المستقلة التي تملك ما عندها وتملك أن تنيب عنها من يديره لها ولو لم يكن وليها أو قريبها ، وفرض لها المساواة المثلى التي تستقيم مع اختلاف الجنسين ، ولم يحرمها من المساواة إلا ما يعد الحرمان منه

نوعا من الإعفاء عند تقسيم العمل بين الجنسين المختلفين .

* * *

والمساواة المثلى هي العدل الذي لا ظلم فيه على أحد ، ولهذا لم يستطع فقهاء التعريفات أن يجعلوها مساواة في الواجبات لأن المساواة في الواجبات مع اختلاف القدرة عليها ظلم قبيح ، ولم يستطيعوا أن يجعلوها مساواة في الحقوق لأن المساواة في الحقوق مع اختلاف الواجبات ظلم أقبح من ذلك ، لأنه إجحاف يأباه العقل وإضرار يحيق بالمصلحة العامة كما يحيق بمصلحة كل فرد من ذوي الواجبات والحقوق .

وقوام الأمر إذن أن تكون المساواة العادلة مساواة في الفرص والوسائل ، فلا يحرم إنسان فرصته لإحراز القدرة التي تمكنه من النهوض بواجب من الواجبات ، ولا يحرم وسيلته التي يتوسل بها إلى بلوغ تلك الفرصة ما استطاع من وسائل السعي المشروع .

والمساواة في الفرص مفهومة بين أبناء الجنس الواحد ، لأنها ممكنة في حدود الوظائف الطبيعية . وأما غير المفهوم فهو المساواة في الفرص بين جنسين مختلفين في التركيب والاستعداد وفيما ثبت من الواقع في تواريخ جميع الأمم ، وفيما يتطلبه المجتمع من تقسيم العمل بين هذين الجنسين .

هذا الاختلاف واقع دائم لا حيلة فيه لأصحاب التعريفات أو أصحاب الدعايات السياسية ، ولا تجدي في إلغائه وإلغاء ادلالته تعلة من التعلات التي يردونه إليها . فلا ينتهون منها إلى غير السفسطة والمحال .

« فكل ما يقال في تعليل ذلك راجع إلى علة واحدة وهي تفوق الرجل على

المرأة في القدرة والتأثير في العموم . فليست جهالة القرون الأولى بسبب صالح لتعليل هذه الفوارق العقلية بين الرجال والنساء في جميع الأمم . لأن الجهل كان حظا مشتركا بين الجنسين ولم يكن مفروضا على النساء وحدهن دون الرجال ، ومن زعم أن الرجل فرض الجهل على المرأة فقبلته وأذعنت له فقد قال إنه أقدر من المرأة أو أنه أحوج إلى العلم وأحرص عليه منها . وليس الاستبداد في القرون الأولى سببا صالحاً لتعليـــل تلك الفوارق لأن استبداد الحكومات كان يصيب الرجل في الحياة العامة قبل أن يصيب المرأة في حياتها العامة أو حياتها البيتية ، ولم يمنع الاستبداد طائفة من العبيد المسخرين أن ينبغ فيهم العامل الصالح والشاعر اللبق والواعظ الحكيـــم والأديب الظريف . وليس عجز المرأة عن مجاراة الرجل في الأعمال العامة ناشئا من قلة المزاولة لتلك الأعمال ، لأنها زاولت أعمال البيت ألوف السنين ولا يزال الرجل يبزها في هذه الأعمال كلما اشتغل بصناعاتها ، فهو أقدر منها على الطهو وعلى التفصيل وفنون التجميل وتركيب الأثاث وكل ما يشتركان فيه من أعمال البيوت وقد يرجع الأمر إلى الخصائص النفسية فيحتفظ فيها الرجل بتفوقه على الرغم من استعداد المرأة لتلك الخصائص من أقدم العصور في التاريخ . فالنواح على الموتى عادة تفرغت لها المرأة منذ عرف الناس الحداد على الأموات ، ولكن الآداب النسوية لم تخرج لنا يوما قصيدة من قصائد الرثاء تضارع ما نظمه الشعراء الرجال سواء منهم الأميون والمتعلمون ، وقد كان أكثر الشعراء في العهود القديمة من الأميين . بل هناك خاصة نفسية لا تتوقف على العلم ولا على الحرية ولا نوع العمل أو الوظيفة في المجتمعات أو البيوت ، وهي خاصة الفكاهة وخلق الصور الهزلية والنكات التي يلجأ اليها الناس حين يحال بينهم وبين التعبير الصريح ، وربما كان الاستبداد أو الضغط الاجتماعي من دواعي تنشيط هذا السلاح النفسي في قرائـــح

المستعبدين والمغلوبين ، لأنه السلاح الذي ينتقم به المغلوب لضعفه والمنفذ الذي يفرج به عن ضيقه وخوفه ، وقد كان ضغط الرجال على النساء خليقا أن يغريهن باستخدام هذا السلاح لتعويض القوة المفقودة والانتقام للحرية المسلوبة . ولكن الآداب والنوادر لم تسجل لنا فكاهة واحدة أطلقها النساء على الرجال ، كما فعل الرجال المغلوبون في الأمم الحاكمة أو المحكومة على على السواء . أو كما فعلوا في تصوير رياء المرأة واحتيالها على إخفاء رغباتها وتزويق علاقاتها بالرجال ، وهذه الملكة – ملكة الفكاهة – خاصة نفسية لم يقتلعها من طبائع الرجال ظلم ولا جهل ولا فاقة ولا عجز عن العمل في سبيل الحياة . فمن اللجاجة أن يتجاهل المتجاهلون هذه الفوارق وهي أثبت من كل ما يثبته العلم والعلماء . وما كان للعلم أن يوجد شيئا لم يكن له وجود في الواقع أو في تفكير العقول ، وإنما هو أبدا في مقام التسجيل أو مقام التفسير (١) » .

* * *

إن هذه الاعتبارات موضوعة حتما بين يدي كل تشريع يتحرى مصلحة المجتمع في حاضره ومستقبله ، ومتى نظر التشريع إلى هذه الاعتبارات فانه لا يقيم العدل بين الجنسين على أساس المساواة في الفرص ولا على مطالبة كل منهما بواجبات كواجبات الآخر أو تخويله حقوقا كحقوقه ، وليس أمامه من عدل بين الجنسين غير العدل على أساس تقسيم العمل بينهما كما يتوفر عليه كل منهما . وهذا هو العدل على سنة المساواة بين الواجبات والحقوق ، وأن تكون حقوق الجنس مكافئة لواجباته ، وواجباته مكافئة لحقوقه ومن الهزل لا من الجد في شيء – أن نعلم أن تربية البنين وتنشئة الجيل الجديد

١ — من كتاب الفلسفة القرآنية للمؤلف .

وتنظيم البيت والأسرة واجب على المرأة قبل الرجل ثم نزعم أنها مساوية له إذ تقوم بهذا الواجب وتقوم بأعباء الرجل في الأعمال العامة على السواء .

وعدل المساواة بين الواجبات والحقوق هو عدل الإسلام في بيان حقوق المرأة وحقوقها هي على الرجل وحقوق الرجل عليها : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) ... (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) .

وإن تقسيم الواجبات والحقوق في الإسلام على هذا القسطاس لهو تقسيم الفطرة الذي نرجع إليه قسرا كلما شردنا عن طريقه ، وما نخال أن تقسيم الفطرة مجهول بعد تقرير مكان المرأة الطبيعي في القيام على شؤون البيت وتربية الجيل الجديد ، ومن حقها إذن على الرجل أن يتولى الإنفاق عليها وعلى البيت ، إذ كانت لا تستطيع أن تعول أبناءها وتكدح لنفسها .

نعم ، إن المرأة في المجتمعات الحديثة تضطر إلى العمل لكسب معيشتها ، إلا أن هذا الاضطرار خلل في المجتمع يؤسف له ولا يغتبط به ولا يبنى عليه قوام الحاضر والمستقبل ، وقديماً كان الطفل الصغير مضطراً إلى العمل لكسب معيشته فلم يكن هذا فضيلة للمجتمع الذي يحدث فيه ، تستوجب التشجيع والإقرار ، وتستقيم عليه أسس التربية والتشريع ، بل كان خللا وخيم العاقبة تتضافر الجهود على سداده وتحريمه ، وتحاربه الشرائع والآداب على الرغم من الاضطرار إليه في كثير من الأحوال .

وإن الخلل الذي يلجىء المرأة إلى السوق وإلى المصنع وإلى معارك الحياة العامة لحقيق بمثل هذه المحاربة ، ومفروض علينا أن نجعل القضاء عليه أملا ننشده ولا نجعله إنكاراً لحقوق المرأة وانتقاصا من كرامتها ، وهكذا تستوي

مصالح المجتمع على جادتها أو تنقلب على من ينسخونها – ويمسخونها – كما تنقلب قوانين الفطرة على كل خارج عليها .

وبعد أربعين سنة من اللغط « بالرجعية » في الإسلام والتقدم في المذهب المادي القائم على العلم ورعاية القوانين الطبيعية في زعم أصحابه – يحق للناقد المسلم أن يبتسم وهو يرى في كل يوم ضربة من ضربات الفطرة ترتد بالسخرية على من يخرجون عليها . ونقرأ في خطب الفلاسفة الماديين كلاما عن الأسرة الملعونة – في عرف الماديين يقيم عليها دعائم المجتمع الصناعي الذي ينبغي أن يعصف بالأسرة عصفا إذا صح ما قدره له « كارل ماركس » وأتباعه ، ويقول لنا الفيلسوف خارشيف *Kharchev* من خطاب للشبان الشيوعيين أذيع في الثلاثين من شهر يناير سنة ١٩٥٦ ... « إن الأسرة السوفياتية الناشئة تخلق من أجل العمل المشترك على مصلحة الوطن ، كــي تزوده بأبناء وبنات مجتهدين مخلصين . وأن سعادة الأسرة لن تنفصل عن سعادة المجتمع الاشتراكي وجهوده » .

وأدعى من ذلك إلى الابتسام قول الزعيم خروشيشيف في تقريره للمؤتمر العشرين من مؤتمرات الحزب الشيوعي كما نشرته « برافدا » في الخامس عشر من فبراير سنة ١٩٥٦ :

« إننا لا نستطيع أن نتجاهل الحقيقة الواقعة التي تلاحظ في هيئات كثيرة من هيئات الحزب الشيوعي ، وهي الحذر من ترشيح النساء للمراكز الرئيسية فان عدد النساء قليل جدا بين أصحاب المراكز الموجهة في الأعمال السوفياتية ولا سيما مراكز السكرتارية في اللجان ومراكز الرئاسة في اللجان التنفيذية والمشروعات الصناعية والحقول المشتركة وحقول الدولة » .

ولم يلاحظ هذا الحذر في مجتمع يدين بالرجعية الإسلامية ، ولكنه حدث في مجتمع مضى عليه أربعون سنة يغتصب التسوية اغتصاباً بين الرجل والمرأة وينشأ أبناء الأربعين وبنات الأربعين فيه وما سمعوا قط شيئاً غير « أوامر » المساواة بين الجنسين في المدرسة والمصنع والطريق والبيت ، وما اجترأ قط على التشكيك في هذه المساواة بين أبنائه وبناته أحد يريد أن يأمن على حياته من تهمة النكسة والخيانة واستعادة الآداب الغابرة التي قام عليها الاستغلال في بلاد رأس المال .

* * *

وستمضي أربعون سنة أخرى بعد هذه السنين الأربعين التي مضت على وضع الشريعة الماركسية في موضع التنفيذ ، وسيبتعد العالم مسافة أخرى من أحكام هذه الشريعة ، كلما خرجت من دور النبوءات والنظريات ودخلت في دور الوقائع والمحسوسات . وسيكون ابتعاد العالم عنها في المستقبل أعجل وأسرع من ابتعاده عنها فيما مضى . لأن حماسة الإيمان بها كانت تصمد للحوادث حينا يطيل أجلها على غير طائل ، ولن يقوى هذا الإيمان المتهافت بعد اليوم على صدمات الحوادث في الداخل والخارج إلا من قبيل تغطية الهارب لمهربه إن بقيت به حاجة إلى التغطية بعد انكشاف الأمر وشيوع التفاهم على بطلان المذهب بين دعاته وأدعيائه . وسيرثى غداً لمن يبقى بعد هذا الزمن متعلقا بحباله الرثة محتجا به على نظام من النظم الدينية أو الوضعية ، فما من نظام سيكون غداً أبعد من النظام الماركسي عن حقائق الأمور . وسيبقى من الإسلام على التخصيص ما كان باقياً قبل ظهور المادية التاريخية وبعد احتجابها ، فيزول المذهب الذي قالوا إنه مذهب العصر والعلم والتقدم إلى المستقبل بغير نهاية . ويبقى المذهب الذي قالوا إنه قد لحق بأمس الدابر فليس له من الغد

نصيب ويتمارى غدا من يتمارى في شأن الأسرة والمرأة بعد الشوط الطويل الذي يعبره العالم اليوم متردداً مختلفاً على نظام الأسرة وحقوق المرأة أو حقوق الجنسين ، ولكنه لا يتمارى في جناية المذهب المادي على الأسرة وجنايته من ثم على المجتمع في حاضره ومصيره ، ولن يتمارى في حقيقة النظام الذي ينقذ المرأة من براثن الاستغلال والابتذال ، فلن يكون خلاصها من الاستغلال على يد النظام الذي يرسلها إلى الأسواق والمصانع ومعارك السياسة والكفاح ، ولن تخلص من الاستغلال إلا إذا ملكت بيتها أمّا وربة أسرة وسيدة للعالم الصغير الذي ينشأ منه الغد ويسكن إليه الحاضر من وعثاء الكفاح في الأسواق والمصانع ومعارك السياسة .

والشيوعي الذي يرثى له غداً حين يحتج ببقايا مذهبه على النظام الإسلامي في شأن المرأة — سيرثى له من اليوم حين يحتج ببقايا مذهبه على النظام الإسلامي في شؤون المعاملات .

فكل منتقد لهذا النظام يستطيع أن يقول شيئا إلا جماعة الشيوعيين أصحاب الآراء المعروفة في رؤوس الأموال واستغلالها في أيدي المرابين والمتجرين بالنقود .

فإن الذين يزعمون أن الإسلام لا يصلح للمعاملات العصرية قد جمعوا أسبابهم كلها في مسألة المصارف والقروض أو فيما سموه مسألة الربا على غير فهم لأحكام الإسلام فيه .

وهؤلاء لهم كلام يقولونه في هذا الصدد إذ لا كلام فيه لأحد من الشيوعيين لأن هؤلاء الشيوعيين قد تطول ألسنتهم في كل مجال ولا تستطيع أن تطول في هذا المجال ، مع فلسفتهم المعلومة عن رؤوس الأموال وعن الاستغلال

وبيع النقد كما تباع السلع لفائدة أصحاب « الأعمال » وعلى حساب طوائف العمال !.

فماذا يقول الشيوعي إذا أراد أن ينتقد الإسلام في تحريمه الربا والاتجار بأعيان النقود ؟

إنه يسكت السكوت الذي يستحق الرثاء ، فإنه ليقف هنا موقف العاجز عن تحريك لسانه بالثناء وهو لا يريد الثناء ، أو بالمذمة والتجريح ولا وجه عنده لمذمة أو تجريح .

لقد حرم الإسلام الاتجار بأعيان النقود كما حرم أكل الربا أضعافا مضاعفة وما من شريعة عصرية تبيح اليوم ما حرمه الإسلام على المرابين وهي آمنة على سلامة المجتمع من الخراب أو من الفتنة والاضطراب . فأما المعاملات التي لا ضرر فيها على أحد ولا اتجار بالنقد في غير عمل فليس للاسلام فيها حكم غير حكم القانون الصالح أينما كان ، وأنى يكون .

* * *

ومسألة الحدود الجنائية أدق المسائل بعد مسألة الرق ومسألة المرأة ومسألة المعاملات ، ودقتها أنها مسألة فقهية للفقهاء وولاة الأمور ، وليس قصارى الأمر فيها أنها مسألة من مسائل الشعائر والمعتقدات .

وهذه المسألة الفقهية الدقيقة تتشعب فيها شروح الفقهاء من حيث تتعدد الحدود والجنايات ، وتتعدد الشروط والأركان ، وتتعدد الأدلة والشبهات ، فيقع فيها اللبس الكثير كما يقع في عموم المسائل الفقهية ، ويخطىء المسلم الجاهل دقائق الرأي فيها كما يخطئها الجاهل بالاسلام من الأجانب عنه أحسن النية أو أساء .

والإفاضة في البحوث الفقهية ليست من أغراض هذا الكتاب ، وقد نستوفي أغراضه إذا نبهنا إلى منافذ الخطأ في فهم النظام الاجتماعي الذي جاء به الإسلام وفهم نظام العقوبات على التخصيص ، وهذا ما ننبه إليه بالإيجاز في الأسطر التالية :

إننا نسمع على الدوام أن عقوبات الشريعة الإسلامية ينبغي أن تطابق أحوال القرن العشرين .

ونقول نعم ولا نحسب أن أحداً يقول غير ذلك ، ولكن الألزم من ذلك أن نكون مطابقة للبيئة التي تنزلت فيها وللزمن الذي تنزلت فيه .

وقد تنزلت الشريعة الإسلامية في الجزيرة العربية على عهد الجاهلية ، يوم كانت شريعتها الغالبة بين جميع القبائل شريعة الغارات التي تستباح فيها دماء المغلوب وأمواله ونساؤه وكل مملوك له في حوزة الفرد أو حوزة القبيلة ، أوكان أهل الكتاب يدينون بشريعة موسى التي لم يبطلها السيد المسيح ولها حدود مفصلة في التوراة وقصاص تؤخذ فيه العين بالعين والسن بالسن ، كما ذكرها القرآن الكريم .

فإذا جاء الإسلام بعقوبات لا تصلح لعصر الدعوة لم يعط التشريع حقه في ذلك العصر ولا في العصور التالية ، ولكنه يعطي التشريع حقوقه جميعا إذا صلح لزمانه ولم ينقطع صلاحه لما بعده ولم يمتنع فيه باب الاجتهاد عند اختلاف الأحوال . فيشتمل جزاؤه على جنايات الحدود والقصاص وعلى الجنايات التي تستحدثها أحوال المجتمعات ويأخذها الشارع بما يلائمها من موجبات الجزاء .

وهذا ما صنعه الإسلام في جنايات الحدود والقصاص وفي غيرها من الجنايات التي تدخل عند الفقهاء في باب التعزير ، وعلينا أن نذكر :

« أولا » أن الحدود مقيدة بشروط وأركان لا بد من توافرها جميعا بالبينة القاطعة وإلا سقط الحد أو انتقل الى عقوبات التعزير اذ كان ثبوته لم يبلغ من اليقين مبلغ الثبوت الواجب لإقامة الحدود .

وأن نذكر « ثانياً » أن القصاص مشروط فيه العمد وإرادة الأذى بعينه فإن لم يثبت العمد فالجزاء الدية أو التعزير ، وقد يجتمعان أو يكتفى بالدية دون التعزير أو بالتعزير دون الدية .

ولنذكر أن جرائم التعزير تشمل جميع الجرائم التي يعاقب عليها بالسجن أو بالغرامة أو بالعقوبات البدنية .

ولنذكر في جميع هذه الأحوال أن الشريعة الإسلامية توجب درء الحدود بالشبهات ، فإذا قامت الشبهة للشك في ركن من أركان الجناية أو ركن من أركان الشهادة فلا يقام الحد وينظر ولي الأمر في التأديب بعقوبة من عقوبات التعزير .

ولنضرب المثل بأكبر جنايات الحدود وأشيعها في الجاهلية العربية وجاهليات الأمم في عنفوانها ، وهي جناية قطع الطريق والعيث في الأرض بالفساد ، ففي هذه الجناية يقول القرآن الكريم : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتّلوا أو يصلبوا أو تُقَطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) .

فهذه جناية لها عقوبات متعددة على حسب الأضرار والجرائم ، ومنها القتل والصلب وقطع الأطراف والنفي وهو بمعنى النبذ من الجماعة إمـــا

بالسجن أو بالإقصاء ، ويلزم العقاب من لزمته أحكام الدين ، فإذا كانت جنايته قد انتهت بالعقوبة قبل أن يلزمه قضاء الإسلام فهذا هو الباب الذي فتحه الإسلام لابتداء عهد وانتهاء عهد غبر بأوزاره وعاداته وانطوى حساب الجناية والعقاب فيه بانتهائه .

وأشد هذه العقوبات لم يكن شديدا في عرف أمة من الأمم عوقب فيها من يقطعون الطريق ويعيثون في الأرض بالفساد ، مع حضور الخطر وكثرة مغرياته وقلة الزواجر الاجتماعية التي تحمي المجتمع من أضراره وجرائره ، وقد كانت عقوبات القتل والتمثيل قائمة في جميع الأمم مع قيام الجريمة وقيام أسباب الحذر منها ، وظلت كذلك إلى القرن السابع عشر في البلاد الأوربية التي استقر فيها الأمن بعد الفزع وانتظمت فيها حراسة الطريق بعد الفوضى التي طغت عليها من جراء فوضى الجوار بين الحكومات .

وتلحق بجناية قطع الطريق جناية السرقة التي لا غصب فيها . وشروطها أن يكون السارق عاقلا مكلفا وأن يكون المال المسروق محرزا مملوكا لمن يحرزه بغير شبهة . بالغا نصاب السرقة كما يتفق عليه الفقهاء ، وكل جريمة من قبيل السرقة لم تثبت فيها هذه الأركان المشروطة فلا يؤخذ فيها الجاني بحد السرقة ويؤخذ فيها بعقوبات التعزير . وعند الضرورة القاهرة التي يقدرها الإمام يجوز العفو كما عفا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عن الغلامين السارقين في عام المجاعة .

ولا بد أن يمتد نظر الباحث على مدى مئات السنين قبل أن يسأل عن صلاح الشريعة لعصر من العصور ، ولا محل لسؤاله إذا أراد أن يحصر هذه الشريعة في زمن واحد وبيئة واحدة ، ولكنه يحسن السؤال إذا عرض أمامه أحوالا

للأمم فيها القديم والحديث وفيها الهمجي والمتحضر وفيها المسالم المأمون والشرير المحذور ثم سأل هل في الشريعة قصور عن حالة من الحالات التي تعرض لتلك الأمم في جميع أطوارها ؟ وهل هناك عقوبة نصت عليها الشريعة لم تكن صالحة في حالة من تلك الحالات ؟

فهكذا توزن الشرائع التي تحيط بالمجتمعات في مئات السنين ومئات البيئات وبغير هذا الوزن تكثر منافذ الخطأ أو يبطل السؤال فلا محل للسؤال .

* * *

وننظر إلى المجتمع الإنساني الذي يقيمه الإسلام بعد هذه النظرات المجملة إلى مسألة الرق ومسألة المرأة ومسائل المعاملات ومسائل العقوبات ، فنحن إذن خلقاء أن نرى فارقا بين المجتمعين – مجتمع الإسلام ومجتمع الشيوعية – لا تستوي فيه وجوه القياس ، لأنه فارق بين وهم مفروض على التخمين ، وبين حقيقة واقعة من حقائق الماضي والحاضر وحقائق المستقبل كما يراها من يشهده رأي العين .

فالمجتمع الشيوعي فرض خيالي قوامه دعوى المدعين أنه سيأتي – إن أتى – سوياً بغير طبقات ، وأن الشرور الاجتماعية وشرور الطبائع كافة ستفارقه أبد الابدين إذا فارقه شيء واحد ، وهو رأس المال .

هذه هي الخرافة التي يسمونها بالمجتمع الشيوعي الذي سيحق غداً متى حقت الدعوى أو حق الفرض والتخمين .

أما المجتمع الإسلامي فهو هذا المجتمع الإنساني المتجدد الذي يحق على سنة التقدم بما يحققه من مبادىء الإسلام ، وهي مبادىء لا تنتشر وتنطوي في مدى أيام أو مدى أعوام .

يقوم المجتمع الإنساني على المساواة بين الناس بغير تفرقة بين الأنساب والألوان والأجناس ، ولا تمنعه المساواة أن يعطي المزايا النافعة حقها من الانصاف لمصلحة المنتفعين بتلك المزايا في جميع الطبقات ، ولا تفاضل في الحقوق بالمال أو بالوراثة ، فإنما يكون التفاضل بينهم بالعلم والعمل : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ... (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . فضل الله المجاهدين بأموالهم وبأنفسهم على القاعدين درجة) .

وإذا وجدت درجات الثروة فلا ينبغي أن تكون حكراً تستأثر به طبقة واحدة ولا أن تكون « دولة بين الأغنياء » ولا بد في كل ثروة من حق معلوم للسائل والمحروم .

والإسلام لا يحل مشكلة الفقر بالصدقات المفروضة على الأغنياء لمعونة المحرومين والمعوزين . ولكنه جعل هذه الصدقات منذ ألف وأربعمائة سنة لمن جعلتها لهم دول العصر الحديث من العجزة والمرضى والشيوخ والمنقطعين ، وحل مشكلة الفقر « أولا » بخلع القداسة التي كانت تجلله في كثير من الأديان ثم حلها بإيجاب العمل على القادرين وإيجاب تدبيره على الإمام المسؤول لكل قادر عليه .

* * *

والمجتمع الإسلامي لا يهدم شيئا من كيان الاجتماع الذي استفاده بنو الإنسان من أطوار حياتهم الاجتماعية في الحقب الطوال . لأن المفهوم من سير الهداية الإلهية كما يسردها القرآن الكريم أن حياة النوع الإنساني تاريخ متصل يتمم بعضه بعضها وتنتهي إلى التعارف بين الشعوب والقبائل في

أخوة عامة لا فضل فيها لقوم على غيرهم إلا بالعمل الصالح ، ولهذا يحرص الإسلام على كيان الاجتماع في الشخصية الفردية وفي الأسرة وفي الايمان بوحدة النوع ، ولا يهدم بنية من هذه الأبنية الحية التي « تحققت » لتعيش بين القوى العاملة في المجتمع لالتنهدم وتندثر في حقبة بعد حقبة ، كأنها من الشرور التي تولد على الرغم منا وتعود كلما استأصلناها كرة بعد كرة ولا ندري من أين تعود .

وقد جاء في القرآن الكريم في وصف أهل النار أنهم (كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار) .

ففي هذا الوصف « للعالم الملعون » بيان للفارق في تقدير الإسلام بين المجتمع المثالي في الشر والفساد والمجتمع المثالي في الخير والصلاح ويصدق الوصف المثالي لعالم الشر والفساد على التاريخ الإنساني كما توهمه الشيوعيون : كلما تعاقبت أطوار التاريخ لعن الأواخر منها أوائلها وجاء الخلف الأخير ليصب النقمة والعذاب عليهم أجمعين .

ذلك في الحق تاريخ جحيم ، أو تاريخ عالم ملعون ، لا خير في أوائله ولا أواخره ، وشره ثابت فيما كان وخيره لا يكون إلا في أحاجي الأوهام والظنون ، بعد هدم ما كان جميعاً أملا فيها سوف يكون .

كيان الاجتماع في الإسلام لا يتهدم بل يزداد قوة على قوة ، ويدعمه الإسلام ليؤسس به بنياناً مرصوصاً يشد بعضه بعضاً ، ويتعاون على البر والتقوى ولا يتعاون على الإثم والعدوان .

فالشخصية الإنسانية فيه حقيقة حية ، والأسرة الاجتماعية فيه حقيقة حية ،

والنوع الإنساني الذي تنتمي شعوبه وقبائله إلى أسرة كبيرة يجمعها التعارف والتعاون هو كذلك حقيقة حية .

لا شيء ينهدم جزافا أو لانتظار مجتمع من الخلق لا رابطة بينهم إلا أنهم كانوا مأجورين يسامون بخس الأجور .

هذا المجتمع الذي ينهدم من أجله كل كيان قائم لم يكن قط إلا وهما من أوهام الخيال ، أو حلما من أحلام كابوس الشر والفساد .

أما الشخصية الإنسانية وروابط الأسرة ووحدة النوع الإنساني فهي أمامنا بنية حية أو بنية تحيا ولا يجوز أن تنهدم لوهم من الأوهام .

كل منها « كيان » حق صنعته العناية الالهية ورصدت له رسالته وآتته قدرته عليها ، ولم يخرج من بوتقة الخلق « غلطا » ليعاد تركيبه بعد تصحيح حسبة الأجور ورؤوس الأموال .

وما من حجة غير حجة الشيوعية ينهدم بها كيان الشخصية الإنسانية وينهدم بها كيان الأسرة وينهدم بها كيان النوع الإنساني ليؤول ميراثه إلى طائفة مزعومة ما وجدت بعد وما من دليل قط على أنها وشيكة الوجود .

ما أهزل الحجة وما أكرم البناء الذي يراد له الهدم والفناء .

إن الشخصية الإنسانية – شخصية الفرد المسؤول – لا ذنب لها إلا أنها لا تستطيع كل ما تريد . وأن ما يريده الأفراد يتم في المجتمع على نحو غير الذي أرادوه ، ولو ثبت هذا الذنب لما أوجب مقت الحرية الفردية ولا أوجب بطلان العمل الذي تعمله ، فربما كانت مناوأة المجتمع للفرد هي الشر الذي تزيله أو نتمنى له الزوال ، وكما يقال أن عمل الفرد موقوف على التجاوب

بينه وبين المجتمع يقال كذلك إن عمل المجتمع موقوف على التجاوب بينه وبين الأفراد ، فلا وجه لهدم « الشخصية الفردية » حتى لو صح أنها لا تفعل كل شيء .

والأسرة تنهدم لأنها أذنبت بتعليم الناس شريعة الميراث ، وما تعلمت الأسرة الميراث إلا من طبيعة التكوين التي تجعل الولد وريثا لأبويه في خلقه وخُلقه ولا يستطيع المجتمع أن يجرده من هذا الميراث أو ينجيه منه إن طلب النجاة ، وما كان ميراث المالكين شيئاً في جانب الميراث الذي تلقاه ورثة الصناعات أبناء بعد آباء وآباء بعد أجداد ، وما كان في بني الإنسان من خير إذا لم يبق منهم إلا من يعمل لساعته ولا يفكر في غده ولا فيما يكون بعد حياته . وهذه خليقة تعلمها الناس من الأسرة ومن الميراث وتعلموا خيرا يذهب بذهابه ميراث هذا المخلوق المسمى بالإنسان حيث كان .

وأما النوع الإنساني فينهدم لأنه لم يوجد قط في عرف الشيوعيين ، بل كان الموجود في كل حقبة طائفة من السماسرة وطائفة من الأجراء وطائفة من أصحاب المال ، ودنيا واسعة لك أن تسميها سوقا أو مصرفا أو مصيدة من مصائد الحيلة والخديعة ، وليس لك أبدا أن تسمي هذه الدنيا في طور من أطوارها أو في جميع أطوارها عالما يسكنه بنو الإنسان !.

كلما دخلت أمة لعنت أختها .

هذا هو الجحيم الشيطاني الذي زيفه الأبالسة ، ولم يفرزه أحد قبل مقدم إخوانهم وأندادهم في الحيلة والخديعة دعاة الشيوعيين !.

وهذا بحق هو العالم المثالي للشر والفساد .

وفي مثل هذا العالم قد يسهل العبث بكل كيان اجتماعي بناه التاريخ ولا يزال

يبنيه ويوطد بناءه على اتصال بين ماضيه وتاليه : قد يسهل العبث بهذه الأبنية الاجتماعية في دور التحريض والتخريب ، ولكنها قوى اجتماعية لا يتأتى الاستغناء عنها في دور التأسيس والتنظيم ، ولا بد أن تحيق غوائل الحرمان منها بالمجتمع في جملته وبكل فرد من أفراده على حدة ، وقد حاقت بالمجتمع الشيوعي عواقب الحرمان من هذه القوى الحية ! قوة الكرامة الإنسانية في « شخصية » الفرد وقوة العاطفة المتأصلة في كيان الأسرة وقوة الإيمان بوحدة بني الانسان التي تعلو على منافع الطوائف والأفراد . فأحس المجتمع الشيوعي عواقب هدمها في اليقين الخواء والعواطف النخرة والحماسة المكذوبة من صنع الكلام في مصانع الأوهام . فثاب أعداء الوطن والدين يتمسحون بالوطن والدين ، وقالوا في رثائهم للحرية الشخصية بعد موت ستالين أن اختناق الضمائر والعقول في عهده إنما كان شهوة من شهوات استبداده خرج بها على مبادىء الدعوة المقدسة وخالف بها أناجيل ماركس ولينين ، وقالوا عن الأسرة أنها قوام المجتمع كله أو قوام الوطن كما يسمونه الآن ، وقالوا عن وحيهم المعصوم – بعبارة وجيزة – أسوأ ما كان في عرفهم كفرا بواحا منذ عام أو عامين .

ونحن لا نعلم أن ستالين كان في استبداده مخالفاً لمبدأ من مبادىء أستاذيه ماركس ولينين ، والمهم هنا هو مبادىء لينين بعد الحرب العالمية الأولى لأن ماركس لم يحضر عملا من أعمال التنفيذ والتنظيم في الدولة الشيوعية ، ومبادىء لينين التي أعلنها في هذه الفترة صريحة في جواز الحكم المطلق وموافقته للمبادىء الشيوعية ، فإنه يقول في الجزء الثلاثين من مجموعة أعماله الروسية : « إن اشتراكية السوفييت الديموقراطية لا تناقض بحال من الأحوال قيام الدكتاتورية والادارة بيد فرد واحد . إذ يتم في هذه الحالة تنفيذ إدارة

الطبقة على يد حاكم بأمره يعمل على تعجيلها وقد يكون ألزم لتحقيقها » .

فليس في استبداد ستالين خروج على مبادىء المذهب كما شرعها مؤسس المذهب في دور التنفيذ ، فإذا كان في الأمر من جديد فالجديد فيه أنه هزيمة جديدة للمذهب في حربه للحرية الشخصية تتلو هزائمه الأولى في حربه للأسرة وللحرية الشخصية أو للحقوق الشخصية المهضومة — قبل موت ستالين بسنوات . فجاء المذهب الذي جعل الملكية الخاصة ينبوعا لجميع الشرور يوحي بها ويبيحها في المزارع المشتركة ، وجعل من حقوق الفلاح في تلك المزارع أن يحتجز قطعة من الأرض لسكنه وتربية دواجنه يملكها في حياته ويورثها بعده لخلفائه في المزرعة المشتركة ولا يسمى ذلك عندهم بالملك الخاص لأنهم يسمونه بالسكن المقيم .

ومما ألممنا به في هذه الأسطر عن القوى الاجتماعية التي تهدمها الشيوعية ويبنيها الإسلام نعلم أن النظامين متقابلان لا يتلاقيان ، وأنهما متضادان مذهبا وخلقا ومجتمعا ولا ينحصر التضاد بينهما في العقائد والمعقولات .

فالشخصية الإسلامية التي تهدمها الشيوعية يوطدها الإسلام وينوط بها أوامره ونواهيه ، ويعرفها مشتعلة لا واسطة فيها بين الخلق والخالق من سلطة دينية أو حكومية ، ولا حجاب فيها بين الأرض والسماء .

« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .
(ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

والأسرة التي تهدمها الشيوعية يجعلها الاسلام سكنا للزوجين وموئلا للبر والرحمة بين الآباء والأبناء .

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) .

والبنون من زينة الحياة الدنيا ومن نعم الله التي يحصيها على عباده .

ولقد يكون للاباء في الأمم المقاتلة ، وفي غيرها هوى في ذرية البنين يغتبطون بهم ويزهدون في الذرية من البنات ، فالقرآن الكريم يؤنبهم على ذلك ويلهمهم شعوراً غير هذا الشعور في محبة الذرية من بنين أو بنات :

(وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألاساء ما يحكمون) .

أما الشعور الإنساني الذي لا يحجبه شعور الطبقة ولا شعور العصبة فهو الشعور بالأسرة الواحدة تجمع الشعوب والقبائل من أب واحد وأم واحدة ، وهو شعور الإخاء بين جميع المؤمنين (إنما المؤمنون إخوة) ... (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) ... وذلك هو المثل الأعلى لنعيم الأبرار .

والقوى التي تنعقد فيها المقارنة بين النظامين الاجتماعيين هي أشياء موجودة محسوسة الأثر ، يحاربها الشيوعيون لأنهم يجدونها ويحسون أثرها ، ثم هم يجدون منها سدوداً تصدهم وتعوق مبادئهم أن تنتشر بين الشعوب الإسلامية ولا تصدهم بسدود من التعصب الديني وحسب كما تصورهم العقائد الدينية

الأخرى ، بل تلقاهم بالمبادىء التي تعنيهم عن مبادىء الشيوعية وبالنظام الذي يغنيهم عن نظامها ويحز في نفوسهم أنهم يحاربونها بمبادىء يرجعون بين آونة وأخرى عن مبدأ منها ، ويبتعدون عنه ليقتربوا من النظام الذي شنوا الغارة عليه وأرادوا أن يزعزعوه فما عتموا أن أيدوه وأكدوه .

وإنهم لفي عداء عنيف للاسلام من أجل هذا لا من أجل أنه دين ينسبونه إلى عمل الإنسان ولا ينسبونه إلى الوحي الإلهي كما ينسبه المسلمون ، ولو كانت قوى الإسلام الاجتماعية تطاوعهم وتجاريهم على سياستهم وعلى مطامعهم لما حاربوه ولا ضارهم أن يؤمن المسلمون بأنه من وحي الله لا من عمل الإنسان .

فليست المشكلة بين النظامين مشكلة البحث « الاكاديمي » في مصدر الإسلام . إذ يكون مصدر الإسلام ما يكون فهم محاربوه ما دام سدا في وجوههم لا ينفذون من ورائه إلى السيادة على بلاد المسلمين .

ولغة الأشياء الموجودة هي اللغة التي يفهمها الشيوعيون ويجب أن يفهمها بين ظهرانينا نحن المسلمين تلك الشرذمة المتحذلقة التي تقيس الدين بجميع المقاييس إلا مقياسه الصحيح الذي يصلح لتقديره .

فمن عجز العقل أن يحسب أنه يفرغ من قضية الدين الكبرى كما يفرغ من شهادة شاهد في قضية على حسب الواقع والرواية ، أو يفرغ من قضية الدين الكبرى وكما يفرغ من حسبة رياضية بميدان الجمع والطرح ومعادلة الأرقام فإنما يوضع حساب الدين في موضعه حين يوضع معه حساب المتدينين به في جميع أوطانهم وأزمانهم وجميع أحوالهم ومحاولاتهم ، والمتدينون به ملايين من الخلق يقيمون في أرجاء واسعة في الأرض ويخلف اللاحقون منهم

سابقين على دين أو على غير دين ، ومنهم العارف والجاهل ، والحكيم والأحمق والطيب والخبيث والقوي والضعيف ، والمسؤول عن قوم والمسؤول عن نفسه لا يضطلع بتبعة غير تبعاتها ، وهم يعيشون مع دينهم منفردين ومجتمعين في أعماق أعمق من أعين الرقباء وسلطان ذوي السلطان ، ويرتفعون معه إلى شأو لا يضيئه العلم إذا أحاطت به الظلمات .

وإذا نظرنا إلى الدين نظرتنا إلى دواء يعالج به داء المجتمع فمن الخطأ أن نحسبه قارورة دواء تشرب ثم تلقى بعد فراغها ، فإنما هو « نظام صحة » دائم يؤتي فوائده على مدى أعمار المتدينين ، وأعمار المتدينين ألوف السنين .

ولكل قائل كلمته في مدى الزمان الذي يتطلبه الدين لاصلاح شؤون الأمم إلا ... إلا الشيوعيين .

نعم إلا الشيوعيين فلا كلمة لهم في العمر الطبيعي المقدور للدين ، لأنهم يفسحون لمذهبهم العمر من القرن العشرين إلى ما شاءوا من القرون السبعين والثمانين والتسعين ، ولا سند لهم من إله أو نبي أو رسول .. إلا أن يكون كارل ماركس أو لينين أو ستالين !.

الختام

•

ختام القول في الشيوعية أنها مذهب لا يصلح للتصدير من روسيا ، لأنه غير معقول أن المذهب الذي يخفق في بلده ولا يطبق إلا بالإرهاب والقوة ، يصلح للتعامل في البلدان الأخرى التي تدين بالمثل والفضائل والأديان .

إن الشيوعية مذهب لا يصلح للسيادة والحكم ، لأنه قائم على الحقد والكراهية وإثارة الفتن والبغضاء بين الناس جميعاً ، وفيما سبق من هذه الكلمات الدليل كل الدليل مما اقتبسناه من أقوال أئمتها وأتباعها وأقطابها على أن الشيوعية – لكي تسود – يجب أن تهدم وتدمر ما لا يتفق مع باطنها وشناعتها .

وكيف يصلح مذهب ينكر وجود الله ويتهم الأديان ويحارب المؤمنين ويقول في استخفاف وكبرياء : لا إله إلا المادة ، أما غيرها فباطل وعدم .

ويكفي لمحاربة مذهب من المذاهب أن ينكر أي أمر من أمور الغيب مما يؤمن به الذين يدينون بأحد الأديان السماوية ، فإذا كان الإنكار منصباً على الخالق وعلى البعث وعلى الرسل وعلى كل عقيدة صحيحة وجب أن يمقت ويحارب بكل ما في وسع البشر .

وإذا صحب هذا الإنكار هدم المثل التي يعرفها غير المؤمنين المتدينين

وجب أن يحارب حرصاً على المجتمع الذي يدين بالمثل ويجعل للقيم الإنسانية اعتبار أيما اعتبار .

وإذا كان هذا المذهب يقضي على الحرية الشخصية قضاء تاماً ليفنيها بما تسميه دولة أو مجتمعاً خالياً من الطبقات أو جماعة كبيرة واحدة لا تعدد لشخصيات أجزائها فإن من الطبيعي أن يكون مذهباً لا نجد لها متسعاً بين فصائل الحيوان ، فكيف إذا أريد تعميمه بين الآدميين ؟.

يجب حينئذ أن يتكتل البشر ضد هذه القوة الشريرة .

وإذا عرف القارىء مما مر به أن أمن الشيوعية كامن في إخافة الآخرين ، وأن الشيوعية هي التي تهدد السلام العالمي ، وتهدد أمن الشعوب فرادى وجماعات ، وأنها استبدلت بالرأسمالية أفظع أنواعها وشرها ، واستباحت لنفسها كل وسيلة لا يرضى عنها « الإنسان » فإن من الطبيعي أن تجتمع كلمة الأمم بل الإنسانية كلها وتتحد جهودها للقضاء على هذا الشر الذي لم تر الأرض مثله في ماضيها ولن تشهده في مقبل أيامها .

ويكفي أن الشيوعيين أنفسهم ابتعدوا عن قواعد الماركسية في كثير ، وإن كان أساسها ما يزال قائماً .

إن أساسها إنكار الخالق وهذا ما يزال كما كان وكما رأى ماركس وإنجلز ولينين وغيرهم .

ويشاء الله أن يظهر كذب دعاوي الماركسيين إذ زعموا أن النظام الذي وضعه ماركس لن يتغير ، وزعموا أنه باق أبد الدهر لا يلحقه تغيير ولا تبديل .

زعموا — هذا وما زالوا يزعمون — إلا أن الله أظهر كذب دعاواهم وبطلان تكهناتهم ، فلم تتحقق دعوى واحدة إلا لتقوم الأدلة على كذبها ،

ولولا تحققها لما ظهرت عللها وسقمها ، ولم يتحقق تكهن واحد إلا ليعقبه تكذيبه من الواقع ومن المادة التي يؤمن بها الماركسيون .

لقد لحق التبديل والتغيير كل قواعد المذهب وأسسه ، فالأسرة قامت من جديد لأن روابطها كانت أقوى من أن تنفصم تحت ضغـط الإرهاب والتقتيل ، والملكية اعتُرف بها وإن كان تحت ستار من التضليل الذي يتفق مع حقيقة هذا المذهب الهدام .

واعترفوا بالوطنية والقومية وبلغت بهم الوطنية العمياء والقومية الخرقاء حد الهوس والجنون فأقاموا « التعصب الجنسي » على شر ما تقام عليـه العصبيات .

ورفع النقد الأدبي رأسه بعد أن قطعوه أكثر من أربعين عاماً ، فصارت الصحف الروسية تنشر النقد ، ولكن ليس للأداة الحكومية وجهاز الحكم ومن بيدهم مقادير البلاد ، ومع هذا فهو بشرى خير ، لأن أحدا من النقاد مـا كان يجرؤ أن ينقد أثراً فنياً إلا اتهم بالخروج على المذهب وعوقب شر عقاب .

كما أن النقد العلمي كان حراما ، ويكفي أن أي نقد علمي لرأي عالم شيوعي في مجال العلوم كان كافياً لأن يقود صاحبه إلى الجحيم .

بل كان تقرير الحقائق العلمية « جريمة » فإذا قال عالم : إن ماركوني مخترع اللاسلكي ، فقد أجرم في حق الوطن أو المذهب .

أما الآن فقد خففوا من « الضغط » قليلا ، وما أظن مرد هذا إلى العقل وابتغاء الخير ، بل إلى الخداع ، كما أباحت ــ خداعاً ــ قبل بضع سنين حرية

العبادة ثم قضت على المتعبدين ، ولعل هذه طريقة شيوعية جديدة في الكشف عن الذين يحبون الحرية حتى تستأصلهم .

ومهما كان الأمر فمصير الشيوعية المحتوم معروف ، ولن يكون هذا المصير إلا الفناء نهاية مذاهب الهدم والتخريب .

وستتبدل الشيوعية على يد أتباعها قبل أن تتغير على يد أعدائها ، ثم تلقى المصرع الذي يسلمها إلى القبر فترتاح الإنسانية من هذا المذهب البـــاطل الهدام .

مكة المكرمة **احمد عبد الغفور عطار**

تم الكتاب بحمده الله

فهرست